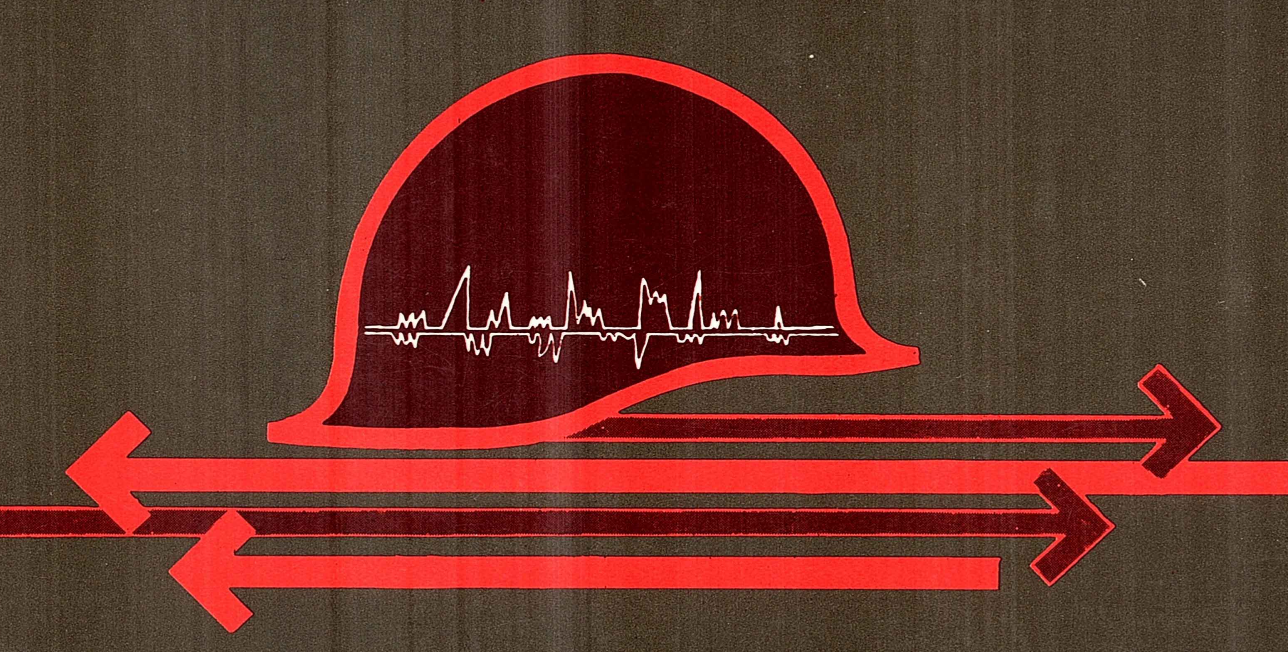


المؤسسة العربية للدراسات والنشر

الحرب الفيتنامية الثالثة



تأليف: وان تين زونغ • ترجمة: العميد غازي الجابي

الحرب الفيتنامية الثالثة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١/ ٨٠٧٩٠٠
برقياً - موكيالي بيروت - ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الأولى
١٩٨٢

تأليف: وان تين زونغ

الحرب الفيتنامية الثالثة

ترجمة: العميد غازي الجابي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

مقدمة

وان تين زونغ، مؤلف هذا الكتاب، محارب فيتنامي، قاتل في الحرب الفيتنامية الأولى ضد المستعمرين الفرنسيين، ثم خاض العديد من المعارك إبان الصراع ضد القوات الأميركية، وكان من حسن طالعه أنه شهد الحرب الفيتنامية الثالثة التي أدت إلى تحرير الجزء الجنوبي من فيتنام وتوحيد شطري البلاد التي عانت طويلاً من الاستعمار والتجزئة والتخلف.

ويشكل كتابه حكاية المقاتلين الفيتناميين في هجوم الربيع، الذي ساهمت فيه القوات المسلحة المدعومة بالجماهير، وحمل لفيتنام النصر الأخير، بعد خمسة وخمسين يوماً من المعارك الضارية المتواصلة. لقد كان هجوم الربيع عملية خاطفة اتسمت بروح الحسمية وتخللتها أعمال الخرق في العمق والالتفاف وضرب المجنبات والمؤخرات. وهو يمثل من هذه الناحية نموذجاً للحرب الشعبية الخاطفة التي تتميز عن الحرب الخاطفة التقليدية بقوة الزخم المعنوي الذي يحركها، واعتمادها على الضربتين العسكرية والسياسية وعلى التعاون الوثيق بين الهجوم العسكري العنيف على الجبهة والعمل الجماهيري على المؤخرات. ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب التاريخي الوثائقي، الذي يغطي حقبة هامة وغير معروفة تماماً من تاريخ النضال الفيتنامي.

الناشر



العنف الثوري

في ربيع عام ١٩٧٤، وبعد الاحتفال بعيد رأس السنة القمرية مباشرة، عقد في العاصمة هانوي وفي البناء رقم ٣٣ الواقع في شارع فام نغولاو اجتماع للقيادة العليا في الجيش الشعبي الفيتنامي. وقد حضر هذا الاجتماع ممثلون عن جميع الجبهات، وفيالق الجيوش، والفرق التابعة لكافة انواع القوات المسلحة والصنوف، وكذلك الشخصيات المسؤولة والعاملة في الهيئات والمصالح التابعة مباشرة لمقر القيادة العامة. وخلال ذلك الاجتماع درست مقررات المؤتمر الحادي والعشرين للجنة المركزية للحزب، الذي كان قد عقد في تشرين الاول عام ١٩٧٣، وقرار اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية، الذي اتخذ في آذار عام ١٩٧٤، والذي صدّق عليه اثناء انعقاد جلسة المكتب السياسي.

لقد اطلع كل من الرفيق لي سوان، والرفيق لي ديك تهو، اللذين شاركا في أعمال المؤتمر، المجتمعين على قرارات مؤتمر اللجنة المركزية. وفي تلك الايام اتخذ المؤتمر الوطني قراره القاضي بمنح مجموعة من الضباط الكبار في الجيش الفيتنامي الشعبي ترقيات عسكرية استثنائية. وقد أعلن عن هذا القرار الرئيس تون ديك تهانغ، بعد ان توجّه الى المشاركين في المؤتمر بكلمة اشار فيها الى المهام الملقاة على

عاتق القوات المسلحة في المرحلة الجديدة، وحثّنا على تنفيذ هذه المهام.

لقد كان لقرارات اللجنة المركزية تأثير ايجابي كبير في صفوف الجيش بأسره، لأنها مكنّت كل جندي وضابط من الرؤية المستقبلية لتطوّر الثورة، وللآفاق المشرقة التي تنتظر شعبنا. كما ان نصائح وتوجيهات السكرتير الأول للجنة المركزية الرفيق لي سوان والرئيس تون ديك تهانغ، استقبلها الجيش كأمر صادر عن الحزب والدولة يقضي بالزحف الى الامام دون توقف، ولتحقيق المزيد من الانتصارات.

كان قد مضى العام الثاني على توقيع اتفاقية باريس المتعلقة بالمسألة الفيتنامية. وبموجب هذه الاتفاقية كان يجب على الامبرياليين الاميركيين ايقاف حربهم العدوانية في فيتنام، وسحب جميع قواتهم، وقوات حلفائهم من فيتنام الجنوبية. كما ان الولايات المتحدة الاميركية أخذت على عاتقها احترام الحقوق الوطنية الاساسية لشعبنا، ألا وهي حقه في الاستقلال والسيادة والوحدة، وسلامة الأراضي، واحترام حقوق سكان فيتنام الجنوبية في تقرير المصير، ووضع حد للتواجد العسكري والتدخل في الشؤون الداخلية لفيتنام الجنوبية، والاعتراف بالسلطتين القائمتين فعلاً، وبالجيشين، وبالمنطقتين المراقبتين، وبالقوى السياسية الثلاثة في الجنوب.

لقد كانت اتفاقية باريس بشأن فيتنام انتصاراً كبيراً لشعبنا، وهزيمة نكراء للامبرياليين الاميركيين وعملائهم. اذ انها دعمت نتائج وانجازات ثمانية عشر عاماً من الصمود والنضال المرير الذي خاضه جيشنا وشعبنا بأسره تحت قيادة الحزب الحكيمة. وان تلك الاتفاقية كانت بحد ذاتها نقطة تحوّل في النضال الثوري لشعبنا، كما أنها فتحت مرحلة جديدة في تاريخ الثورة الفيتنامية الجنوبية ـ مرحلة انجاز الثورة الوطنية الشعبية ـ الديموقراطية، وتوحيد الوطن. وهكذا فان الثورة الوطنية الشعبية ـ الديموقراطية في فيتنام بصورة عامة، والحرب الثورية في فيتنام الجنوبية بصورة خاصة، انتقلتا الى الدور النهائي من النضال المسلح.

وهذا كله يفسّر الاسباب والدوافع التي حدت بالامبرياليين الاميركيين واعوانهم الى خرق شروط اتفاقية باريس على الدوام.

ان الولايات المتحدة الاميركية التي أُرغمت على توقيع تلك الاتفاقية، لم تتخلّ عن سياستها التي حددتها تجاه فيتنام: أي تطبيق مبادىء نيكسون، وزرع بذور

الاستعمار الاميركي الجديد في فيتنام الجنوبية، والعمل على تمزيق البلاد من الداخل. ومن اجل تحقيق هذه الافكار الخبيثة، بدأت واشنطن منذ لحظة توقيع الاتفاقية المذكورة بتقديم المساعدة السريعة الى نظام سايغون العميل لمواصلة الحرب، وإيقاف تنفيذ الاتفاقيات التي تم التوصل اليها من قبل. ان الامبرياليين الاميركيين انتهجوا المبادىء الماكيافيللية[1] في حربهم الاستعمارية العدوانية التي اشعلوا نارها في جنوبي بلادنا. وواصل الاميركيون تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية الى نظام سايغون العميل. وقبل ان تسحب الولايات المتحدة الاميركية قواتها، نقلت الى فيتنام الجنوبية حوالى ٧٠٠ طائرة من مختلف الانواع، و٥٠٠ مدفع، و٤٠٠ دبابة وعربة مدرعة، والعديد من السفن الحربية. كما تقرر نقل المزيد من الاعتدة العسكرية الى الحكومة السايغونية المتواطئة، وزيادة الاحتياطات العسكرية التي في حوزة حكومة سايغون حتى بلغت حوالي ٢ مليون طن من الوسائط العسكرية.

قبل ان يجفّ حبر نصوص اتفاقية باريس، قام نيغوين فان هيو بحملة صارخة للتسلل الى المناطق المحررة، مركزاً جهوده على تنفيذ تلك الخطط مثل «خطة المهادنة للسنوات الثلاث ١٩٧٣ - ١٩٧٥»، «الخطة النصفية للمهادنة من آذار حتى آب ١٩٧٣»، «خطة لي كونغ كيت العسكرية»، «خطة البناء العسكري ١٩٧٤ - ١٩٧٩» ان هذه الخطط جميعها كانت تهدف الى تدمير القوات المسلحة والمنظمات الثورية في فيتنام الجنوبية.

قام العدو بتعزيز قوة جيش سايغون العميل بشكل فاضح، وبصورة خاصة تلك الانواع من القوات المسلحة والصنوف التي من شأنها أن تواجه قواتنا العاملة في كافة الشروط والظروف. ففي عام ١٩٧٣ استكمل الجيش العميل صفوفه بحوالي ٢٤٠ الف مرتزق جديد. كما ان اكثر من ١٣٠ الف جندي تم استدعاؤهم للخدمة، وكانوا من قبل فارين من الخدمة او اعفوا منها لاسباب صحية. وبذلك ازداد تعداد الجيش العميل حتى بلغ ٧١٠ آلاف رجل، اي ما يساوي التعداد الاجمالي في كانون الاول عام ١٩٧٢(٧١٧ ألفـا)، كما أن ذلك كان يزيد الى حد كبير عن الحد المقرر له

١- نسبة الى نيكولو دي برناردو ماكيافيللي (١٤٦٩ - ١٥٢٧)، الذي يعتبر احد المنظرين الايديولوجيين البرجوازيين المشهورين في مرحلة نشوء العلاقات الرأسمالية. وقد وضع هؤلاء «بادىء تقديس القوة الغاشمة، ووضعوا أنفسهم في خدمة الدوائر الرجعية الامبريالية.

في ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٧٣[١] (٦٥٠ الف رجل). وازداد أيضاً تعداد الرجال في كتائب القوات العاملة والتشكيلات الاقليمية. كما تطوّر سلاح الجو بشكل حاد وخاصة الطيران التكتيكي بما في ذلك الحوامات. وازداد ايضاً عدد الدبابات والعربات المدرعة، واستبدلت الدبابات إم ـ٤١ بدبابات احدث منها إم ـ٤٨. وبهذا الوقت ايضاً كان العدو قد أنهى تشكيل وحدات وقطاعات «حفظ الأمن»، بعد ان حوّلها الى قوات متحركة تعمل ضمن حدود المناطق والقطاعات العسكرية. أضف الى ذلك ان تعداد قوات «الدفاع المدني» كان قد ازداد في الوقت نفسه من مليون ومئة الف رجل (منهم ٢٣٠ الف مسلّح) الى مليون ونصف رجل (من بينهم ٤٠٠ الف مسلّح). وبذلك تعزز قوام الجيش العميل حتى نهاية عام ١٩٧٣ من الناحية التنظيمية والفنية على حد سواء. ولذلك كان العدو يحاول على الدوام تنفيذ مخططاته المسماة بخطط المهادنة، والاستيلاء على الاراضي، محاولا بذلك القضاء على القوى الثورية المحلية، وقواعد المقاومة المتواجدة داخل المنطقة المحتلة، ومحاصرة اقتصاد المناطق الحدودية، والاستيلاء من جديد على المناطق التي حررتها قواتنا قبل التوقيع على اتفاقية باريس، وفي نهاية المطاف كانت جميع الخطط والحسابات تهدف الى وضع نهاية لوجود المنطقتين والجيشين والادارتين في فيتنام الجنوبية، وتحويل الجنوب هنا الى منطقة تشرف عليها الولايات المتحدة الاميركية وعملاؤها بالكامل. وخلال احد عشر شهراً من عام ١٩٧٣ استخدمت القيادة السايغونية اكثر من ٦٠٪ من قوام جيشها العامل، وكذلك كافة التشكيلات المحلية، كما قامت بأكثر من ٣٦٠ الف عمل عسكري لاحتلال الاراضي وقمع بؤر المقاومة والاعمال الحربية الاخرى، التي كانت تهدف الى تحويل كافة مناطق الجنوب الى مناطق «آمنة» بالنسبة للنظام السايغوني. لقد حشدت القوات الكبيرة من اجل الهجوم على تلك المناطق المحررة مثل شاهوين، والجزء الشمالي من محافظة كونتوم، وتينغي، وكينديك، وكوانفديك، وقسم من محافظة ميتخو الواقعة بمحاذاة الطريق رقم ـ٤، وتيونغ هين، ونوي زاي، وتشيتون. ان العدو كان يسعى لاخراج قواتنا من كافة المناطق التي وقعت تحت سيطرتها في اعقاب معارك كانون الثاني عام ١٩٧٣، وازالة المناطق المحررة الواقعة ضمن الاراضي التي تسيطر عليها الحكومة العميلة. كما ان الولايات المتحدة الاميركية واصلت العمل على الاحتفاظ بما يسمى

١ـ يوم التوقيع على بنود اتفاقية باريس بشأن فيتنام.

«قوات الارهاب» في جنوب شرقي آسيا، والتي كانت تضم في قوامها حاملات طائرات الاسطول السابع والطيران المتمركز في القواعد العسكرية فوق الاراضي التايلاندية. ان هذه الاعمال كلها رافقها تصعيد للنشاط الدبلوماسي، وكانت تهدف الى الحد من امكانية قيامنا بالهجوم الكثيف قدر الامكان.

لم يستطع الشعب الفيتنامي ان يظل مكتوف اليدين، وهو يرى كيف ان الولايات المتحدة الاميركية وعملاءها يخرقون بوقاحة الاتفاقيات، ويتهمون القوى التحررية بذلك. وأمام هذا الخطر الكبير الذي احدثته اعمال العدو، طرح المؤتمر الحادي والعشرون للجنة المركزية للحزب المنعقد في تشرين الاول **١٩٧٣**، فكرة الجمع بين النضال السياسي والعسكري من جهة، والنضال الدبلوماسي من جهة اخرى، كما انه اشار بوضوح الى ان «طريق الثورة في فيتنام الجنوبية يعتبر طريق العنف الثوري. واننا يجب ان نحافظ على اليقظة في كافة المواقف، ونحافظ على الخط الهجومي الاستراتيجي، ونقيم الادارة المرنة بحيث تستطيع ثورة فيتنام الجنوبية التقدم الى الامام. كما ان متطلبات المرحلة الجديدة الاساسية هي تحرير السكان واشراكهم في صفوفنا، والعمل من أجل ان يتولى هؤلاء السكان مصيرهم بأنفسهم، ليطوّروا بذلك قوة الثورة».

ان جوهر قرارات المؤتمر الحادي والعشرين للجنة المركزية للحزب كان يتمثّل في الاطار التالي: العدو لا يلتزم بالاتفاقيات ويواصل سياسة فتنمة الحرب التي تعتبر في حد ذاتها حرباً استعمارية من نوع جديد، موجهة نحو الاستيلاء على الجنوب بكامله. وفي مثل هذه الظروف ليس امامنا اي خيار آخر سوى اللجوء الى الحرب الثورية لأنها تمكننا من تدمير العدو وتحرير فيتنام الجنوبية.

في آذار عام **١٩٧٤** اجتمعت اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب، من اجل دراسة مقررات المؤتمر الحادي والعشرين للجنة المركزية، واستعراض خطة الاجراءات العسكرية المحددة لوضع هذه القرارات موضع التنفيذ. ولقد أكدت اللجنة العسكرية على ما يلي: «ان الثورة الفيتنامية قد تمر، أو بالأحرى ينبغي ان تمر عبر مجموعة كاملة من المراحل الانتقالية، إلّا انها لا تستطيع انتزاع النصر إلّا بطريقة العنف الثوري. كما ان الاعتماد على القوى السياسية، والمسلحة، وتنظيم الانتفاضات الشعبية، وخوض الحرب الثورية على نطاق واسع من أجل كسب النصر الكامل،

أصبح أمراً لا مفرّ منه». كما تقرر أيضاً: «ان ثورة فيتنام الجنوبية يجب ان تنتهج الاستراتيجية حتمًا. . . فنحن يجب ان نوجّه الى العدو الضربات المعاكسة، وننتقل الى الهجوم، وننتزع زمام المبادرة، ونحافظ عليها حتى النهاية».

ان اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب لم تعالج في اجتماعها فقط مسألة «توجيه الضربات المعاكسة والانتقال الى الهجوم»، بل إنها حددت طرق تنفيذ ذلك في كل منطقة من المناطق، كما اشارت الى طرق واساليب الاعمَال على كافة الجبهات. فقد أُلقيت على عاتق الجيش بكامله مهمة تنشيط العمَل السياسي بغية رفع المستوى الفكري ـ العقائدي لافراد القوات المسلحة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، والتوصل الى الفهم الجديد والراسخ للاحداث، والدرجات العليا من الوعي، وتطوير الامكانيات التنظيمية والعملية، وتحديث أنماط العمل لكل وحدة وقطعة، ولكل ضابط ومقاتل، وشحذ الارادة القتالية بصورة خاصة، وترسيخ دعائم الانضباط، وتأمين التنفيذ الناجح للمهام من قبل الفئات الثلاث للقوات المسلحة[1] خلال المرحلة الجديدة الراهنة.

هذا وقد صدّق المكتب الساسي، خلال اجتماعه على قرار اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب.

بعد التصديق على هذا القرار، بدأت الاركان العامة بالاشتراك مع الادارة السياسية العليا، والادارة العامة للمؤخرة، وغيرها من الادارات والهيئات الاخرى، بدراسة ووضع الخطة الاستراتيجية على الفور، وكذلك وضع خطط العمليات لكل جبهة من الجبهات. وبدأ العمل بخطى حثيثة لتشكيل التشكيلات المقاتلة العاملة، وتأمين هذه التشكيلات والقطعات وامدادها وتدريبها. كما اتخذت التدابير المتعلقة بتحضير العمليات، وتأمينها مادياً وفنياً. وقامت قيادات الجبهات بتنشيط وتطوير الاعمال القتالية للقوات، ودعم وتوسيع نطاق الحركات والانتفاضات الشعبية بين صفوف السكان، وبالعمل على انتزاع وتطوير المبادرة الاستراتيجية، للتوصل الى تغيير حاد في الموقف لصالحها، وخلق الشروط المواتية لشن الهجوم الواسع والشامل الذي كان قد تقرر تنفيذه في عام ١٩٧٥.

١ـ الفئات الثلاث للقوات المسلحة هي: الجيش العامل، والتشكيلات الاقليمية، وتشكيلات الانصار والميليشيات الشعبية.

خلال الفترة ما بين نيسان وتشرين الاول من عام ١٩٧٤، أخذت الاعمال الحربية طابعاً اكثر حدة وضراوة في كافة مناطق الجنوب، وفي كل بقعة من بقاع المنطقة الممتدة بين تشي تهين ونامبو الغربية، بما في ذلك الأراضي التابعة لمنطقة سايغون زادينيا. وقامت قواتنا المسلحة بتوجيه ضربات معاكسة متلاحقة الى العدو، كما شنت الهجوم محققة من وراء ذلك انتصارات اكبر. وفي كل يوم كانت تتوارد من الجبهات الانباء السارة. وفي كل مكان، حيث جرى العمل وفق مقررات المؤتمر الحادي والعشرين للجنة المركزية للحزب واللجنة العسكرية التابعة لها، كانت تطبق الاستراتيجية الهجومية على ارض الواقع، وتتداعى خطط الاعداء «خطط المهادنة»، وتتسع رقعة الاراضي والقواعد المحررة الواقعة في أراضي العدو. كما أن العدو أخذ يفقد زمام المبادرة ويضطر للانتقال الى الدفاع السلبي في العديد من المناطق.

لقد تتبعنا بصورة خاصة سير المعارك التي دارت للاستيلاء على مركز محافظة تهي تهيونغ ديك التابع للمنطقة العسكرية الخامسة. فهنا كانت قواتنا اول من اشتبك مع القوى المسماة بقطعات العدو المختارة. فمن اجل تدمير المدينة والمنطقة العسكرية الصغرى المحيطة بها، والتي كان يسيطر عليها الوطنيون، وجّه العدو اليها فرقة الانزال الجوي التي ظلت تشن الهجمات المعاكسة على حامية تهيونغ ديك طيلة ايام عديدة. غير ان قطعاتنا استطاعت على الرغم من ذلك، الاحتفاظ بالمدينة وتكبيد العدو خسائر فادحة واجباره على التقهقر.

على ضوء الخبرات المستخلصة من ضواحي تهيونغ ديك ومن المعارك التي دارت لتدمير قوات العدو الرئيسية المتواجدة في تينغ وداكبيت (تاين غوين)، توصلت الاركان العامة الى الاستنتاجات التي قُدِّمت الى اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب، والتي جاء فيها: ان القدرات القتالية لقواتنا المتحرّكة في الجيش العامل هي اكبر بكثير من قدرات العدو القتالية، وان الحرب اخذت تدخل مرحلتها النهائية، كما ان ميزان القوى على الجبهة آخذ بالتبدل: فنحن اصبحنا الاقوى بينما اصبح العدو ـ الأضعف. ولذلك نستطيع، لا بل يجب الانتقال من الاعمال القتالية الهادفة الى تدمير القوى الحية للعدو، الى الاعمال والمعارك التي يمكن من خلالها تحطيم العدو، وتحرير الاراضي، والتمسك بها بإصرار وثبات، كما ينبغي علينا التحوّل من خطط سحق قوات العدو العاملة بقوات جيشنا النظامي في المناطق الجبلية بصورة

عامة، الى خطط سحق هذه القوات وتحرير المدن والمناطق الحدودية في السهول. ومن أجل تكبيد العدو الخسائر والهزائم الحاسمة، والتمسك بالمناطق المحررة الجديدة لم تعد تكفي الفرق المستقلّة، أو حتى الفرق المتعاونة فيما بينها. وأصبح من الواجب توفير التشكيلات المتحركة الكبيرة، التي تستطيع، بعملها على الاتجاهات الرئيسية، وفي اللحظة الحاسمة، ان توجّه الى العدو الضربات الماحقة، وتنفذ بنجاح المهام الاساسية لتدمير قواته النظامية.

لقد وافق كل من المكتب السياسي واللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب على تلك الاستنتاجات المستخلصة، واشار كل منهما الى ضرورة تنظيم التشكيلات المتحركة على الفور، والتي ينبغي ان تتواجد تحت الامرة المباشرة للقيادة العامة. ومنذ تشرين الاول عام ١٩٧٣ بدأ تشكيل جحافل الجيوش، وبدأ العمل على تنفيذ المناورات الهادفة الى دراسة الطرق الاكثر فعالية للتعاون بين قطعات وتشكيلات الفيلق، وانتشار هذه القطعات والتشكيلات على الاتجاهات الاستراتيجية للاعمال الحربية. لقد كان تشكيل جحافل الجيوش التي تضم في قوامها قطعات التعزيز والخدمة، خطوة كبيرة الى الامام على طريق تطوير جيشنا. اذ ان ذلك ساعدنا على القيام بعمليات واسعة مع مشاركة مختلف صنوف القوات، وذلك بقوى عدد من فيالق الجيوش التي تشكل قوى ضاربة كبيرة، وتمتلك قدرة كبيرة على المناورة، والموجودة في حالة الجاهزية القتالية الدائمة، والقادرة على سحق العدو في العمليات الاستراتيجية .

وبالاضافة الى اعادة تنظيم القوات المسلحة، كانت هناك مهمة ملحّة وهي استكمال التشكيلات الجديدة بالرجال وتزويدها بالاسلحة والاعتدة القتالية الاكثر تطوّرا. وهكذا فإن القسم الاكبر من الاعتدة القتالية بما في ذلك الدبابات والعربات المدرعة والصواريخ والمدافع البعيدة المدى، والمدافع المضادة للطائرات، التي حاول الامبرياليون الاميركيون تدميرها خلال فترة القصف الجوي لفيتنام الشمالية بطائرات ب ـ٥٢، والذي استمر اثني عشر يوماً، كان قد تم نقله الى الجنوب. وكانت مدافعنا ذاتية الحركة ودباباتنا اول من دخل مزارع الكاوتشوك في نامبو. وكان ذلك دليلاً على التطور الفني الكبير الذي حصل عليه جيشنا، وفي الوقت نفسه خطوة هامة في مجال الاعداد الحثيث للهجوم العام القادم.

غير ان امتلاك القوات المسلحة القوية والمزودة بأحدث انواع الاسلحة لا يكفي بطبيعة الحال. فمن اجل ان تظهر هذه القوات على خطوط الجبهة بكامل قوامها، كان ينبغي توفر مجموعة كاملة من الشروط الاخرى. لأن قوانين الحرب الثورية كانت تقضي بأن تشكّل في البداية وحدات عسكرية صغيرة، وتتحول هذه الوحدات بالتدريج الى تشكيلات مقاتلة كبيرة مؤلفة من مختلف صنوف القوات، وقادرة على الحاق الهزيمة بقوات العدو الجرارة، وعلى توجيه الضربات الى قياداته وعقد مقاوماته عند اقتحام ودخول المدن. وبهذه الطريقة فقط كان يمكن اسقاط النظام العميل واركاع العدو على ركبتيه وتحرير الوطن. ومن اجل تنفيذ مثل هذه المهمة كان ينبغي وجود الشبكة المناسبة من خطوط المواصلات، ووسائط النقل الحديثة، التي تؤمن نقل التقنيات والاسلحة والذخائر الى الجبهة بدون انقطاع. وهكذا فان مسألة بناء شبكة من الطرق ذات القدرة العالية على التمرير اصبحت المسألة الاكثر الحاحاً وحيوية. فمنذ عام ١٩٧٣ بدأ العمل في شرقي سلسلة جبال تشيونغ شون على شق الطريق الاستراتيجية التي تربط الطريق المعبدة رقم -٩ «كوانغ هي» مع نامبو الشرقية. ان بناء هذا الخط الهام للامداد، الذي تم إنجازه في ربيع عام ١٩٧٥ كان مأثرة رائعة لعمل اكثر من ثلاثين الف جندي ومتطوّع (بلغ الطول الاجمالي لكافة الطرق العسكرية ذات الأهمية الاستراتيجية والعملياتية في فيتنام الجنوبية اكثر من ٢٠ الف كيلومتر خلال سنوات الحرب). فالحكومة والشعب قدّما القوى والوسائط الهائلة لانجاز هذا العمل. كما ان الآلاف من الآليات على مختلف انواعها، وعشرات آلاف الجنود والعمال والمهندسين والفتيان المتطوعين وغيرهم من أفراد الشعب الآخرين بذلوا قصارى جهدهم وتغلّبوا على جميع الصعاب التي خلقتها امامهم شروط الطقس والطبيعة القاسية، وقاذفات العدو الثقيلة. فقد عمل هؤلاء ليلاً ونهاراً في الجبال والوديان والمستنقعات لشق الطرق عبر شعاب الجبال، ودحرجوا بأكتافهم وأيديهم الصخور الكبيرة وردموا الحفر، وشقّوا اقنية تصريف المياه، وبنوا الجسور، وشيّدوا في غربي البلاد المنشآت العظيمة التي نعتز بها بحق. وعلى الطرق الجبلية العريضة اخذت تتحرك الشاحنات الكبيرة والاعتدة القتالية طيلة ايام السنة، وفي الليل والنهار، وبسرعات كبيرة، لتنقل آلاف الاطنان من مختلف الامدادات بغية تحقيق النصر في العمليات العسكرية القادمة.

وعلى امتداد خط الامداد من كوانغ هي وعبر تاين غوين وحتى لوك نينا تم

تمديد خط انابيب النفط لمسافة خمسة آلاف كيلومتر. والجدير بالذكر ان هذا الخط تم تمديده عبر الانهار العريضة، والجداول والوديان العميقة، والجبال الشاهقة. وقد سمح خط الانابيب هذا بامداد عشرات آلاف الآليات بالوقود. كما يمكن تشبيه تلك الشبكة من الطرقات الاستراتيجية والجبهوية التي تمتد لعشرات آلاف الكيلو مترات بمحاذاة وعبر سلسلة الجبال العالية الواقعة غربي البلاد بالاحزمة والعقد القوية التي كانت تضيق يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة حول عنق «ذلك المارد الاسطوري»، وهي تنتظر اللحظة المناسبة لخنقه والاجهاز عليه.

امتدت خطوط الهاتف حتى لوك نينا. واصبح الاتصال الآن ممكناً بين هانوي وقيادات تشكيلات القوات.

وفي الوقت الذي كان شعب فيتنام الجنوبية يدحر العدو في كل مكان تقريباً، معبراً عن حقه في السيادة المشروعة على أرضه، كان الحزب في فيتنام الشمالية والحكومة الثورية هناك، يعملان بسرعة لاستدعاء عشرات الآلاف من الفتيان والفتيات من القرى والمدن والمؤسسات والمدارس والمعامل لضمهم الى صفوف الجيش العامل.

لقد كان لمقررات المؤتمر الحادي والعشرين للجنة المركزية للحزب، ولقرار اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية، والقيادة الحكيمة التي انتهجها المكتب السياسي. الدور العظيم في تغيير الموقف على الجبهة لصالحنا، كما ان تلك القرارات عبّأت وحشدت قوى البلاد وامكانياتها لتقديم المساعدة الى جنوبي فيتنام المناضلة.

اللحظة المناسبة

عملت فروع واقسام الاركان العامة بجهود كبيرة ومضنية منذ تموز وحتى تشرين الاول من عام ١٩٧٤. وكان اعضاء المكتب السياسي واللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب يدرسون في كل يوم وباهتمام كبير الموقف على الجبهة، ويشرفون على اعداد الخطط الاستراتيجية للاعمال العسكرية.

وبهذه الفترة كان حزبنا وشعبنا يعيشان لحظات السرور والفرح بسبب الانباء الواردة من الجنوب، حيث كانت الحركة الثورية هناك قد قامت بانتفاضة جديدة في اعقاب المقررات المعروفة التي اتخذها المؤتمر الحادي والعشرون للجنة المركزية للحزب وقرار اللجنة العسكرية في آذار من عام ١٩٧٤. وهكذا فان الموقف أخذ يتبدّل لصالحنا باستمرار على جميع خطوط الجبهة. فقواتنا المسلحة وافراد شعبنا أخذوا بوجهون بثقة ونشاط، مسار الثورة، والقوى الثورية نحو طريق التقدم، كما أخذوا يصدون ضربات العدو، ويوجهون اليه الضربات المعاكسة يوماً بعد يوم، معجّلين بذلك في التوصّل الى النصر المحقق.

وفي اثناء الدفاع عن المواقع المحررة خلال الهجوم الاستراتيجي، استطاع

بمقاتلوا المنطقة العسكرية التاسعة، ان يصدوا محاولات العدو، وان يدمروا اكثر من الفي مخفر ونقطة محصنة، ويحرروا اربعمائة قرية يقطنها ثمانمئة الف فلاح. وفي المنطقة العسكرية الثامنة تم القضاء على اكثر من ثمانمئة مخفر معاد ونقطة محصنة، وتحرير مئتي قرية يقطنها اكثر من ١٣٠ الف نسمة. كما ان قواتنا العاملة في المنطقة العسكرية السابعة حافظت على زمام المبادرة ايضا واحبطت محاولات العدو الرامية الى شن هجمات معاكسة الى الشمال من سايغون. وفي تلك المنطقة المحيطة بهذه المدينة اتسع الصراع من اجل التمسك بالاراضي المحررة، وتكبّد العدو خسائر فادحة في الارواح. اما في المنطقة العسكرية الخامسة فإن الوطنيين زادوا من قوة ضرباتهم ووسّعوا رؤوس الجسور التي احتلوها في المناطق الحدودية (نونغ شون، تهيونغ ديك، توي فيوك، مينلونغ، زاغوت، وغيرها)، وعززوا نشاطهم في المناطق السهلية ايضاً، حيث تم تدمير ثمانمئة مخفر ونقطة محصنة تقريباً، وتحرير ٢٥٠ قرية يبلغ تعداد سكانها ٢٠٠ الف فلاح. وفي تاين غوين دحرت قطعاتنا العدو واخرجته من المواضع التي يحتلها في داك بيت، وتينغ، ومانغ بوت، ومانغ دين، وفي إياسوب ايضا، مما ادى الى توسيع رقعة الاراضي المحررة، والممر الاستراتيجي، وفي محافظتي كوانغ هي وتهياتهين واصلت قواتنا محاصرة فرقة المشاة البحرية التي كانت تعتبر التشكيل المتحرك الاستراتيجي للجيش العميل، والذي كان يعمل في النطاق الحدودي آن ذاك. اضف الى ذلك ان سكان المناطق السهلية عززوا نضالهم ضد أعمال ما يسمى بـ «المهادنة».

لقد خسر العدو زمام المبادرة، كما ان وضعه ازداد صعوبة وتعقيدا من جميع النواحي. ففي الكثير من المناطق السهلية، وخاصة في دلتا نهر ميكونغ فشلت خطط «المهادنة» والاستيلاء على الاراضي. ولوحظ ان الروح المعنوية والقدرات القتالية اخذت تنهار لدى القوات العميلة: اذ بلغ عدد الجنود الفارين من الخدمة ١٧٠ الف رجل منذ مطلع ذلك العام. وانخفض التعداد الاجمالي لقوات العدو بمقدار ٢٠ الف رجل بالمقارنة مع عام ١٩٧٣. كما كانت نسبة النقص كبيرة جدا في تعداد الجيش العامل. وبالاضافة الى ذلك فان قوات العدو المتحركة الاستراتيجية كانت قد ثُبتت: فرقة مشاة البحرية ـ في كاونغ هي وتهياتهين، وفرقة انزال جوي في تهيونغ ديك. وبسبب تقليص المساعدات الاميركية لم تنفذ خطط الاعمال القتالية واعادة تنظيم الجيش العميل، كما كان يريده العدو. ففي السنة المالية ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ خصصت

واشنطن لحكومة سايغون ملياراً و٦١٤ مليون دولار كمساعدات عسكرية. الا ان النظام العميل لم يحصل في العام التالي إلّا على مليار و٢٦ الف دولار، وفي العام المالي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ تقلصت المساعدات العسكرية الاميركية لحكومة سايغون حتى ٧٠٠ مليون دولار فقط. ولذلك فقد طلب نيفوين فان هيو من جنوده الاقتصاد في استهلاك الذخائر خلال المعركة. وتفيد معطيات الادارة السايغونية بأن القدرة النارية للجيش في تلك المرحلة تقلّصت بمقدار ٦٠٪ تقريباً بسبب النقص في القنابل والقذائف، وبمقدار ٥٠٪ تقلصت امكانية القوات على الحركة بسبب النقص في الطائرات والدبابات والوقود. ان هذا كله ارغم قيادة الجيش العميل على الانتقال من العمليات الكبيرة ـ القيام بإنزالات جوية بواسطة الحوامات، وتوجيه الضربات بالدبابات ـ الى الدفاع الثابت، والى تمشيط الأرض والمطاردات المحدودة والضيقة.

وبكلمة اخرى فان الخاصة الاساسية للوضع في فيتنام الجنوبية اصبحت بعد حوالى سنتين من التوقيع على اتفاقية باريس، تنحصر في ضرورة خوض الحرب الثورية ضد انصار الحرب الاستعمارية الجديدة، على الرغم من ارغام القوات الاميركية والقوات المتحالفة معها على التقهقر، والجمع بين النضال المسلح والنضال السياسي في آن واحد. وتميز نضالنا الذي كانت تتسع ابعاده يوماً بعد يوم في تعاظم قوتنا وتقهقر قوة العدو، الامر الذي ادّى الى قلب ميزان القوى لصالح الثورة بصورة تدريجية.

ومع تحسّن شروط الموقف وتعاظم القدرة القتالية لقواتنا، على جبهات فيتنام الجنوبية، كانت فيتنام الشمالية تشهد تطوّراً شاملا للنـظام الاشتراكي، وتتغلّب بالتدريج على الآثار والصعوبات التي خلّفتها الحربان المدمرتان الاخيرتان. فالانتاج الصناعي بلغ مستواه الطبيعي الذي كان سائداً في عام ١٩٦٥. كما ان الحياة العادية في البلاد تميّزت بالاستقرار. وخلال عامين (١٩٧٣ ـ ١٩٧٤) دُعي الى الجيش مئات آلاف الجنود. كما اتخذت التدابير الحثيثة والفعالة لتأمين الجاهزية القتالية وخاصة في المنطقة الرابعة السابقة وكذلك في المناطق الواقعة الى الجنوب منها وفي قوات الدفاع الجوي والقوى الجوية.

حلّ شهر تشرين الاول من عام ١٩٧٤. وذكّر الطقس الخريفي البارد قيادتنا باقتراب الموعد المحدد لبدء العمليات العسكرية. واستمع المكتب السياسي واللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب الى الخطة الاستراتيجية للاعمال الحربية، التي

اعدتها الاركان العامة. كما ان شعبة عمليات الاركان العامة وضعت تقريراً كاملاً ومفصّلاً عن العدو وعن التبدلات التي طرأت على الموقف في جنوبي فيتنام بعد التوقيع على اتفاقية باريس. وكانت جميع المعلومات المتوافرة توضح بيانيا على الخرائط والمخططات وعلى الجداول المقارنة، التي كانت معلقة على جدران قاعة الاجتماعات. وبعد الاستماع الى التقرير ودراسته، وافق المؤتمرون بالاجماع على ان الموقف في فيتنام الجنوبية يمكن ان يتميّز بالسمات التالية:

١- الجيش العميل يزداد ضعفاً يوماً بعد يوم من النواحي العسكرية والسياسية والمادية وقواتنا العسكرية في الجنوب هي أقوى بكثير من قوى العدو.

٢- الولايات المتحدة الاميركية تواجه صعوبات كبيرة يوماً بعد يوم، وداخل البلاد وخارجها وعلى الحلبة الدولية ولذلك فان امكانيات تقديم المساعدات السياسية والاقتصادية الى النظام العميل اخذت تتضاءل في كل زمان ومكان. كما ان واشنطن لم تعد مضطرّة لتقليص حجم مساعداتها الى عملائها فحسب، بل انها غير قادرة ايضاً على ارسال قواتها الى فيتنام الجنوبية من جديد. وطالما ان الامبرياليين لا يمكنهم التدخل في شؤون فيتنام، فإنهم لا يستطيعون انقاذ نظام سايغون من السقوط المحتوم.

٣- استطعنا تعزيز مواقعنا الاستراتيجية من الشمال والى الجنوب، وتجهيز واعداد القوات المسلحة، وزيادة حجم الاحتياطات المادية، وتطوير شبكة المواصلات الاستراتيجية والجبهوية.

٤- في مدن فيتنام الجنوبية اتسع اطار النضال من اجل السلام وتحسين الظروف الحياتية للسكان، ومن اجل الديموقراطية والاستقلال الوطني واسقاط نظام العميل هيو.

٥- ان شعوب العالم بأسره تعبّر عن تعاطفها وتأييدها المطلق للنضال العادل الذي يخوضه شعبنا.

في ذلك الاجتماع الذي عقده المكتب السياسي واللجنة العسكرية، دار النقاش الحاد والحامي حول مسألة جوهرية وهي. هل ستزج اميركا بقواتها في فيتنام الجنوبية من جديد، اذا ما هدد هجومنا وجود النظام السايغوني العميل؟

ان جميع المشتركين في ذلك الاجتماع كانوا يرون بأن الولايات المتحدة الاميركية بعد التوقيع على اتفاقية باريس وكسب قواتها من فيتنام الجنوبية، اصبحت في موقف صعب اكثر من اي وقت مضى. فالخلافات ازدادت حدة داخل الحكومة الاميركية نفسها وبين الاحزاب السياسية. كما ان قنبلة ووترغيت زلزلت اميركا بأسرها وادت الى سقوط احد رؤساء الجمهوريات الاكثر رجعية ـ نيكسون. كما ان اقتصاد الدولة الرأسمالية الاولى في العالم اصبح يعاني من الازمات والكساد، وازداد التضخم المالي وانتشرت البطالة، واتسعت ازمة الطاقة ايضاً. اضف الى ذلك ان حلفاء الولايات المتحدة الاميركية دخلوا معها في خلافات، وحتى ان البلدان المستقلة عن رأس المال الاميركي اخذت تبحث عن مختلف الطرق لتجنب وصاية واشنطن والتخلص من رقابتها. وهكذا فان مساعدات الولايات المتحدة الاميركية للنظام السايغوني اخذت تتقلص يوماً بعد يوم.

استخلص الرفيق لي سوان الاستنتاج الذي أُضيف الى نص مقررات المؤتمر، وقد جاء في هذا الاستنتاج: «بعد ان سحبت اميركا قواتها من جنوبي فيتنام لا تستطيع اعادة هذه القوات من جديد، كما ان هذه القوات لا تستطيع ان تنقذ الادارة السايغونية من السقوط مهما حاولت التدخل في الشؤون الداخلية للجنوب».

اثناء استعراض الخطة الاستراتيجية لعمليات عام ١٩٧٥ برزت مسألة اخرى هامة، وهي: ما هي المنطقة التي ينبغي اختيارها كاتجاه رئيسي للأعمال القتالية؟ لأن العدو نشر قواته في جميع انحاء فيتنام الجنوبية على مبدأ «القوة الكبرى على الاجناب». وفي منطقة الفيلق الأول مثلا وبالقرب من حدود فيتنام الشمالية كان للعدو خمس فرق من الجيش النظامي. وفي منطقة الفيلق الثالث، حيث كان يمتد خط الدفاع حول مدينة سايغون، كانت تحتشد ثلاث فرق، كما ان العدو كان يستطيع عند الضرورة ان ينقل الى هنا فرقة او فرقتين من مجموع ثلاث فرق متمركزة في منطقة الفيلق الرابع. اما في منطقة الفيلق الثاني فقد تمركزت فرقتان من الجيش النظامي، كان ينبغي عليهما الدفاع عن محافظة تاين غوين، والمحافظات البحرية في الجزء الجنوبي لمقاطعة تشونغ بو. وقد كانت منطقة تاين غوين اكثر ملاءمة لتنفيذ العمليات المناورة: فمن هناك كان بالامكان تطوير الهجوم باتجاه الجنوب على الطريق رقم ـ١٤، او باتجاه الشرق على الطرقات رقم ١٩ ، و٧ و٢١. اضف الى ذلك ان تعاريج الارض هناك

كانت انسيابية وغير معقدة. وتتميّز بمرتفعات منخفضة تسمح بشق الطرقات ونقل الاعتدة العسكرية والقيام بالتدابير التمويهية. ولذا يمكن القول بأن منطقة تاين غوين كانت ذات اهمية كبيرة من الناحية الاستراتيجية.

وافق المشتركون في المؤتمر بالاجماع على الاقتراح الذي تقدمت به الاركان العامة حول اتخاذ منطقة تاين غوين كاتجاه رئيسي للعمليات الهجومية، التي تقرر تنفيذها عام ١٩٧٥ على نطاق واسع.

غير ان المكتب السياسي كان يرى انه من الضروري دراسة الموقف بدقة قبل اتخاذ القرار الاستراتيجي، وادخال التعديلات على خطة العملية اذا اقتضى الامرذلك. ولذلك فقد اتخذ المكتب السياسي القرار القاضي باتخاذ عدد من التدابير الهادفة الى الاسراع في تنفيذ القرار المتخذ، ودعا المكتب السياسي قادة الجبهات لاجتماع يعقد في هانوي، من اجل الاستماع الى تقاريرهم ومذكراتهم حول الموقف، ودراسة هذه التقارير بغية التوصل الى رأي موحد بشأن الخطط الاستراتيجية المزمع وضعها.

في مطلع شهر كانون الاول عام ١٩٧٤ وصل الى هانوي عضو المكتب السياسي للجنة المركزية، وسكرتير مكتب فيتنام الجنوبية للحزب فام هونغ، والفريق شان فان شا، وعضو اللجنة المركزية وممثل نانبوڤان ڤان دانغ، وعضو اللجنة المركزية وسكرتير اللجنة الحزبية للمنطقة العسكرية الخامسة فولي كونغ، والفريق تيوهوي مان، الذي كان يمثل ايضا المنطقة العسكرية الخامسة.

استمع المكتب السياسي دورياً الى مذكرات جميع قادة الجبهات، وحصل على المعلومات الشاملة عن الموقف في تلك الجبهات. وفي الفترة ما بين الثالث والخامس من كانون الاول استمع المكتب الدائم التابع للجنة العسكرية الى مذكرات ممثلي نانبو والمنطقة العسكرية الخامسة بشأن خطط الاعمال القتالية.

ان هذه اللقاءات كانت تحضيراً للاجتماع الاستثنائي الهام للمكتب السياسي، والذي استمر من ١٨ كانون الاول عام ١٩٧٤ وحتى ٨ كانون الثاني عام ١٩٧٥.

بالاضافة الى اعضاء المكتب السياسي حضر الاجتماع قادة ومفوضو جميع الجبهات، واعضاء اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية، ونواب رئيس الاركان العامة لشؤون العمليات.

تحدّث خلال الاجتماع جميع اعضاء المكتب السياسي. كما انهم شاركوا بصورة نشيطة وفعالة في بحث المسائل الواردة في جدول الاعمال. وتجدر الاشارة هنا الى ان التصحيحات كانت تدخل اسبوعياً على آراء اعضاء المكتب السياسي، وعلى اعمال المؤتمرين، التي استمرت عشرين يوما. وهكذا اخذت الفكرة الاستراتيجية العملاقة تأخذ ابعادها يوماً بعد يوم، كما اتضحت ارادتنا الحديدية والحاسمة لسحق العدو بكل جلاء.

خلال ايام عمل المؤتمر، تلقى المؤتمرون النبأ السار التالي: حققت القوات النظامية في نانبو الشرقية انتصارا كبيرا في منطقة الطريق رقم ـ١٤ وفي منطقة فيوك لونغ بالتعاون مع تشكيلات السكان المحليين. وخلال ما يزيد عن عشرين يوماً تم قتل واسر اكثر من ثلاثة آلاف جندي معاد، والاستيلاء على ثلاثة آلاف قطعة سلاح من عيارات مختلفة، وتحرير مقاطعة فيوك لونغ بكاملها. وكانت تلك المنطقة هي المقاطعة الاولى التي يتم تحريرها بالكامل في فيتنام الجنوبية.

لقد كان للنصر الذي تحقق في منطقة الطريق رقم ـ١٤ ومقاطعة فيوك لونغ اهمية كبيرة. اذ انه كان خطوة جديدة على الطريق نحو السحق الكامل للجيش العميل. والقوات النظامية لذلك الجيش لم تعد قادرة على القيام بعمليات واسعة للاستيلاء على الاراضي والقواعد العسكرية والمراكز الادارية الهامة التي حررناها في المناطق الجبلية والحدودية.

ان هذا النصر سمح لنا بتقييم افكار واحتمالات تدخل الامبرياليين الاميركيين في شؤون فيتنام الجنوبية تقييمًا اكثر وضوحاً ودقة. كما ان الأهم من ذلك هو ان النجاح الكبير الذي تحقق في منطقة الطريق رقم ـ١٤ وفيوك لونغ اظهر الامكانيات الجديدة والكبيرة لجيشنا وللشعب الفيتنامي بأسره. واكد لنا ذلك من جديد على صحة الافكار الاستراتيجية التي طرحت في الاجتماع الذي عقده المكتب السياسي، وساعدنا ذلك ايضاً على تدقيق الخطط لتنفيذ العمليات الهجومية الواسعة في الاوقات المناسبة لذلك.

في الايام الاولى التي اعقبت هزيمة القوات العميلة، ارسلت القيادة الاميركية من الفيليبين حاملة الطائرات «انتربرايز» نحو شواطىء فيتنام. وكانت تلك الحاملة

ترافقها قطعات ذات مهام خاصة تابعة للاسطول الاميركي السابع. كما ان القيادة الاميركية اصدرت امرها الى فرقة مشاة البحرية الاميركية الثالثة المتمركزة في جزيرة اوكيناوا لأخذ الجاهزية القتالية والاستعداد للتحرك. وأخذ قادة البنتاغون يهددون فيتنام الشمالية باستئناف القصف الجوي. الا ان وزير الدفاع الاميركي شليسينجر اضطر أخيراً للتغاضي عن «احداث فيوك لونغ» وللتصريح: «بأن ذلك ليس الهجوم الكثيف الذي تعد له فيتنام الشمالية» وقال السفير الاميركي مارتين للرئيس السايغوني: «ان التدخل الاميركي لم يعد مستحسناً». كما ان وضع الولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية لم يعد قوياً بحيث يمكنها من فعل ما تريده وتصبو اليه.

اشار المكتب السياسي الى ان العدو اصبح ضعيفاً وان اللحظة المواتية للقيام بالضربة الحاسمة قد اخذت تلوح الآن في الافق. غير انه من اجل ان تحلّ هذه اللحظة كان ينبغي تكبيد العدو خسائر فادحة بالارواح، واضعاف روحه المعنوية وتمزيق صفوفه خلال العمليات المقبلة.

كان الموقف مواتياً لنا في فيتنام الجنوبية الى حد كبير في تلك الفترة. لأن أزمة حقيقية برزت في الجنوب، ولذلك نشأت الظروف الاكثر مناسبة لشن الهجوم. فإذا ما قمنا بتحطيم العدو بضربات متلاحقة وحاسمة وسريعة، فإن النظام السايغوني سيسقط حتماً قبل الموعد الذي تتوقعه قيادتنا.

في الثامن من كانون الثاني عام ١٩٧٥، وبعد عملية فيوك لونغ المظفرة بيومين تحدث الرفيق لي سوان في كلمته الختامية اثناء المؤتمر، وقال: «ان اجتماعنا يجري في موقف يشهد التحول الكبير والوحدة الكاملة لشعبنا. ففي هذه المرة يحضر الاجتماع ممثلون عن نانبو والمنطقة العسكرية الخامسة. واصبح الموقف في الجنوب واضحاً لدى الجميع. اننا وضعنا الخطة لسنتين، وسوف ننفذها بحسميّة وجديّة واصرار. ان مدة السنتين هي مدة قصيرة، وطويلة في آن واحد. والنضال في فيتنام الجنوبية المدعوم من الشمال يظهر القوة العظيمة لشعبنا الواحد. وها هي القوات الاميركية قد سُحبت الآن من فيتنام الجنوبية، بينما تواصل قواتنا القتال هناك معتمدة على الحماس الوطني للجماهير وهذا ما يمكن ان نسميه باللحظة الحاسمة. ينبغي علينا ان نواصل ونصعّد النضال على ثلاث جبهات: العسكرية، والسياسية، والدبلوماسية. وهنا تبرز خصائص الثورة الفيتنامية.

في الجنوب تغيّر الموقف لصالحنا: فقد انتزعنا زمام المبادرة على جميع اتجاهات الاعمال القتالية، ووحدنا المناطق المحررة من كوانغ هي وتهياتهين وحتى دلتا الميكونغ. وجمعنا القوى الكافية لتوجيه الضربات القوية. وهذه الضربات يجري التحضير لها الآن في المنطقتين العسكريتين الثامنة والتاسعة. واقمنا حول المدن رؤوس الجسور اللازمة للهجوم. وفي تلك المدن اندلعت حركة التحرر، بينما تواصل شعوب العالم تأييدها لنا. . .»

بعد ان حلل الموقف المتردّي في معسكر العدو، واصل الرفيق لي سوان حديثه قائلا: «يجب ان نوجه الضربة الاستراتيجية في عام ١٩٧٥. وفي نانبو يجب ان نواصل زحفنا نحو سايغون لسحق المزيد من وحدات وقطعات قوات العدو النظامية وتقديم المساعدة الى القوات المحلية في نضالها عندما تحل اللحظة الحاسمة. اما بشأن دلتا الميكونغ فإننا يجب ان نواصل الزحف نحو مقاطعة ميت هو. وقررنا في هذا العام بدء الاعمال القتالية بشن الهجوم في مقاطعة تاين غوين».

اضاف لي سوان قائلا وهو يشير الى الخريطة: «يجب بدء الحملة بالمعارك في بون ميت هوت وتوهوا. وفي المنطقة العسكرية الخامسة يجب ان نحرر الاراضي الواقعة الى الشمال من مقاطعة بين دين. وفي منطقة كوان غي وتهياتهين يجب ان نراقب المناطق الممتدة من هوي حتى دانانغ.

ان الانتصارات الكبيرة تؤدي الى تغيير كبير في ميزان القوى. لذلك يجب ضرب العدو باستمرار حتى موسم الامطار، محققين النصر الواحد تلو الآخر. واذا ما ضربنا العدو بكل القوى فإن صفوفه سوف تتداعى بسرعة. ويجب ان نحطم قوات العدو النظامية الى حد كبير، وخاصة على مشارف المدن. وعند دخول المدن يجب ازالة نقاط الاستناد الرئيسية وعقد المقاومة. يجب على الشمال ان يؤمن الجيش بكل ما يلزمه من الوسائط المادية والعتاد. وهذا عامل رئيسي في احراز النصر.

سنحقق النصر مهما اختلفت الظروف. الا انه يجب ايجاد الطرق الافضل لسحق العدو بسرعة. وعلى الاركان العامة ان تدرس هذه المسألة بدقة».

لقد كان للاجتماع الذي عقده المكتب السياسي من ١٨ كانون الاول عام ١٩٧٤ وحتى ٨ كانون الثاني عام ١٩٧٥ اهمية تاريخية. فعلى ضوء قوانين الحرب

الثورية اعطى ذلك الاجتماع تقييمًا صحيحاً للموقف وابرز في حينه عدداً من العوامل الجديدة التي ساعدت على تدقيق الافكار الاستراتيجية. والجدير بالذكر انه كلما كان الاجتماع يقترب من نهايته، كلما اصبحَ اعضاء المكتب السياسي اكثر الحاحاً على ضرورة تقليص الوقت اللازم لاعداد الهجوم. وهذه القناعات كانت ذات مبررات علمية. وهذا يعني ان اللحظة الحاسمة قد حلّت وان عدم الاستفادة منها يعتبر جريمة بحق الامة.

ان الاستنتاجات التي استخلصها الرفيق لي سوان صدّق عليها المؤتمرون وايّدوها بالاجماع، وأُدخلت الى نص محضر الاجتماع، الذي جاء فيه: «لم تتوفر لنا من قبل مثل هذه الظروف السياسية والعسكرية المواتية، ولم تسنح لنا من قبل مثل هذه الفرصة الاستراتيجية المناسبة لتحقيق الثورة الديموقراطية ـ الشعبية الوطنية في الجنوب، والانتقال الى توحيد الوطن سلمياً. وفي الوقت الحاضر تنمو وتتسع في بلدان شبه جزيرة الهند الصينية الثلاث الحركة الشعبية، التي تحقق باستمرار الانتصارات والمكاسب».

كما جاء في مقررات الاجتماع ما يلي: «يجب تعبئة كافة القوى الحزبية، والشعب بأسره في شطري البلاد من أجل تعزيز النضال السياسي والعسكري في عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، والذي يسمح لنا مع النضال الدبلوماسي بتغيير ميزان القوى تغييرا جذرياً لصالحنا على جبهات فيتنام الجنوبية، ويؤدي الى انجاز جميع الاعمال التحضيرية في الوقت المحدد، وخلق الظروف المناسبة لشن الهجوم العام وتفجير الانتفاضة العارمة، وتدمير وتمزيق قوى الجيش العميل واسقاط السلطة العميلة في سايغون والاقاليم الاخرى، ونقل السلطة الى ايدي الشعب وتحرير فيتنام الجنوبية».

وجاء في نص المقررات ايضاً: «يجب ان نأخذ بعين الاعتبار امكانية التدخل الاميركي من الجو والبحر، وهذا قد يحدث عندما يصبح الجيش العميل على هاوية الاندحار وضمن دائرة الهزيمة، مع قدرته على المقاومة لفترة طويلة نسبياً. وطالما ان الولايات المتحدة الاميركية لا تتدخل في شؤوننا فإننا نمتلك كافة الشروط اللازمة لتوجيه تلك الضربة الماحقة، التي لا تترك للامبرياليين الاميركيين الفرصة في انقاذ قوات سايغون من الدمار».

ان الحسمية القتالية للمكتب السياسي ظهرت ايضاً في اثناء وضع الخطة الاستراتيجية لعامي ١٩٧٥ ـ١٩٧٦. وبموجب هذه الخطة كان يجب علينا في عام ١٩٧٥ الاستفادة من عامل المفاجأة وشن الهجوم الشامل والقوي وتحضير الشروط في الوقت ذاته لتنظيم الهجوم العام في ١٩٧٦، والانتفاضة الشعبية الشاملة بهدف تحرير فيتنام الجنوبية بأكملها.

بالاضافة الى هذه الخطة الثنائية الاساسية وضع المكتب السياسي للجنة المركزية خطة احتياطية اخرى لعام ١٩٧٥، والتي تحدد فيها اتجاه الاعمال الجديد، والحيوي بالنسبة لنا. وقد انحصر جوهر هذه الخطة بما يلي: اذا حلّت اللحظة المناسبة في مطلع او في نهاية عام ١٩٧٥، فإنه في ذلك العام ينبغي تحرير فيتنام الجنوبية بكاملها وبدون ابطاء.



الاتجاه الهام للاعمال القتالية

في التاسع من كانون الثاني عام ١٩٧٥، وفي اليوم الثاني لانتهاء اجتماع المكتب السياسي، انعقد مؤتمر المكتب الدائم للجنة العسكرية التابع للجنة المركزية للحزب. ومن اجل الاطلاع بصورة مفصّلة على قرارات المكتب السياسي ودراسة طرق تطبيقها على ارض الواقع، دُعي الى المؤتمر كل من الرفاق: فوتي كونغ، تيو هوي مان، هوانغ مين تهاو، ولي شونغ تان

استمعنا الى مذكرة ممثل الاركان العامة حول اهداف ومهام العمليات المخططة في منطقة تاين هوين. وفي اثناء المؤتمر وردت انباء تفيد بأن العدو يواصل نقل فرقة الانزال الجوي من اجل الدفاع عن منطقة دانانغ. ومن هنا كان يمكننا ان نستنتج بأن العدو لم يكتشف بعد تجميع قواتنا وتحضيراتنا في منطقة تاين هوين.

في المؤتمر الذي عقده المكتب الدائم للجنة العسكرية، نضجت بصورة نهائية خطة الهجوم على بون ميت هوت. وادرك كافة المؤتمرين بشكل جيد الاهمية الكبرى للمعارك التي تدور حول المدينة الاقليمية، غير انه كان ينبغي دراسة الموقف على الارض من اجل تحديد طريقة توجيه الضربة، التي من شأنها ان تؤمّن لنا النصر السريع.

ما آن بدأ المؤتمر، حتى فُتح الباب فجأة ودخل الرفيق لي ديك تهو . وبعد ذلك عُلم بأن المكتب السياسي الذي يواصل اظهار قلقه حول اعداد خطة الاستيلاء على بون ميت هوت، هو الذي ارسل الينا الرفيق لي ديك تهو، من اجل ان يؤكد من جديد على العمل بجدية وحسم لاحتلال هذه المدينة. وقد قال الرفيق لي ديك تهو في كلمته الحماسية: «يجب ان نقرّر بحزم وبصورة نهائية مسألة تحرير بون ميت هوت. ففي منطقة تاين غوين لنا حوالى خمس فرق محتشدة هناك ، وهذا يعني انه لا يجوز لنا ابداً ان نخسر المعركة».

عند استخلاص نتائج اعمال المؤتمر، حدد سكرتير اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب ڤونغوين جياب منطقة وأهداف الهجوم، ومهام واتجاهات تطوير العملية، وأشار الى طرق خوض الاعمال القتالية بعد ان أكّد على أهمية الشعارات المطروحة «الجرأة، السرية، المفاجأة»، التي من اجل تحقيقها ينبغي مشاغلة قوى العدو ولفت انظاره نحو الجزء الشمالي من منطقة تاين غوين.

أُعطيت عملية تحرير تاين غوين الاسم الرمزي «العملية ٢٧٥».

توجّه قائد جبهة تاين غوين العميد فو لانغ مع مجموعة من ضباط اركانه الى منطقة بون ميت هوت لدراسة الموقف هناك.

ومن اجل الاشراف المباشر على العملية، وبناء على اقتراح الرفيقين لي سوان، ولي ديك تهو ارسلني المكتب السياسي واللجنة العسكرية، والقيادة العامة للجيش الفيتنامي الشعبي الى منطقة تاين غوين. وهكذا انهى المؤتمر التاريخي اعماله. وعانقني اعضاء المكتب السياسي على التوالي وصافحوني متمنين لي رحلة موفقة ونجاحات كبيرة. ومما يسعد جندي الثورة بالطبع ـ هو ان يتجه نحو المعركة. كما ان الصراع ضد عدو الوطن من اجل تطبيق قرارات الحزب على ارض الواقع؛ هو لا شك فيه سعادة عظيمة. حتى ان وجودي شخصياً على خطوط الجبهة كان يحمل إليّ دوماً الراحة النفسية والرضى. وهذا ما حصل فعلا خلال العملية التي جرت في منطقة الطريق رقم ـ٩ خلال ربيع عام ١٩٧١، وفي حملة الربيع ـ الصيف التي جرت في مقاطعة كوانغ هي. وبعد ان اجتمع اعضاء المكتب السياسي مع ممثلي الجبهات قلت للرفيق شان فان شا ما يلي: «في هذا العام يجب ان نستولي على تاين غوين قبل حلول موسم

الامطار. وبعد الانتهاء من العملية، سأصل الى نانبو لكي ادرس معكم على الارض الموقف، ونستعد لمواقع كبيرة خطط لها الحزب في فصل الجفاف ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦».

في هذا الجو المفعم بالحماس كان الجيش بأسره قد بدأ تحضيراته للعمليات المقبلة. وفي السادس والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٧٥، قُمت مع ممثل رئيس الاركان العامة العميد فونغ تهي تاين بزيارة فيلق الجيش الاول الذي كان يتمركز في نين بين، لكي أُصدر الى قيادته التوجيهات المحددة لعام ١٩٧٥. ان ذلك الفيلق الذي تم تشكيله من قطعات وتشكيلات ذات تقاليد قتالية عريقة ومآثر بطولية قامت بها خلال الحربين المنصرمتين ضد الفرنسيين والاميركيين، اصبح الآن قوة ضاربة رهيبة لديها الامكانيات القتالية العالية والمقدرة الكبيرة على المناورة. وعند حديثي الى ضباط ومقاتلي هذا الفيلق قلت: «يجب عليكم ان تنسّقوا اعمالكم مع أعمال الجبهة بكاملها. كما ان نبضات قلب فيلقنا يجب ان تتوافق مع نبضات قلب الجنوب العزيز. وعلى ضرباتنا الموجهة الى العدو ان تكون قوية ودقيقة وآنية اي في الوقت المحدد لها. كما يجب ان تنسّق مع الضربات الاخرى القوية التي تنفذها باقي التشكيلات. وآمل ان يكون لضربات فيلقكم ذلك الصدى الكبير، الذي يعم الجبهة بكاملها، وان تعزف جوقة الجيش والشعب الموحدة اناشيد والحان انتصاراتكم. واسمحوا لي الآن ان اسألكم: هل تستطيعون المشاركة في الجوقة المشتركة هذه؟ اذا كان الجواب نعم فإن قائد هذه الجوقة ـ اللجنة العسكرية، والقيادة العامة ـ مستعد لتقييم نجاحاتكم في حينه». ودوّى في صفوف الجنود صوت الموافقة الواحد: «نستطيع . . . نستطيع. سننتصر . . . سننتصر».

في الوقت نفسه كانت تتواجد في تاين غوين الفرق: ٣٢٠ ، ١٠ ، و٩٦٨، التي تمتلك خبرات عملية واسعة في خوض المعارك ضمن هذه المنطقة وفي المناطق الجبلية بصورة عامة. وفي نهاية كانون الاول عام ١٩٧٤، قررت القيادة العامة ان ترسل ـ بالاضافة الى ذلك ـ الفرقة ٣١٦ الى تاين غوين. وكانت هذه الفرقة قد شقت خلال العشرين سنة الماضية درب القتال المجيد، وقطعت آلاف الكيلومترات وهي تقاتل في مختلف المناطق. ففي سنوات المقاومة ضد الفرنسيين حققت هذه الفرقة اكثر من انتصار كبير. وفي النضال ضدالامبرياليينالاميركيين وعملائهم نفذت الفرقة ٣١٦ واجبها الأُممي زمناً طويلاً. فقبل ارسالها الى تاين غوين كانت تعسكر في الجزء الغربي

من مقاطعة نغيان. وتحركتُ الى هناك برفقة قائد المنطقة العسكرية الرابعة العميد دام كوانغ تشونغ. وبعد ان درست الموقف وشرحت قرارات المكتب السياسي واللجنة العسكرية قلت للقادة والمقاتلين: «هناك بيت من الشعر - لا اذكر من قاله - يحُرِّك المشاعر في نفوسنا جميعاً، ويزيد من نبضات قلوبنا كفيتناميين، ويدعونا لتقرير المصير، واذاقة العدو مرارة الهزيمة: - ثلاثون عاماً ونحن نحمل البنادقَ بأيدينا، والبلاد لا تزال ممزّقة، كالقمر في المحاق - والآن اصبح في مقدور الجميع العمل وخوض المعركة الفاصلة لاعادة توحيد الوطن. فالعدو الذي امامنا الآن يختلف كثيراً عن عدونا في السابق: فلديه امكانيات كبيرة، وساعده قوي وماكر وذو خبرات كبيرة، ولـديه الاسلحة والاعتدة الوافرة، والاساليب والطرق التكتيكية المتنوّعة. غير انه، كالعدو السابق يخوض حرباً غيرعادلة، ولذلك فإنه سيتكبد الهزائم الواحدة تلو الاخرى، وسيصطدم بالصعوبات الكثيرة، ويستنزف قواه المعنوية والمادية. وليس امام الفرقة ٣١٦ اي سبب او تبرير لعدم كسب المعركة. وفي الوقت الذي يتدحرج النظام العميل فوق منحدر حاد، فإن الثورة في الجنوب تمضي قدماً على طريق النْصر المشرق».

وبعد ان رفع المقاتلون والضباط ايديهم الى الاعلى هتفوا بأعلى اصواتهم: سننتصر، سننتصر. ثم قطعوا على انفسهم العهد قائلين: سنمضي بقدر ما تقتضيه الضرورة والمصلحة العامة، حتى نصل الى الغاية المطلوبة، ولن نعود الى منازلنا الا منتصرين ظافرين.

بناءً على قرار المكتب السياسي واللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب تم تشكيل هيئة تمثّل اللجنة العسكرية والقيادة العامة في جبهة تاين غوين. وقد ضمت هذه الهيئة في قوامها - بالاضافة إليّ شخصياً - رئيس هيئة الامداد العـامة اللواء دين ديك تهين، ونائب رئيس الاركان العامة العميد لي نفوك هين ، وعدداً آخر من الضباط المهرة في الاركان العامة، وممثلي مختلف انواع القوات المسلحة والصنوف.

خلال مرحلة حرب المقاومة ضد الفرنسيين، وخاصة في اثناء عملية ديان بيان فو كان الرفيق دين ديك تهين قد حصل على خبرات واسعة في مجال تنظيم اعمال النقل. وفي سنوات مقاومة التدخل الاميركي استطاعت المؤخرة، بقيادته، ان تتغلّب على الصعاب والمخاطر الكثيرة، وان تؤمن امداد القوات بكل ما يلزم لصد غارات الطيران الاميركي على شمالي البلاد، وتحطيم قوات العدو في مختلف جبهات

الجنوب. وتجدر الاشارة هنا بصورة خاصة الى خدمات وحدات المؤخرة والامداد في تأمين تنفيذ العملية في منطقة الطريق رقم - ٩ خلال ربيع عام ١٩٧١، وعملية تحرير كوان كوانغ هي في عام ١٩٧٢. ان الثوريّ النشيط وصاحب الارادة الحديدية دين ديك تهين لم يسبق له ان تراجع امام الصعاب، بل كان جريئاً وحاسماً وقادراً على قيادة الاعمال المعقدة والخطيرة. إلاّ انه كان قد جاوز الستين من عمره، الامر الذي جعله غير قادر على تحمل هذه الصعاب على الوجه المطلوب. وهذا ما جعله غير راضٍ عن نفسه بالذات. لقد كنا نعرف بعضنا البعض حتى قبل قيام الثورة، وقد ضمّنا سجن واحد في الماضي. لذلك مددت يدي لأربت على كتفه واقول: «ها قد حلّت ساعتنا الآن ايها العجوز القوي. ان المكتب السياسي اسند الينا المهمة. ولسوف نكسب هذه المعركة، وعند ذلك فقط نستطيع القول بأننا نفذنا واجبنا».

كان الرفيق لي نفوك هين زميلاً لي منذ بدء الانتفاضة العامة في عام ١٩٤٥ وقاتلنا معاً في المنطقة الثانية وفي الفرقة ٣٢٠ التي اطلق عليها اسم «فرقة السهول»، واستمرت رفقتنا القتالية حتى نهاية عام ١٩٥٣. وفي سنوات الحرب الاخيرة عمل لي هين في جبهات عديدة، ثم نقل بعدها الى العمل في الاركان العامة.

بعد ان تلقّى المهمة والتعليمات المناسبة كان الرفيق لي نفوك هين اول من توجّه الى تاين غوين ليدرس الموقف على الارض ويحضّر خطة الاعمال القتالية.

ان ضباط الاركان العامة وممثلي قيادات مختلف صفوف القوات الذين رافقوني خلال الحملات العسكرية في عامي ١٩٧١ و١٩٧٢ كانوا رجالا اشداء، وذوي خبرات واسعة في مجال عمل الاركان ضمن التشكيلات المشتركة. ولذلك فإنهم جمعوا كل قواهم وامكانياتهم لاستخدامها في الحملة القادمة بكل نشاط وسرور. كان قادتنا يسترشدون في حربهم ضد المحتلين، بمبادىء عامة. إلا أن لكل منهم اسلوبه في العمل. فقبل قيادم الثورة، وبناءً على اوامر حزبية اتبعت دورة عسكرية لمدة خمسة عشر يوماً، وبعد التحرير الكامل لشمالي البلاد استطعت اتمام التحصيل العلمي العسكري في احدى الاكاديميات العسكرية خارج البلاد. غير ان شخصيتي التي ترعرعت في احضان الحزب وتبلورت عبر المواقف النضالية القاسية، واصلت خلال فترة العمل السرّي، نضالها الدؤوب، كما انني غالباً ما كنت اقوم بنشاط ثوري بصورة مستقلة، عندما كان ينقطع الاتصال مع التنظيمات الحزبية. ومثل هذه

الظروف كانت تساعدني على تكوين تلك الخصائص في نفسي، مثل الاستقلالية في المحاكمة، والجرأة في اتخاذ القرارات.

وفي مطلع عام ١٩٥٢، وبعدِ ان اصبحت قائداً للفرقة ٣٢٠، قُمت بالاشتراك مع ضباط الاركان باعداد الخطة للاستيلاء على عاصمة مقاطعة فات زيم. وخلال المعارك استطاعت فرقتنا ان تخرق دفاع العدو الدائري وتوجه الضربة فجأة الى المدينة مباشرة، مما ادّى الى تدمير الاغراض العسكرية المعادية. واستطعنا الاحتفاظ بفات زيم لمدة يومين، ثم تخلينا عنها بعد ان نسفنا كافة التحصينات الموجودة حولها. وقد شبه المقاتلون طريقة الهجوم هذه بأعمال المظليين.

كنا جميعاً نفكّر طويلاً حول مكان المعارك القادمة. ان تاين غوين هي منطقة ريفيّة جميلة جداً في بلادنا. كما ان سكانها موالون للثورة. وقد ساروا وراء الحزب وزعيمه هوشي منه منذ ايام حرب المقاومة ضد الفرنسيين، ومنذ الايام الاولى للنضال ضد الامبرياليين الاميركيين، مُقدمين ارواحهم وممتلكاتهم فداءً للثورة. اضف الى ذلك ان منطقة تاين غوين خلّدتها القصائد الشعرية الرائعة، وهي تعتبر موطناً للابطال الشعبيين من امثال ماتشانغ لون، ونوب ، وبوك ڤيو . وهكذا فقد القيت على عواتقنا مهمة تحرير تلك المنطقة الجبلية الهضبية، وخاصة بون ميت هوت التي تعتبر اكبر مدينة في تاين غوين. ولكن كيف سنوجه الضربة للاستيلاء على المدينة في اسرع وقت وبصورة مفاجئة؟ ان النصر الذي تحقق في فيوك لونغ اكّد على ان جيشنا في عام ١٩٧٥ اصبح يمتلك كل المستلزمات تقريباً لتحرير مراكز وعواصم الاقاليم وغيرها من المدن الكبرى. غير ان الاستيلاء على العاصمة الاقليمية في تاين غوين كان بالطبع اصعب بكثير من الاستيلاء على مدينة فيوك لونغ.

في تلك الفترة كانت منطقة تاين غوين مقسّمة الى خمس مقاطعات هي: كون توم، زالاي، فوبون، دالارك، وكوانغ ديك. اما طبيعة الارض فهي جبلية مكسوّة بالغابات. وقبل البدء بتحضيراتنا للاستيلاء على تاين غوين كان العدو يحتفظ في هذه المنطقة بفرقة من قواته النظامية، وسبع مجموعات قتالية ذات مهام خاصة (اي ما يعادل عشرة افواج مشاة)، واربعة افواج مدرعة كما ان النظام الدفاعي للعدو كان متفوّقاً في هذه المنطقة ومنيعاً. غير ان العدو الذي لم يكتشف مضمون خططنا، والذي كان يظن بأننا سنهاجم تاين غوين من الشمال فقط، حشد قواته الرئيسية في منطقة

بليكو وكونتوم، اما في الجنوب، وبصورة خاصة في دارلاك فقد احتفظ بقوى محدودة نسبياً. كانت مدينة بون ميت هوت المدينة الرئيسية في مقاطعة دارلاك تضم ١٥٠ الف نسمة. وبالاضافة الى ذلك فإنها مركز سياسي واقتصادي هام لدى حكام سايغون. ففيها كانت تتمركز اركان الفرقة الثالثة والعشرين التابعة لجيش سايغون. إلا ان العدو في دفاعه عن بون ميت هوت ارتكب خطأً في تقديره لقواتنا، عندما ظنّ في عام ١٩٧٥ ان قواتنا غير قادرة على احتلال المدينة، وفي حال تمكنها من احتلالها فانها غير قادرة على الاحتفاظ بها. ولذلك، وعلى الرغم من الاهمية الاستراتيجية لموقع مدينة بون ميت هوت فإن قوات العدو التي كانت تحتشد في هذه المنطقة عند بدء المعارك، كانت قوات قليلة جداً، كما ان دفاع العدو كان يزداد ضعفاً في العمق، اي حول المدينة مباشرة. ان الاستيلاء على بون ميت هوت من شأنه ان يؤدي الى سقوط النظام الدفاعي للجيش العميل في منطقة تاين غوين ويسمح لنا باحتلال رأس جسر هام لتغيير الموقف بسرعة على تلك الجبهة.

بعد اتخاذ القرار النهائي لاحتلال مدينة بون ميت هوت، ارسلت الى لي نفوك هين الموجود في تاين غوين برقية مستعجلة اطلب فيها منه عدم العودة الى هانوي لتقديم المذكرة، والبقاء هناك لمتابعة دراسة الموقف في المدينة. وبعد ان يتعرّف على الموقف بالتفصيل كان ينبغي عليه القدوم الى اركان قائد مجموعة «شيونغ شون» (المجموعة ٥٥٩) دونغ شي نيغوين حيث ينتظرني هناك للتوجه معاً الى تاين غوين.

قبل رحيلي عرّجت على الرفيق تشيونغ تين لأودعه. وقد ألحّ في طلبه إلي ليعرف حقيقة الوضع في القوات، وحقيقة التحضير والإعداد للهجوم، راجياً لي العودة بالنصر والسلامة. وفي اثناء الطريق ذكّرني الرفيق بضرورة التقيد بتلك المبادىء، اثناء قيادة العملية، والتي كان قد طرحها هو بالذات في اثناء اجتماع المكتب السياسي. وما زلت اذكر كلماته الحكيمة حول الاتجاه المحتوم لتطوير الحرب الثورية، والتي كان قد تحدث بها بثقة كبيرة. اذ قال الرفيق تشيونغ تين: «ينبغي ان نحضّر عدداً من الضربات الكثيفة الاستراتيجية، المشابهة لضربة ديان بيان فو. ويكفي توجيه ضربتين ـ ثلاث ضربات مماثلة، لسحق العدو. كما يجب المحافظة على زمام المبادرة باستمرار، وضرب العدو في المكان الذي يضطّر فيه للوقاية، وعندئذ لا بد من ان يقع في المصيدة».

عندما استقبلني الرفيق لي ديك تهو قال: «ان النصر في هذه العملية الكبيرة من

شأنه ان يساعدنا على خلق موقف جديد ومّواتٍ- لنا جداً. وأرجو ان تهتموا بأنفسكم».

في أحد الايام الأخيرة من شهر كانون الثاني عام ١٩٧٥، جئت لأودع الرفيق لي سوان، الذي اشار من جديد الى الأهمية الكبيرة لتلك المعارك التي ستدور للاستيلاء على بون ميت هوت، والى اهمية منطقة تاين غوين في تحقيق التحول الحاسم للحرب، ثم سألني قائلاً:

ـ وهل تكفي القوى المخصصة لذلك؟ فأجبته على الفور:

ـ انها كافية الآن وبقوامها الحالي. كما ان استخدامها بمهارة قد يوفّر لنا التفوّق. عندئذ سألني السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب بإلحاح:

ـ وهل تلزمكم قوات اخرى؟

وهنا تذكرت الرفيق لي سوان خلال جولاتي السابقة في الجبهة، والذي كان يسألني باستمرار عما اذا كنا نحتاج الى تدريبات اضافية أو الى مساعدات عملية من جانب اللجنة المركزية. وفي نهاية اللقاء أكّد عليّ قائلاً:

ـ يجب وضع العديد من الحالات قبل التوصّل الى الطريقة الصحيحة لتوجيه الضربة. كما يمكن عمل الكثير في جبهة تاين غوين. وفي حال تحقيق النصر نستطيع تحرير فيتنام الجنوبية في هذا العام كما نرغب.

وبدوري نهضت لتوديع الرفاق ڤو نغوين جياب، وشونغ هاو، وهوانغ فان تهاي، ولي كوان داو اعضاء اللجنة العسكرية. وفي هذه الاثناء كانت افكارنا ومشاعرنا مشتركة ومتوافقة. واختتمنا الوداع بكلمات قليلة، الا ان المتوجهّين الى الجبهة ومودعيهم كانوا يفكرون بشيء واحد وهو: «خلافاً للمعارك السابقة، ينبغي علينا ان نحقق في المعارك القادمة التحوّل الحاد في سير الاعمال القتالية على جميع الجبهات».

الطريق الى الجبهة

توجهنا الى جبهة تاين غوين. وكانت مجموعتنا قد تلقت الاسم الرمزي لها «المجموعة أ ـ ٧٥».

وكان قد تقرر مسبقاً ان يستخدم الرفيق فونغوين جياب الرمز تين بينما استخدم انا الرمز توان في اثناء تبادل المعلومات وبحث المسائل المتعلقة بخطة العملية القادمة. ووفقاً للقاعدة المتبعة منذ القديم فقد كنت ارسل الى جميع الأُسر التي قدّمت المساعدة إلي في سنوات العمل الثوري السرّي الهدايا المتواضعة وبطاقات التهنئة في المناسبات. ولكي لا تتبدّل هذه القاعدة حتى في هذه المرة فإنني اعددت كل شيء، بحيث تصل هذه الهدايا والتهاني في الوقت المناسب الى اصحابها في حال غيابي.

وقد وقّعت مسبقاً نصوص برقيات التهنئة، التي قررت ارسالها بمناسبة يوم الجيش السوفييتي والقوات المسلحة الالمانية الشرقية، وكذلك بمناسبة الذكرى السنوية لتأسيس الجيش المنغولي الشعبي، والتي كان يحتفل بها سنوياً في شهري شباط وآذار.

في صباح الخامس من شباط (الخامس والعشرين من كانون الاول حسب التقويم القمري) وصلنا الى مطار زاليام من اجل التوجه الى دونغ هوي. وقد ودّعنا

نائب رئيس الاركان العامة العميد فونغ تهي تاي فقط وقائد قوات الدفاع الجوي والقوى الجوية العميد لي فان تشي.

وفي الساعة العاشرة وثلاثين دقيقة صباحاً اقلعت الطائرة من طراز انتونوف ـ ٢٤. وسرعان ما بدت لنا هانوي الجميلة من الجو وهي ترتدي الحلل الزاهية لاستقبال الربيع. هانوي ـ قلب وطننا، حيث وُلدتْ وتبلورت الفكرة الاستراتيجية للمكتب السياسي. واليوم تبدو العاصمة البطلة والجميلة اكثر جمالاً مما مضى. وفي اثناء تحليقنا في الجو تذكرنا توجيهات اعضاء المكتب السياسي واللجنة العسكرية، والمسؤولية الكبيرة التي اولانا إياها الحزب. كما ان اصداء كلمات الرفيق لي سوان كانت لا تزال تتردد في آذاننا: • «يجب وضع العديد من الحالات قبل التوصّل الى الطريقة الصحيحة لتوجيه الضربة».

اثناء التحضير للحملة العسكرية المقبلة، كان الجميع من القادة وحتى الافراد، متفائلين، ومتعطشين للقيام بالمآثر والبطولات. كما اننا كنا مستعجلين للوصول الى الجبهة بأسرع وقت ممكن، لكي نستكمل على الطبيعة دراسة الخطة الموضوعة للعملية، واقامة جهاز الرصد الدقيق لمراقبة اعمال العدو.

لقد افادت معلومات الاستطلاع بأن الرئيس هيو دعا في الثاني من ايلول، وفي العاشر من كانون الاول عام ١٩٧٤ الى عقد اجتماع لقادة الفيالق في مدينة سايغون وفي «قصر الاستقلال»، بغية دراسة اعمال قواتنا المرتقبة لعام ١٩٧٥. وقد توصّل العدو خلال ذلك الاجتماع الى الاستنتاجات التالية:

ان ابعاد اعمالنا العسكرية لعام ١٩٧٥ قد تكون اكثر اتساعاً مما كانت عليه في عام ١٩٧٤، إلّا انها لن تزيد عن ابعاد اعمال عامي ١٩٦٨ و١٩٧٢. فنحن لسنا اقوياء بالشكل الكافي، وليس في مقدورنا بعد احتّلال المدن والعواصم الاقليمية، واذا تسنى لنا ذلك فإننا لا نستطيع الاحتفاظ بها. كما ان امكانياتنا ـ في نظر العدو ـ لا تتعدّى الاستيلاء على المراكز الاقليمية المعزولة والصغيرة مثل فيوك لونغ وزانغيا. وان هدفنا الرئيسي لعام ١٩٧٥ هو تحرير جزء من دلتا الميكونغ، لا يتجاوز عدد سكانه المليونين، ثم توسيع المناطق المحررة في المناطق الجبلية. كما ان اعمالنا ستنحصر في الاحتفاظ بعدد من الانتصارات لاجبار العدو على تنفيذ اتفاقية باريس بشأن فيتنام. وقد توقّع العدو بأن اغراض ضرباتنا في مطلع عام ١٩٧٥ هي منطقة الفيلق الثالث،

وخاصة مدينة تينين التي سنحاول الاستيلاء عليها من اجل تحويلها الى عاصمة لجمهورية فيتنام الجنوبية، والى مكان لتواجد الحكومة الثورية المؤقتة. اما بشأن توقيت هجومنا فقد توقع العدو بأننا سنقوم بأعمال حربية قبل او بعد رأس السنة القمرية؛ ونواصل هذه الاعمال حتى حزيران من عام ١٩٧٥، حيث يحلّ موسم الامطار. وعلى ضوء هذه التصورات اصدر هيو اوامره الى جنرالاته لتنظيم مجموعة «سلسلة» من الضربات الوقائية، من اجل إحباط استعداداتنا للهجوم. كما ان رئيس وزراء سايغون شان هين كهيم عقد مع قادة مناطق الفيالق اجتماعاً يهدف الى التحضير لعمليات «المهادنة الفورية» والتي وضعت للربع الاول من عام ١٩٧٥. كان يجب على قوات النظام العميل القيام ـ خلال هذه العمليات ـ بإحباط «حملة الفيت كونغ الشتوية ـ الربيعية». ومما سبق ذكره يمكن استخلاص الاستنتاج التالي: العدو لم يغير نظامه في الحشد الاستراتيجي لقواته على المجنبات (منطقة الفيلقين الاول والثالث)، كما انه لم يعزز بصورة ملموسة قوى منطقة الفيلق الثاني التي كانت تضم منطقة أقليم تاين غوين.

في مطلع عام ١٩٧٥ كانت قوات النظام العميل تضم مليوناً و٣٥١ الف رجل. من بينهم: ٤٩٥ الفاً في القوات النظامية، و٤٧٥ الفاً في التشكيلات الاقليمية، و٣٨١ الفاً في قطعات قوات ما يسمى «بالدفاع الذاتي المحلي». كما ان القوام القتالي الاجمالي لهذه القوات كان يضم ثلاث عشرة فرقة، وثماني عشرة مجموعة قتالية من القوات الخاصة، التي كانت تتمركز على النحو التالي:

منطقة الفيلق الاول ـ خمس فرق من الجيش النظامي (بما في ذلك فرقتان من الاحتياط الاستراتيجي)، واربع مجموعات قتالية من القوات الخاصة، وإحدى وعشرون كتيبة مدفعية، وعدد من السرايا والفصائل (اي ما مجموعه ٤١٨ مدفعاً)، وخمسة افواج مدرعة وست كتائب دبابات (٤٤٩ عربة قتالية)، وفرقة جوية واحدة (٩٦ طائرة قتالية). والجدير بالذكر ان مهمة معظم تشكيلات الجيش النظامي كانت تنحصر في الدفاع عن هيو ودانانغ.

منطقة الفيلق الثاني ـ تضم فرقتين من الجيش النظامي، وسبع مجموعات مقاتلة من القوات الخاصة، واربع عشرة كتيبة مدفعية وعدداً آخر من السرايا والفصائل (اي ما مجموعة ٣٨٢ مدفعاً)، وخمسة افواج مدرعة وثلاث عشرة كتيبة دبابات (٤٧٧ عربة

قتالية)، وفرقتين جويتين (١٣٨ طائرة قتالية). وقد تمركز القسم الاكبر من قوات تشكيلات الجيش النظامي في تاين غوين، وكذلك في السهول وفي النطاق الساحلي البحري.

منطقة الفيلق الثالث ـ التي تضم ثلاث فرق من الجيش النظامي، وسبع مجموعات مقاتلة من القوات الخاصة، واربع عشرة كتيبة مدفعية وعدداً من السرايا والفصائل الاخرى (اي ما مجموعه ٣٧٥ مدفعاً)، وسبعة افواج مدرعة وخمس عشرة كتيبة دبابات (٦٥٥ عربة قتالية)، وفرقتين جويتين (٢٥٠ طائرة قتالية). هذا وقد تمركزت جميع قطعات الجيش النظامي على القوس (الممتد من الشمال الغربي نحو الشمال الشرقي)، وبمحاذاة النطاق الدفاعي المضروب حول سايغون، اي بنصف قطر ٥٠ كيلومتراً تقريباً.

منطقة الفيلق الرابع ـ وتضم في قوامها ثلاث فرق من الجيش النظامي، وثماني عشرة مفرزة من قوات الدفاع الذاتي المحلي، وخمس عشرة كتيبة مدفعية، وخمساً وخمسين سرية مدفعية (اي ما مجموعه ٣٨٠ مدفعاً)، وخمسة افواج مدرعة وسبع عشرة كتيبة دبابات (٤٩٣ عربة قتالية)، وفرقة جوية واحدة (٧٢ طائرة قتالية). وقد بلغ مجموع القوات البحرية المعادية في هذه المنطقة ٥٨٠ سفينة من مختلف الانواع. كما ان قطعات الجيش النظامي كانت تنفذ هنا مهمة الدفاع عن منطقة كان تهو، وتيونغ تهين، والطريق رقم ـ ٤، والنطاق الحدودي.

ان الوضع السيء في جانب العدو بصورة عامة، واخطاءه الفادحة في حساباته الاستراتيجية لتقييم قواتنا، وتجميع القوات الذي بني على هذا الاساس، والمواقف التكتيكية الخاطئة، كل ذلك ادّى الى اصابة الجيش العميل بالهزائم الساحقة خلال وقت قصير.

هبطت الطائرة في دونغ هوي. وكان باستقبالنا في المطار قائد المجموعة ٥٥٩ اللواء دونغ شي نيغوين، الذي قدم خصيصاً من مقاطعة كوانغ شي.

بعد ان استقلينا السيارة توجهنا نحو كوانغ شي. وكانت سيارة الجيب غاز التي تقلّنا تتأرجح فوق حفر الطريق الممتدة بين نهر ليت هيو ومدينة هوسا ـ لان هذه المنطقة تعرضت لقصف جوي عنيف خلال سنوات عديدة، الا ان مقاتلينا نفذوا فيها المآثر

البطولية الكبيرة في اثناء نقل الامدادات الى خطوط الجبهة.

وفي نهر بن هاي ركبنا زورقاً بخارياً، اتجه بنا بعكس اتجاه تيار الماء. كان ذلك اليوم مشمساً، وبارداً على غير عادته. وعند المساء نزلنا الى الشاطىء وتوجهنا الى اركان المجموعة ٥٥٩، التي كانت تتمركز في الجزء الغربي من منطقة زولين.

كانت المجموعة ٥٥٩ قد شكّلت في ايار عام ١٩٥٩ (من هنا اخذت هويتها) ووضعت تحت امرة القيادة العامة للمؤخرة مباشرة. كما ان تاريخ هذا التشكيل، شأنه في ذلك شأن جميع مصالح المؤخرة، يعكس عملية تأسيس، وتدريب واعداد وتطوّر جيشنا، وبعد النظر، والنضج في مسائل التأمين المادي للجيش. ويمكن ان نطلق كلمة واحدة هي «المأثرة» على جميع ما قام به مقاتلو المجموعة ٥٥٩ من اعمال خلال سنوات الحرب.

لقد ولدت مصالح ومؤسسات مؤخرتنا في مطلع عقد الخمسينات، عندما كانت تدور حرب المقاومة ضد الفرنسيين. وقد لعب دوراً كبيراً في تأسيسها الرفيق شان دانغ نين عضو اللجنة المركزية للحزب والثوري الصلب، الذي فرّ مرتين من سجن الاستعمار الفرنسي قبل الثورة. ولو ان شان دانغ نين لا يزال حياً حتى الآن، لكان اسعد الناس، عندما يرى كيف تعاظمت قوة وامكانيات مصالحنا ومؤسساتنا الادارية، وهذا ما كان يحلم به باستمرار.

في خدمة الجبهة الآن اكثر من ١٠ آلاف سيارة شاحنة، تتبع لمختلف القطاعات والمناطق العسكرية، وكذلك لوزارة المواصلات والنقل، التي خصصت قسماً من آلياتها لتعزيز مؤخرة الجيش. كما ان مؤخرة الجيش قامت بواجباتها على أكمل وجه واستطاعت ان تؤمن تنفيذ خطط الامداد السنوية، مع الاستهلاك الاقتصادي للاحتياطات اليومية والشهرية، ونفذت المهام الاخرى لسد جميع احتياجات القوات، كما انها قامت بواجبها الأممي تجاه جيوش البلدان الشقيقة. ومما زاد في سعادتنا هو ان مقاتلينا، في الآونة الاخيرة كانوا يدخلون المعارك بأرتال ميكانيكية، ولا يعانون من اي نقص في الامداد، والعتاد القتالي، والاسلحة. كما ان المواد الغذائية الوطنية المركزة من نوع «آ ـ ٧٢» كان لها مذاق حسن الى حد كبير.

في الوقت الذي كانت تجري فيه التحضيرات للعملية في تاين غوين، كانت

مصانع ومعامل الدفاع ترسل الى الجبهة الانواع الاولى من المدافع الثقيلة والقذائف المصنوعة بأيدي العمال الفيتناميين. هذا وقد قامت الثورة العلمية التقنية بخطواتها العملية الاولى في مجال صناعات الدفاع.

كلّما ازداد عدد الجولات التي كنت اقوم بها على خطوط الجبهة، كنت ارى بوضوح اكبر القوة المتعاظمة للمؤخرة ـ الشمال الاشتراكي . ان المؤخرة هي بدون شك احد العوامل الاساسية والدائمة لتحقيق النصر في الحرب. فالشعب البطل ضمن حدود المؤخرة البطلة، كان يضحّي بكل شيء من اجل ان يرسل الى خطوط الجبهة كل ما تحتاج اليه القوات، بما في ذلك ابناءه الاعزاء.

في اركان المجموعة ٥٥٩ استقبلنا لي نفوك هين الذي كان قد وصل للتو من تاين غوين، كما كان متفقاً عليه من قبل.

في تلك الليلة لم نذق طعم النوم لأن افكارنا كانت مشغولة على الدوام بالعملية المرتقبة. فكيف ننفذ عملياً فكرة المكتب السياسي بشأن التحرير الكامل للجنوب؟ وكيف سنحقق النصر في تاين غوين، وخاصة في بون ميت هوت؟ وما هي قوة الضربة اللازمة لتحطيم العدو بسرعة؟ لقد تذكرت الاساليب القتالية التقليدية لشعبنا، وانتقيت في ذهني الطرق المثالية لخوض المعارك، التي اتبعها جيشنا خلال الثلاثين سنة الماضية. وفي نهاية المطاف تم الاتفاق على اتباع الطريقة التي كنت استخدمها في السابق لتوجيه الضربة. انها تتمثل في المفاجأة، والمفاجأة وحدها، اي توجيه الضربة كالصاعقة، وسحق اركانات ومقرات قيادة الجيش المعادي في بداية المعركة. ولكن هل يسمح الموقف بهذا العمل؟

في الصباح استيقظنا مبكراً. وابلغنا لي نفوك هين عن الموقف في جبهة تاين غوين، واطلعنا على الخطة الاولية للاعمال القتالية. ومن خلال مذكرات دين ديك تهين، ودونغ شي نيغوين حول التحضير للعملية، توصلنا الى قناعة، مفادها ان الجبهة مؤمّنة بكل ما تحتاج اليه لخوض الاعمال القتالية على نطاق واسع: نقلت الكميات اللازمة من الأرز، والقذائف، والبنزين والسيارات لنقل القوات. ان هذا كله طمأننا الى حد كبير. كما ان افراد المؤخرة يدركون جيداً بأن الانتصارات ستتحقق كلما اشتدت حدة المعارك، وكلما جرى تعويض المستهلك من الامدادات بالسرعة المطلوبة.

في اليوم التالي عاد دين ديك تهين الى كوانـغ بين لكي يعجل بنقل مستودعات الذخائر الى تاين غوين، ولكي يشرف بنفسه على شحن تلك الانواع من القذائف، التي لها الافضلية الاولى. وفي هذا الوقت كنا نواصل سيرنا نحو الجنوب. وقد جددنا طلاء لوحة السيارة، واضفنا اليها الحرفين «TS» والرقم ٥٠ الأمر الذي ساعدنا على التحرك في جبال شيونغ شون بدون مصاعب. ومن اجل تحاشي العراقيل، وبغية وصولنا بسرعة الى المكان المحددة، اي الى مقر قيادة جبهة تاين غوين، رافقنا نائب قائد المجموعة ٥٥٩ العقيد ڤان كهان هي.

ان الطريق الاستراتيجية التي تحركنا عليها، كان جنودنا قد شقوها بإصرار، وبتضحيات كبيرة. وهناك كنا نرى الجنود الذين يعملون على طول امتداد الطريق بالفؤوس والمعاول، ويغنون بمرح كبير ويرقصون عند مشاهدتنا. كما اننا كنا نشاهد الفتيات التابعات الى مفارز الشبيبة، وهنّ يبتسمن وينشدن الاناشيد الوطنية ويلوّحن بإيديهن قائلات:

ـ ايها الرفاق القادة . . . قريباً سيحلّ يوم رأس السنة القمرية، ولم نتسلم بعد اية رسائل من اقاربنا. ثم قدمنا اليهنّ هدايا صغيرة: بضع مئات من دبابيس الشعر النسائية الرمزية المزركشة.

وبعد نقل الذخائر الى الجبهة، عادت ارتال الشاحنات نحو الشمال بسرعة، وكان سائقوها يهتفون:

ـ ايها الرفاق القادة. . . العام الجديد على الابواب، وليس في حوزتنا لفافة تبغ واحدة. وعلى الفور قدمنا اليهم عدداً من علب السجائر. وعلى الطريق التقينا بالفرقة ٣١٦، التي كانت اول من يتوجه الى الجبهة برتل يضم ٥٠٠ سيارة شاحنة. وكانت قيادة هذه الفرقة قد تلقت الاوامر لتأمين الحد الاقصى من السريّة في التحركات، ولذلك فإن هذه الفرقة لم تستطع ان تستخدم الاتصال اللاسلكي منذ لحظة تحركها الى الجبهة وحتى بدء الرشقات الاولى للمعركة. وفي الوقت نفسه كان استطلاعنا يلتقط مكالمات اثنين من العمال اللاسلكيين للعدو، وقد علمنا من هذه المكالمات ان العدو لم يستطع ان يتتبع تحركات هذه الفرقة ولا يعلم اي شيء عن وجهة تحركها. والجدير بالذكر ان الجنود الاقوياء والسعداء والفرحين كانوا يلوّحون لنا بأيديهم وبخوذاتهم وهم في السيارات. وعلى طول امتداد الطريق كنا نسمع دويّ محركات الدبابات

والعربات المدرعة والقاطرات التي تقطر المدافع البعيدة المـدى والمدافـع المضادة للطائرات، والسيارات الشاحنة الكبيرة التي كانت تتحرك ببطء وبرتل لا متناه نحو الجبهة.

توزيع القوى

قضينا ليلة رأس السنة القمرية في مقر قيادة فرقة الهندسة الـ ٤٧٠، المتمركز في بلدة يادرانغ. ومنذ ايام خلت كانت الطائرات السايغونية من نوع أ ـ ٣٧ قد اسقطت قنابلها بالقرب من هذه النقطة وأحرقت سيارتين من سياراتنا. وعلى الرغم من ذلك فإن جنود وضباط الفرقة احتفلوا بعيد رأس السنة بالشكل اللائق. وفي كل مكان كانت تسطع المصابيح الكهربائية المموهة بألوان مختلفة. وكما هو متبع في مثل هذه المناسبة فقد تمنىّ كل مقاتل النجاحات الجديدة لرفيقه.

بعد وصولنا الى تاين غوين حددنا مكان تمركز مقر قيادتنا غربي بون ميت هوت وبالقرب من اركان الجبهة. وقد تم تمويه مقر قيادتنا وسط حرش اخضر صغير، يقع وسط غابة كثيفة. وقد حُظّرت الحركة، والقيام بأية تدابير اخرى وسط الغابة، او اشعال عود ثقاب واحد. واصعب مسألة كانت تواجه القوات هي مسألة الاتصالات. لان ارض الغابة مغطاة بالاوراق والحشائش سريعة الاشتعال وأي حريق سيحدث سيؤدي الى تلف الخطوط وانقطاعها، وكان الجنود يعودون من عمليات اصلاح هذه الخطوط بوجوههم وايديهم السوداء، الملطخة بهباب الفحم، وكأنهم قادمون من منجم فحم. كما ان صعوبات كبيرة كانت تظهر بسبب وجود الفيلة، التي كانت تتحرك في

تلك المناطق على شكل قطعان، يضم كل منها بين ٤٠ و٥٠ فيلاً. وهذه الفيلة كانت تقطع خطوط الهاتف الممتدة حتى فوق الاشجار العالية.

وخلال الاجتماع الذي عقدته قيادة الجبهة، وبتكليف من اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب، والقيادة العامة، اعلنت عن تشكيل قيادة لجبهة تاين غوين تضم القوام التالي: اللواء هوانغ مين تهاو ـ قائداً للجبهة، العقيد نيغوين هيب (دانغ فو هيب) ـ مفوضاً سياسياً، العميد فولانغ، والعقداء فان هام، ونيغوين لانغ ـ نواباً لقائد الجبهة، والعقيد في تشو هام ـ نائباً للمفوض السياسي.

قمنا بدراسة الموقف من جديد على خطوط الجبهة. ففي هذا الوقت كان العدو يواصل الاحتفاظ بفرقة واحدة من القوات النظامية، وبسبع مجموعات مقاتلة من القوات الخاصة (حوالى عشرة افواج)، وخمسة افواج مدرعة، وثماني كتائب مدفعية، وبفرقة جوية واحدة في منطقة تاين غوين، وذلك للدفاع عن المنطقة الشمالية الجبلية لذلك الاقليم بصورة خاصة. وفي شمال تاين غوين كانت تتمركز ثمانية افواج مشاة واربعة افواج مدرعة. اما في الجنوب فكان يعمل فوجان من المشاة فقط.

ان مثل هذا التوزيع للقوى، جاء نتيجة للتصورات التالية لدى قائد منطقة الفيلق الثاني العميد فام فان فو: ان مدينة بليكو ستكون الغرض الاساسي لضربة الوطنيين الفيتناميين، لانها تعتبر اهم قلعة دفاعية في اقليم تاين غوين، ففيها تتمركز اركان فيلق الجيش، ومنها يسهل شن الهجوم نحو اقليم بين دين. وبالاضافة الى ذلك فإن بليكو تقع بالقرب من خطوط الامداد وقواعد مؤخرة قوات التحرير الشعبية الفيتنامية. كان الجنرال فو يقع تحت تأثير كابوس مقلق للغاية وهو: «ان من يستولي على تاين غوين سوف يستولي على جنوبي فيتنام بأسرها. وهو يرى ان قوات التحرير الشعبية الفيتنامية ستوجه الضربة الحاسمة في منطقة بليكو وكونتوم بالذات. وان فقدان بليكو وكونتوم سيؤدي حتماً الى فقدان بون ميت هوت.

على الرغم من ان العدو كان يدافع عن اغراض كثيرة في اقليم تاين غوين، فإنه لم تتوافر لديه القوات المتحركة الكافية هناك. والحقيقة ان العدو كان بإمكانه التصدّي لقواتنا عن طريق استدعاء قوى اضافية من منطقتي الفيلقين الاول والثالث، او انه قد يستخدم احتياطات اخرى للدفاع عن منطقة تاين غوين.

كانت القيادة العميلة في سايغون تعلّق آمالاً كبيرة على امكانية نقل التعزيزات بالطائرات والحوامات.

وكانت قواتنا المخصصة للاشتراك في تنفيذ العملية، مؤلفة من تشكيلات الجيش النظامي التي كانت تتمركز في تاين غوين، وفي المنطقة العسكرية الخامسة ومن احتياطات القيادة العامة. كما ان هذه القوى كانت مستكملة بشكلٍ كافٍ، وكان الجنود مدربين تدريباً عالياً، وممتلئين حماساً وتصميماً على النصر. اضف الى ذلك ان العديد من التشكيلات كان يتمتع بخبرات قتالية واسعة، ويعرف الأرض جيداً في منطقة الاعمال القتالية المقبلة. ومن اجل تأمين المناورة خلال العملية بُنيت شبكة من الطرقات، وكدّست الاحتياطات، وأُقيمت شبكة من مقرات القيادة. ومن حيث التعداد فإن مشاتنا العاملة في تلك المنطقة لم تكن تتفوّق كثيراً على مشاة العدو. ولكن، بما اننا حشدنا قسمًا كبيراً من القوى على الاتجاه الرئيسي فقد جاء التفوق هنا لصالحنا ويمكن التعبير عنه بالارقام التالية: بالمشاة ٥,٥ الى ١، بالدبابات والعربات المدرعة ٢ الى ١، وبالمدفعية الثقيلة ٢,١ الى ١. وعلى الرغم من هذا التفوّق الظاهر كانت هناك نواقص اخرى لدى قواتنا: عدم تساوي الأهلية والاستعداد لخوض الاعمال القتالية على نطاق واسع، ونقص الخبرة في خوض المعارك ضمن الشوارع والمدن، وافتقار بعض التشكيلات للخبرات والمهارات في تنظيم التعاون بين مختلف صنوف القوات.

في اجتماع اركان الجبهة، حددنا بسرعة وباتفاقٍ تام المهام والاهداف الاساسية للعملية، إلّا ان المسألة المتعلقة بطريقة توجيه الضربة استغرقت دراستها وقتاً طويلاً. وفي نهاية الامر تم التغلّب على هذه الصعوبة ايضاً وتوصّلنا الى اتفاق كامل حول هذا الموضوع. ففي الهجوم الشامل عشية عيد رأس السنة القمرية (١٩٦٨) استخدمت قيادة قوات التحرير الشعبية الفيتنامية التشكيلات والقطعات المختارة بصورة عامة وذلك لتوجيه الضربات الى جميع المدن الكبرى، ومراكز الاقاليم في الجنوب. وقد تم ذلك في الوقت الذي كانت قواتنا تتخلّف من حيث التعداد والتجهيز عن قوات العدو، ولذلك لم نستطع التمسّك بمدينة واحدة محرّرة. وفي عام ١٩٧٢ استطعنا خلال شهر من الاعمال الهجومية ان نحطّم الفرقة السايغونية الثالثة، وان نحرر في الاول من ايار مقاطعة كوانغ هي بكاملها. وبعد ذلك اخذت الاعمال القتالية تخف

حدتها في كافة مناطق فيتنام الجنوبية بسبب حلول موسم الامطار. واستفاد العدو من هذه الظروف فدفع الينا بفرقة انزال جوي، وبفرقة مشاة بحرية وعدد آخر من التشكيلات والقطعات التي حاولت من جديد الاستيلاء على كوانغ هي بدعم من القوى الجوية والبحرية الاميركية. وعلى الرغم من النجاح في صد الهجوم المعاكس للعدو (تجدر الاشارة هنا بصورة خاصة الى الدفاع البطولي عن مدينة كوانغ هي ذات القلعة القديمة، والذي استمر ٨٦ يوماً)، فإننا لم نستطع في نهاية المطاف من الاحتفاظ إلّا بالمنطقة الواقعة على الضفة اليسرى لنهر تهاتهان فقط. فالعدو استولى من جديد على قضاء هاي لانغ، وعلى قسم من قضاء تشيوفونغ، وكذلك على مركز الاقليم والقلعة القديمة المدمّرة.

اثناء التحضير للعملية القادمة، حاولنا قدر الامكان الاستفادة من الخبرات القتالية التي حصلت عليها القوات، الا اننا انطلقنا من المهام، ومتطلبات الاستراتيجية، ومن خصائص الموقف على تلك الجبهة. ووفقاً لذلك تم وضع الخطة التالية لتوجيه الضربة الى تاين غوين:

زج قوات كبيرة جداً من اجل العمل على قطع الطرقات رقم ـ ١٩، ١٤، و٢١، وتمزيق قوى العدو. فمن الناحية الاستراتيجية كانت مهمتنا تنحصر في عزل تاين غوين عن السهول الساحلية، ومن الناحية العملياتية كانت تنحصر المهمة في عزل بون ميت هوت عن بليكو، وعزل بليكو عن كونتوم. وفي الوقت نفسه كان يجب تعزيز وتصعيد الاعمال التظاهرية من اجل الحد من نشاط العدو وارغامه على تركيز اهتمامه وقواه في الجزء الشمالي من تاين غوين. ومن اجل تحقيق المفاجأة كان ينبغي علينا ان نحافظ على امكانية ضربتنا المراد توجيهها الى الجزء الجنوبي من تاين غوين طيّ السر والكتمان الشديد حتى بدء قصف بون ميت هوت بالمدفعية على الاقل، هذا من جهة.

ومن جهة اخرى ـ وهذا هو الاهم ـ فقد تقرر البدء بالعملية على شكل هجوم حاسم على بون ميت هوت. ولهذه الغاية كان ينبغي تشكيل مجموعات ضاربة من القطاعات المشتركة (على مستوى الفوج)، التي زجت في المعركة من العمق وهاجمت المدينة دون ان تتوقف من اجل تطهير نقاط الاستناد المعادية على النطاق الخارجي للدفاع. وكانت مهمتها تنحصر في اقتحام مركز المدينة فجأة ثم تدمير مقرات القيادة

وأهم اغراض العدو بسرعة وبالتعاون مع مفارز القوات الخاصة والمشاة. وبعد التحصّن داخل المدينة يجب عليها توجيه الضربة الى نقاط استناد العدو الذي فقد قيادته واصيب بالهلع والذعر على النطاق الخارجي للدفاع. وفي الوقت نفسه كان يجب العمل بسرعة على تشكيل احتياط كافٍ، وقادر على صد كافة الهجمات المعاكسة للعدو الهادفة الى إخراج قطعاتنا من بون ميت هوت.

لم يكن بالامكان بدء العملية بضربة مباشرة موجهة الى بون ميت هوت، لان القيادة المحلية كانت قد حشدت، عند وصولنا الى تاين غوين، قوى كبيرة جداً في المنطقة ديك لاب ـ داك شونغ ، بقصد تدمير القوى الحيّة للعدو وتحرير قطاع من الطريق رقم ـ ١٤، كمعبر استراتيجي نحو نامبو. وكان من شأن اعادة تجميع القوى ان استغرق وقتاً كبيراً، وخلق مصاعب اضافية وخاصة ما يتعلق بتأمين السريّة للعملية المقبلة. ولذلك فإننا قررنا الاستيلاء على ديكلاب بالأفضلية الاولى، وتوجيه الضربة الى بون ميت هوت في اليوم التالي، بعد عزلها وتطويقها من جميع الجهات.

لقد واصلنا دراسة الموقف بدقة في بون ميت هوت . وقد افادنا احد الضباط، الذي تسلّل على رأس مجموعة من جنود الاستطلاع الى المدينة بما يلي:
«ان مركز الاقليم كبير جداً، ولا يقل حجماً عن هاي فون». وكنا نعلم بأن بون ميت هوت هي اصغر من هاي فون، إلا أنها على الرغم من ذلك ، مدينة كبيرة بضواحيها الكثيرة. ولا شك ان ابنيتها العالية، وانوارها الليلية الساطعة كانت قد تركت لدى جنود الاستطلاع انطباعاً غير صحيح عن اتساع تلك المدينة. كما ان عدداً من العاملين في المنظمات السريّة كانوا قد استدعوا الى اركان الجبهة لتقديم تقاريرهم عن الموقف في بون ميت هوت. كما قدم الرفيق بوي شان (دانغ تشان تهي)، عضو مكتب الحزب في المنطقة العسكرية الخامسة، والرفيق هوين فان مان (كان) السكرتير الاول للجنة الحزبية في مقاطعة دارلاك الى مقر قيادتنا، لشرح الموقف السياسي واستعراض الحركة الثورية في المقاطعة، وقواعد قوى التحرير في المدينة.

قبل القيام بالجولة الى الجبهة عقد في هانوي اجتماع للجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب، بحضور الرفيق فو لي كونغ. وفي ذلك الاجتماع طلبنا من قيادة المنطقة العسكرية الخامسة ان ترسل الرجال مسبقاً الى تاين غوين من اجل دراسة الموقف، بحيث نستطيع عند وصولنا الى هناك تنسيق العمل المشترك بسرعة.

وبالاضافة الى ذلك كنا قد القينا القبض على احد جنود استطلاع العدو التابع للفوج الخامس والاربعين، وحصلنا منه على المعلومات الاضافية. واستطعنا خلال فترة التحضير بأكملها ان نراقب خطوات العدو وتحركاته. وعن طريق التنصت على المكالمات اللاسلكية للعدو علمنا بأن قيادة الجيش السايغوني العميل اصدرت اوامرها الى الاستطلاع للعمل على تحديد مكان وجود فرقتنا العاشرة مهما كلف ذلك من ثمن. ولذلك فإن قيادتنا اصدرت اوامرها الى القوات للمحافظة على سريّة التحركات قدر الامكان. كما نفذت اعمال تظاهرية لايهام العدو بأن الفرقة العاشرة لا تزال موجودة في شمالي تاين غوين.

ظلت مدفعية العدو لعدة ايام تقصف ضواحي بون ميت هوت، وذلك من اجل تقديم الدعم الى المجموعات الاستطلاعية والتخريبية التي كانت تحاول التسلّل الى عمق المنطقة المحررة. كما ان طيران العدو قام بقصف مواقعنا الموجودة الى الشمال من كونتوم، بينما كانت طائرات الاستطلاع تحلّق باستمرار فوق ديكو والجزء الشمالي الشرقي من مقاطعة كونتوم. وقام العدو بنقل قوات اضافية الى بليكو. وفي مساء الخامس والعشرين من شباط عام ١٩٧٥، اجتمعنا في اركان قيادة جبهة تاين غوين الواقعة في ادغال دارلاك، وقد تم ذلك خلال قصف مدفعية العدو المستمر. اجتمعنا هناك كي نتدارس ونصدّق على خطة المعركة لتحرير بون ميت هوت. وقد اشتملت تلك الخطة على حالتين تكتيكيتين: الاولى اخذت بعين الاعتبار امكانية تعزيز الدفاع المعادي، والثانية اخذت بعين الاعتبار استقرار الموقف المتشكّل. وباسم القيادة العامة صدّقت على الخطة واشّرت على الخريطة التي كانت قد حددت عليها أهداف وقوى العملية التي ستقوم بالتنفيذ، واتجاهات هجوم قواتنا على بون ميت هوت. ووقّع كل من قائد الجبهة هوانغ مين تهاو، والمفوض نغوين هيب على الخطة بالقرب من توقيعي. وبعد ذلك صافحنا بعضنا البعض وتمنينا لبعضنا البعض النصر والنجاح. ثم تحدثت الى الحضور قائلا:

«ان توجيه الضربة الى العدو بطريقة غير مألوفة، وفي اللحظة التي لا يتوقعها سوف يضع العدو في موقف خطير للغاية. لذا ينبغي علينا ان نفكر جيداً ونؤمن السرية الكاملة لاعداد العملية، والمفاجأة لاعمالنا من اجل كسب المعركة، آخذين بعين الاعتبار بأنه ليس لدى العدو تعزيزات في الوقت الحاضر. واذا ما حصل على

هذه التعزيزات، وعزز دفاعه، فإنه يجب علينا العمل وفقاً للحالة الاولى من العملية. ان هذا قد يحصل، ويخلق لنا الصعاب، غير أننا سنحرز النصر في كلتا الحالتين.

وحتى الآن لا يشك العدو لحظة واحدة في اننا نستطيع بدء الهجوم بقوات كبيرة. فهو لا يعرف شيئاً عن توقيت بدء العملية. كما انه لا يمتلك ولن يمتلك المعلومات الدقيقة عن حجم قواتنا الموجودة في منطقة بون ميت هوت، إذا نحن لم نكشف انفسنا اثناء وصولنا الى خطوط الانطلاق. ولذلك يجب علينا في الايام القادمة ان نواصل تضليل العدو، ونجعله يعتقد بأن الاغراض الرئيسية لهجومنا هي كونتوم وبليكو. وعلى ذلك سيتوقف تقرير مصير ما اذا كان الموقف المؤاتي سيتشكل ام لا لتوجيه الضربة. كما يجب ايضا تصعيد اعمال قواتنا في منطقة كونتوم، وبليكو بغية الامعان في تضليل العدو وخداعه.

امامنا الآن عدد من المسائل الهامة الواجب حلّها وأهمها: كيف ستوجّه الضربات الى المراكز الاقليمية والمدن الكبرى؟، ففي المرحلة الاخيرة من الحرب الثورية وعندما ستحطم قواتنا قوى العدو، يجب علينا ان نزج في المعركة القوى الاضافية لتدمير تشكيلات العدو الكبيرة وتحرير المدن. وقد لا نجد السبل اللازمة لذلك. اما ما يتعلق بالمعارك القادمة لتحرير بون ميت هوت، فإن ميزان القوى لصالحنا هنا. وفي هذه الحالة لدينا ثلاث فرق بينما يمتلك العدو فوجاً واحداً فقط من الفرقة الثالثة والعشرين النظامية، وثلاث مجموعات مقاتلة من قوات الدفاع الذاتي المحلي. العدو ضعيف إذن ومعزول. إلا انه عزز قواته في مركز الاقليم الكبير بتخطيط معقد، كما نظم الدفاع هناك مسبقاً. كما ان احتلال المدن الكبيرة عن طريق استخدام القوات الجرّارة هو مهمة جديدة بالنسبة لنا، ويجب اخذها في الحسبان. اثناء الهجوم على بون ميت هوت سنزج بقوى متفوقة كثيراً على قوى العدو، وسنشكّل مجموعات ضاربة مشتركة معززة بمفارز خاصة ومشاة، ستقوم بالتسلل الى المدينة مسبقاً وبشكل سرّي. وهذا سيمكننا من ضرب مركز المدينة بدون إبطاء والاستيلاء على مطارين بسرعة، وتدمير اركانات ونقاط استناد العدو. وبعد ذلك فقط ننتقل الى سحق العدو على النطاق الخارجي للدفاع عن المدينة. وفي هذه الاثناء قد تظهر صعوبتان: الاولى تنحصر في اقامة التعاون بين قطعاتنا المهاجمة وتأمين زجها في المعركة دفعة واحدة، واقتحام المواقع المائية، واجتياز خطوط العدو الدفاعية المقامة امام المدينة. اما

الصعوبة الثانية فإنها ترتبط بتأمين اعلى درجة من المفاجأة في توجيه الضربة. فبعد التغلّب على هاتين الصعوبتين بنجاح نستطيع تحطيم العدو بسرعة اي خلال سبعة - عشرة ايام، كما كنا نتوقّع مسبقاً. اما ميزان القوى في هذه المنطقة فإنه لا يسمح لنا بتدمير العدو فقط والاستيلاء على المركز الاقليمي، بل يسمح لنا أيضاً بتشكيل احتياطات قوية قادرة على صد جميع هجمات العدو المعاكسة، وتطوير النجاح ومواصلة الهجوم، لأن بون ميت هوت ليست وحدها التي ستعزل عن الجبهات الاخرى، بل اقليم تاين غوين بأسره أيضاً. اضف الى ذلك ان تنسيق اعمال قواتنا على الجبهات الاخرى مع الاعمال على جبهة تاين غوين يزيد من تقليص امكانيات العدو في نقل قوات كبيرة لمساعدة جبهة تاين غوين. كما ان الموقف الاكثر ملاءمة في المعركة سيتشكل عند تدمير مقرات قيادة العدو، واسر ضباط اركانه. والنجاح في هذا المجال سيقرر بسرعة مصير المعركة. والتفكير في الاستيلاء على مقرات قيادة العدو مسألة صعبة لأن هذه المقرات تتواجد باستمرار في مؤخرة القوات، ومحاطة بحراسة قوية. وعلى ضوء التحليل العلمي للموقف اتفقنا بالاجماع على الطريقة الجديدة لتوجيه الضربة الجريئة والمفاجئة الى العدو. ولا بد هنا من الاشارة الى ان معركة بون ميت هوت ستتميّز بأهمية حاسمة. فدحر العدو بسرعة وتدميره وتحرير المركز الاقليمي والتمسك به، وصد الهجمات المعاكسة ومواصلة الهجوم، هي طريقة لخوض الاعمال القتالية تقرر استخدامها ليس في اثناء تنفيذ عملية بون ميت هوت، بل وفي اقليم تاين غوين بأكمله. كما أن المفاجأة في توجيه الضربة، والسرية والكتمان في تحضيرها، وقوام القوى المشتركة، وكذلك طريقة توجيه الضربة، وعزل المدينة المستولى عليها، وزج الاحتياطات الكبيرة المحتشدة سرّاً - كل ذلك يضمن النجاح السريع في المعركة والقدر القليل من الخسائر. كان من المهم جداً الاستفادة من ظروف فصل الجفاف الى ابعد حد ممكن: ففي هذا الفصل من فصول السنة يجب الاستفادة من كل يوم او ساعة لمواصلة الاعمال الهجومية وتحقيق النصر تلو الآخر. لان هذه الطريقة في خوض الاعمال القتالية، تُمكن من تدمير العدو بسرعة وتحرير تلك المدينة الكبيرة (بون ميت هوت) وإحداث التحوّل في الجبهة. كما ان التنفيذ المبدع والخلّاق لهذه المهمة يعتبر دليلاً على الفعالية القتالية العالية والروح الهجومية الثورية لجيشنا، ونتيجة للتحليل العلمي الدقيق للموقف، والالمام الدقيق بإمكانياتنا، والتصميم على الاستفادة من هذه الامكانيات، والمهارة والفن في اعداد وتنفيذ العمليات. وإن

النجاح في العملية القادمة يرفد خبراتنا التي نحن في امسّ الحاجة اليها لتحرير المراكز الاقليمية الاخرى في تاين غوين مثل فوبون وزانغيا وبليكو وكونتوم. هذه هي المسألة الاولى التي كانت تعترضنا.

أما المسألة الثانية فهي: وجوب الانتقال الى التنظيم العملي والفعلي للاعمال القتالية بعد ان تم تحديد الطريقة الصحيحة لتوجيه الضربة. إذ كان ينبغي الالمام بالاعمال التنظيمية، وتنفيذ هذه الاعمال من قبل المشاركين في العملية على جميع المستويات وحتى مستوى الوحدات ضمناً، وتعزيز كل تجميع على كل اتجاه، وكل صنف من صنوف القوات، وخاصة القطعات المتحركة الضاربة، واقامة التعاون القتالي بين قطعات مختلف الصنوف عند اقتحام المدينة. فعند انعدام التعاون الوثيق والدقيق لا تجدي الحسمية القتالية العالية ولا البسالة الخارقة في تحقيق النصر، كما ان المعارك يطول امدها وتزداد نسبة الخسائر باستمرار.

والمسألة الثالثة ـ هي ان نتذكّر دوماً بأن بون ميت هوت تعتبر مركزاً سياسياً واقتصادياً ودينياً وتاريخياً لمقاطعة تاين غـوين. ففي هذه المـدينة يعيش في ظـل الاستعمار الجديد الجبليون والبروتستانت والكاثوليك والبوذيون ورجال الاعمـال واصحاب المزارع والاجانب. اي ان الموقف في المدينة معقد كل التعقيد. وينبغي على القوات التي تدخل المدينة ان تتقيّد بالحزم والانضباط وتراعي الظروف السياسية، وتساعد المنظمات الحزبية المحلية في تشكيل العناصر الثورية الصغرى اللازمة لاقامة السلطة المحلية، وكسب ثقة السكان، وإعادة الحياة الطبيعية بسرعة الى المدينة بعد تحريرها.

والمسألة الرابعة هي انه ينبغي تشكيل ادارة عسكرية في المدينة بعد تحريرها. فالأعمال المطلوبة كثيرة وهي جديدة علينا تماماً. ولذلك يجب البحث عن المرشحين الأكفاء لتولي المناصب الادارية. وهذه المسألة سندرسها بصورة خاصة مع الرفيق بوي شان ومع لجنة الحزب في اقليم دارلاك. إلا ان المهم هو توافر التنظيمات المناسبة ووجود العاملين المناسبين وتقديم المساعدة اليهم من جانب الجيش. والباقي يتبع تلقائياً. وهنا يحضر الآن ممثّل الاقليات القومية العقيد، ي. بلوك. وهو يتمتع بسمعة كبيرة، وبحب واحترام السكان المحليين. وسوف نتوجه مع قيادة المنطقة العسكرية الخامسة بطلب الى اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب والى القيادة العامة

لمنح الرفيق ي. بلوك رتبة عميد وتعيينه رئيساً للجنة الادارة العسكرية في بون ميت هوت بعد تحريرها.

وتنحصر المسألة الخامسة في ان مدينة بون ميت هوت تعتبر قاعدة لمؤخرة الفرقة الثالثة والعشرين التابعة للجيش السايغوني العميل. وفيها تتمركز كافة مستودعات الافواج، ومجموعة كاملة من المخازن الكبيرة. وبالاضافة الى ذلك يقع في المدينة كثير من الاغراض الصناعية والمعامل العائدة للطبقة البورجوازية. وهذه الاهداف والاغراض يجب المحافظة عليها كاملة، وتشغيلها من جديد وبسرعة. ولا شك في ان ذلك يعتبر عملاً صعباً وشاقاً. إذ يجب حشد كافة الموارد والطاقات البشرية، والمحافظة على ممتلكات السكان الخاصة، واتباع سياسة التشهير فيما يتعلق بممتلكات البورجوازية. وعلى نائب قائد الجبهة ومدير ادارة المؤخرة الرفيق نيغوين نانغ ان يُقدّم المساعدات للسكان المحليين في هذا المضمار. كما يجب جمع الاسلحة والاعتدة ووسائط النقل المغنومة في مكان واحد. ويجب الاهتمام بالمواد الغذائية وبكل ما يفيد الجيش والمحافظة عليه.

والمسألة السادسة تنحصر في ضرورة الاستفادة من الخبرات المستخلصة من تحرير مدينة فيوك لونغ، والاسراع في إيجاد العمل لاسرى الحرب والاستفادة منهم وخاصة جنود المدفعية وسائقي السيارات والدبابات والعربات المدرعة وآليات اصلاح الطرق. القوة في جانبنا ولذلك نستطيع عمل ذلك كله. وبشكل اوضح يجب الاستفادة من الغنائم بحذر وبدون ابطاء، والاستفادة ايضاً من اسرى الحرب مع تشديد الرقابة عليهم.

وأخيراً اودّ ان اشير بأن الوقت المتبقي لخوض معارك بون ميت هوت اصبح قليلا الآن. وإذا طال أمد التحضيرات فإن العدو قد يكتشفها. والعملية يجب البدء بها في الوقت المحدد لها تماماً، حيث ان الجبهات الاخرى تستعد لخوض الاعمال القتالية المنسّقة معنا. وإذا نحن قمنا بالأعمال الهجومية على جميع جبهات فيتنام الجنوبية فإنه يصعب على العدو كثيراً صد هذه الاعمال. والحقيقة ان بون ميت هوت مدينة هامة في تاين غوين، إلاّ ان للمدن والقرى الاخرى اهمية كبرى ايضاً في نظر العدو، وحاصة تلك التي تقع على مقربة من سايغون او دانانغ. ولذلك فإن العدو الذي يتعرض لضرباتنا على جميع الجبهات في آن واحد، سيستغرق وقتاً كبيراً لتفهم

حقيقة الموقف بشكل عام، ويحدد بعد ذلك الاتجاه الرئيسي لهجومنا الاستراتيجي. ولهذا السبب يمكن القول بالتأكيد بأن العدو لن يستطيع ان يزج احتياطاته الاساسية في المعركة دفعة واحدة. ففي البداية سينظم عملية الصد بقوى منطقة الفيلق الثاني المحدودة القوى، في حين ان الطرق البرية المؤدية الى تاين غوين وبون ميت هوت مقطوعة، والجسر الجوي ضيق ويتعرض بسهولة لرمايات المدفعية المضادة للطائرات.

وهكذا فإن التحضير للعملية يجب ان يتم بوتائر سريعة وبسرية تامة. وينبغي على قيادة الجبهة ان تتواجد مع القوات مباشرة، وخاصة مع الفرقة ٣١٦ التي وصلت مؤخراً، وان تقدم المساعدة الى الجنود بالنصيحة وبالعمل الفعلي. كما لا يجوز البدء بالعملية قبل موعدها، ولا بعده.

ان عملية بون ميت هوت ستزلزل الأرض تحت اقدام العدو، كما ترى اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب والقيادة العامة. والنجاح في ملحمة تاين غوين، والانتصارات في الجبهات الاخرى ستؤدي الى حدوث التحوّل في الحرب، والذي بنتيجته سيضطر العدو الى التخلّي عن مواضعه الواحد تلو الآخر. ان العدو يخوض حرب الثورة المضادة وعلينا ان نتصدّى لها بالحرب الثورية. وليس امامنا خيار آخر. فبمواصلة الاعمال القتالية يزداد العدو ضعفاً يوماً بعد يوم، بينما نحن نزداد قوة من خلال الحرب الثورية، وتتعاظم قوتنا في اعقاب كل انتصار نحرزه.

اعلم حق العلم أن امامنا الكثير من الاعمال. فبعد ان درسنا الموقف على الجبهة وتفهّمنا مهامنا توصلنا الى رأي موحّد واتخذنا القرارات المناسبة. وعلينا الآن ان نحشد كافة جهودنا لتنفيذ مهامنا وهي: تدمير العدو؛ وتطهير بون ميت هوت من فلوله، ومواصلة وتعزيز الهجوم حتى تحقيق التحرير الكامل لاقليم تاين غوين وجنوب الوطن الحبيب بأكمله.

أيها الرفاق يجب على جهاز قيادة الجبهة ان يتقاسم الاعمال بشكل صحيح. فأحدكم يأخذ على عاتقه الاشراف على الاعداد للاستيلاء على بون ميت هوت، والآخر عليه زيادة المساعدات الى القوات في احتلال خطوط الانطلاق للهجوم بغية تمزيق وتطويق تجميع العدو وفقاً للخطة الموضوعة.

اليوم استطعنا ان نجتمع بقوامنا الكامل تقريباً وهنا يتواجد الآن قادة الفرق

ومثلو مختلف الصنوف والمصالح. وباسم اللجنة العسكرية التابعة للجنة المركزية للحزب والقيادة العامة أبارك عزيمتكم وأصدق على خطة الاعمال القتالية التي وضعتها قيادة جبهة تاين غوين. واثناء التحضير للعملية يجب علينا ان نعبىء كافة قوانا وجهودنا، ونعمل بأقصى امكانياتنا الى ان تدوّي قذائف مدفعيتنا البعيدة المدى فوق رؤوس الاعداء في بون ميت هوت، وحتى نوجّه اليهم الضربة المفاجئة والسريعة والماحقة. كما ينبغي اتخاذ جميع التدابير الكفيلة باطلاع اللجان الحزبية في جميع القطعات والوحدات والقادة، والمقاتلين، على الأهمية الكبيرة لهذه العملية، بحيث يظهر هؤلاء خلال المعارك أروع ضروب الرجولة والصمود والابداع، ويدركوا مضمون الفكرة القتالية للقيادة ويعملوا على تنفيذها عملياً. وفي حال تحقيق كل ذلك سنحقق النصر المؤزر بدون أدنى شك».

كان العدو على الدوام يركز اهتمامه بصورة خاصة على الدفاع عن الجزء الشمالي لاقليم تاين غوين. وهذا يتوافق مع فكرتنا، وواصلنا اتخاذ التدابير لتضليل العدو ـ قمنا بتعبئة سكان المناطق المحررة في مقاطعة كونتوم، وبليكو، من اجل القيام بشق وترميم الطرقات، ونقل الامدادات. بينما كانت الوحدات العسكرية والسكان المحليون يقومون بمسيرات صاخبة، تهتف بالتحرير الكامل لكل من كونتوم وبليكو.

في الأول من آذار، والى الغرب من بليكو وعلى الطريق رقم ـ ١٩ بالذات دمرت الفرقة ٩٦٨ مخفرين للعدو، الذي تراجعت قواته نحو قضاء هاتان. وقد عزز ذلك من ثقة العدو في اننا نحضّر لاقامة رأس جسر من اجل الاستيلاء على بليكو. وفي الثالث من آذار اسرع العدو الى نقل الفوج الخامس والاربعين الى هانان من هونان مان (بلدة تقع عند تقاطع الطرق، التي من بينها الطريق رقم ـ ١٤ المؤدي الى فوبون. وعندما رأيت ان قيادة الجيش العميل أحست بالخطر اقترحت على الجنرال هوانغ مين تهاو بإصدار الأوامر الى الفرقة ٩٦٨ لتشديد قبضتها، وقصف مطار كوهان بالمدفعية الثقيلة. كما انني نصحت قائد الفرقة تهان شون باتباع القول المأثور: «ان كل ضربة تقرّب موعد النصر عشر خطوات». وفي الرابع من آذار استطاع الفوج الخامس والتسعون والفرقة الثالثة التابعان لمنطقتنا العسكرية الخامسة تدمير عدد من النقاط المحصّنة للعدو الى الشرق والغرب من انك ها وقطع الطريق رقم ـ ١٩. ورداً على ذلك نقل العدو من بين دين فوجين من قوام الفرقة الثانية والعشرين، ومن بليكو نقل

لواء الفرسان المدرع الثاني، وذلك من اجل الاستيلاء على الضاحيتين الشرقية والغربية لبلدة أنك ها. وقد غضب الجنرال السايغوني فام فان فو، وقرر تعزيز الدفاع عن الجزء الشمالي لاقليم تاين غوين، وخاصة منطقة بليكو.

كما ان العدو نقل الى الشمال الغربي لمقاطعتي كونتوم وبليكو المجموعتين القتاليتين الرابعة والسادسة من قواته الخاصة للبحث عن الفرقتين الصديقتين العاشرة والـ ٣٢٠ اللتين انزلتا بالعدو ضربات موجعة خلال الفترة ما بين ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤. واخذت مدفعية العدو وطائراته توجه ضرباتها النارية القوية الى كل منطقة او قطاع يشك العدو بوجود قواتنا فيه.

في ذلك الوقت كانت فرقتنا الـ ٣٢٠ لا تزال موجودة على مسافة خمسة كيلومترات الى الغرب من الطريق رقم ـ ١٤، وفي القطاع الواقع بين جسر ياليو، وبلدة تي سي. وفي الثالث من آذار كانت الكتيبة التاسعة من هذه الفرقة قد التفت حول الطريق وتمركزت في المنطقة الواقعة الى الشرق من مركز قضاءتهوان مان، منتظرة الاوامر للتمسك بالقطاع من الطريق الواقع بين تهوان مان وتيوريو. ان هذه الأعمال نفذت بهدف سد الطريق امام التعزيزات التي كان العدو يرسلها من فوبون لمساعدة قواته المهاجمة، ولحرمان العدو من امكانية الانسحاب من تهوان مان نحو تيوريو. وهنا تجدر الاشارة الى الاعمال النشطة والماهرة والسرية التي قامت بها الكتيبة التاسعة والتي كانت تعمل على بعد اكثر من عشرين كيلومتراً عن القوات الرئيسية للفوج، التي كانت ـ على الرغم من ذلك ـ تقيم معه الاتصال الهاتفي عبر خطوط ممدودة بجانب الطريق رقم ـ ١٤. وبنتيجة ذلك كانت هذه الكتيبة بالذات الوحدة الاولى من بين جميع وحدات الفرقة ٣٢٠، التي استطاعت ان توقف الى الشرق من مقاطعة فوبون، رتلاً معادياً كان يتحرك على الطريق رقم ـ ٧ بين بليكو وفوين.

اما بشأن فرقتنا العاشرة فإنها كانت في هذا الوقت تحشد قواها ووسائطها سراً على مشارف ديك لاب وداك شونغ، الواقعتين الى الجنوب الغربي من بون ميت هوت، وتستعد للانتقال الى الهجوم في الساعة المحددة لها.

في الخامس من آذار قطع الفوج الخامس والعشرون الطريق رقم ـ ٢١ في النقطة الواقعة الى الشرق من تي كوك، بعد ان دمّر رتلاً من وسائط النقل يضم اكثر من

ثمانين آلية. وهكذا فإن العدو المتمركز في تاين غوين اصبح في الخامس من آذار معزولاً عن المناطق السهلية. غير انه كان لا يزال قادراً على تأمين المواصلات بين شمال وجنوب تاين غوين، طالما اننا قررنا في الوقت الحاضر عدم قطع الطريق رقم - ١٤ الذي كانت تسير عليه يومياً ٦٠ - ٨٠ آلية عسكرية ومدنية للعدو.

لا بد هنا من إيجاد التفسير لعدم قيامنا بقطع الطريق رقم - ١٤، في الوقت الذي قمنا بقطع الطريقين رقم - ١٩ و٢١. بالاضافة الى المهمة الاستراتيجية كانت خطة توزيع القوات تشتمل ايضاً على مهمة عملياتية، كانت تتمثل بصورة خاصة في تنظيم محاصرة الطريق رقم -١٤ بغية عزل بون ميت هوت عن بليكو. ولكن متى يجب تنفيذ ذلك فعلا؟ اذا ما قطعنا الطريق رقم -١٤ قبل الوقت المناسب، فإن العدو قد يضطلع على نوايانا بشأن توجيه الضربة الى بون ميت هوت. اضف الى ذلك كان يجب الاستيلاء على شمال وجنوب تهوان مان قبل كل شيء، وذلك من اجل قطع الطريق في نقطتين. وفي هذه الحالة سيدرك العدو حتماً بأن فرقتنا وحدها، هي التي تعمل الى الشمال من بون ميت هوت. وعندئذ سيسرع الى ارسال قوات اضافية لمساعدة حاميته في بون ميت هوت ويحاول زحزحتنا عن الطريق، باستخدام الانزال الجوي، او القيام بسلسلة من الهجمات المعاكسة. وبنتيجة ذلك ستدور المعارك المتواصلة التي من شأنها ان تحد من امكانية المحافظة على سرية الاعداد للعملية من أجل الاستيلاء على بون ميت هوت.

على ضوء هذه التصورات قررنا توجيه الضربة الى بون ميت هوت، والبدء بالمعركة للاستيلاء على تهوان مان وقطع الطريق رقم - ١٤ في آن واحد. ومع ذلك وجب علينا الاحتفاظ بقوات كبيرة في حالة الجاهزية القتالية لاستخدامها عند الضرورة، وخاصة اذا علم العدو - قبل ان نقطع الطريق - بنوايانا الرامية الى احتلال بون ميت هوت، او اذا وجه العدو على الطريق رقم - ١٤ تعزيزاته من بليكو. وعندئذٍ كنا ننوي اتخاذ التدابير لتدمير قوات العدو المتحركة الى غاياتها والتمسك بعناد واصرار بالطريق المذكور. ولهذه الغاية بالذات وُجدت الفرقة ٣٢٠ في تلك المنطقة، والتي كانت تمتلك خبرات كبيرة في خوض المعارك المناورة للاستيلاء على خطوط المواصلات. غير ان تحقيق مثل هذه الفكرة لم يكن سهلا على هذه الفرقة في الوقت الحاضر. اذ كان يجب مراقبة الموقف المتبدل باستمرار. وكان كل شيء بطبيعة الحال

يتوقف على قائد الفرقة ٣٢٠ . فالعدو يواصل نقل امداداته على الطريق رقم ـ ١٤. وفي المعركة لا يمكن التكهن دوماً بنوايا واعمال العدو، الذي عرف عنه الخبث والمكر، والقوة، والمقدرة ايضاً على توجيه الطيران على منطقة الاعمال بسرعة. ولذلك كان يجب اجراء الحسابات بدقة وحذر لمعرفة اللحظة المناسبة التي ستعطى فيها الاوامر الى الفرقة ٣٢٠ للبدء بقطع الطريق.

في هذا الوقت طرأت احداث غير متوقعة: ففي ظهيرة الخامس من آذار وعلى الطريق الواقعة الى الشمال من تهوان مان دمرت احدى كتائب الفرقة ٣٢٠ رتلاً للعدو مؤلفاً من ١٤ سيارة شاحنة، واستولت على مدفعين من عيار ١٠٥ مم، واسلحة اخرى، واسرت عدداً من الجنود، وضابط مدفعية مع زوجته. وابلغ قائد الفرقة اركان الجبهة بما يلي: «منذ يومين نقل العدو الى تهوان مان كتيبة من الفوج الخامس والاربعين، الذي اسندت اليه مهمة تنفيذ الاستطلاع في المنطقة الواقعة الى الغرب من الطريق رقم ـ ١٤. وتحاشينا خوض المعركة معها، لكي لا نكشف انفسنا. كثافة اعمال النقل على الطريق رقم ـ ١٤ تزداد باستمرار. وحدثت معركة اليوم لاننا اصبحنا نشك في نوايا العدو، وتبين لنا بأنه ينقل بالتدريج الفوج الخامس والاربعين بأكمله لتعزيز حامية بون ميت هوت. نطلب من قيادة الجبهة السماح للفرقة بخوض الاعمال القتالية بغية التمسك بالطريق رقم ـ ١٤ والاستيلاء على تهوان مان وتدمير احدى كتائب الفوج الخامس والاربعين المتبقية في هذه البلدة».

ارسل قائد الفرقة ٣٢٠ فولانغ تقريراً مفصلا إلي بالذات، وطلب مني تقديم التوصيات اليه. ادركت مدى قلق قائد الفرقة ٣٢٠ على ضوء تلك المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتقه. ولا شك في ان الجو كان مكفهرًا الى حد كبير في ذلك التشكيل الذي كان مضطراً للانتظار (والقيام بالاعمال السلبية) الى ان يحين موعد بدء الاعمال القتالية الهجومية، كما انه كان مضطراً لتفادي الاصطدام بمجموعات ومفارز استطلاع العدو، التي نزلت في منطقة توضّع الفرقة بواسطة الحوامات، او نقلت الى هناك بالسيارات. وهذا يؤكد على ان العدو يبحث عن هذه الفرقة ليقي نفسه من ضربتها.

غير ان تحليل سلوك العدو هذا خلال الايام الاخيرة، اكد على انه لا يزال يسبر غور الموقف بإلحاح، وبدون خطة معينة. والعدو لا يزال ـ كالسابق ـ يولي اهتمامه الخاص الى الجزء الشمالي لاقليم تاين غوين ويحاول تطهير الطريق رقم ـ ١٩ من

قواتنا. وقد واصلنا مراعاة قواعد السرية في اعداد العملية، وحاولنا قدر الامكان تضليل العدو لكي نستطيع تنفيذ المهمة المسندة بأكبر قدر من النجاح.

بعد ان استشرت الجنرال لي نفوك هين اصدرت التوجيهات التالية: «على الفرقة ٣٢٠ ان تخفي وجودها بالكامل، وتتحاشى الاشتباك مع استطلاع العدو، وبدون امر لا تبدأ المعركة على الطريق رقم ـ ١٤، محافظة بذلك على تنفيذ القرار المتخذ مسبقاً». وفي نفس الوقت اصدرت الامر الى قيادة الجبهة لارسال الاشخاص المختصين باستجواب الضابط الاسير.

في منتصف الليل ابلغني المحامي بأن الاسير افاد بما يلي: كان رتل السيارات ينقل الى قاعدة المؤخرة في بون ميت هوت سرية جنود من الفوج الخامس والاربعين وعدداً من العسكريين المجازين. وفي اليوم الثاني تقرر نقل متطوعين جدد بهذه السيارات لتعزيز الفوج في بليكو. وهكذا فإن السيارات الشاحنة الأربع عشرة التي كانت تتحرك من بليكو الى بون ميت هوت نفذت سفرتها الاعتيادية ولم تنقل تعزيزات هامة. الا ان المعركة حدثت واكتشف العدو وجود قواتنا على الطريق رقم ـ ١٤ وعلى مسافة ٣٠ كيلومتر الى الجنوب من بليكو. ثم اوضح المحامي بأن مقاتلاً واحداً من مجموعة استطلاع فوج المدفعية، التي كانت قد أُرسلت لتنفيذ الاستطلاع الشخصي على الأرض لم يعد بعد وقد أُحيطت اركان الفرقة علماً بذلك. ففي الخامس من آذار وأثناء الاصطدام مع العدو الى الشمال من بون ميت هوت، جرح ذلك الجندي وأُسر، مع العلم أنه كان يحتفظ بدفتر مذكرات يومية.

منذ تلك اللحظة بدأت أخاف من حقيقة ان العدو سيكتشف خلال الايام الاربعة المتبقية، فكرة عملية بون ميت هوت. إلا أن العدو ظل حتى اللحظة الاخيرة مخدوعاً دون ان يكتشف اتجاه ضربتنا الرئيسية. ولكن لو ان العدو استطاع ان يحصل من الأسير او من مصادر اخرى على اية معلومات، لكان ينبغي علينا اعادة النظر بخطة الاعمال من جديد. ومع ذلك فإن العدو يحاول الآن وبكل الوسائل كشف نوايانا الحقيقية. وفي اثناء حديثي الهاتفي مع فولانغ اوصيت بوضع مراقبة على اعمال كل جندي من جنود الفرقة، وذلك كإجراء لتأمين المحافظة على السر قدر الامكان.

في السادس من آذار ابلغ احد ضباط استطلاع اركان الجبهة بأن معلومات العملاء تفيد بأن العدو ارسل الى كوانغ ني الكتيبة الثالثة التابعة للفوج الثالث

والخمسين، التي كانت موجودة على مسافة ١١ كيلومتر الى الشمال الشرقي من بون ميت هوت، كما ارسل معها وحدة مدرعة وكتيبة من قوات الدفاع الذاتي المحلي. وفي اعقاب ذلك افاد رئيس فرع عمليات الجبهة عن ظهور بعض مجموعات من جنود الجيش العميل، تقوم بتمشيط المنطقة. واضطرت وحدات المدفعية والدبابات والهندسة التي تحضّر مواضع الانطلاق للهجوم، للانسحاب كي لا تكشف نفسها. غير انه اذا لم يكف العدو عن ذلك ويواصل اعمال التمشيط حتى الثامن من آذار، فإن ذلك سيؤثر سلبياً على التحضيرات لمعركة المجموعة الضاربة من قواتنا، المتواجدة على المشارف الشمالية للمدينة.

ان لدى العدو اسير من بين جنودنا، وقد يستخلص الاستنتاجات ويكتشف بعض خططنا. واذا ما علم بوجود قطعة مدفعيتنا الى الشمال من بون ميت هوت، ولم يكتشف شيئاً سواها، فإنه لا يستطيع ان يتكهن بنوايانا لاحتلال المدينة. كما ان العدو قد يظن بأن مدفعيتنا تستعد لقصف المدينة كما كان يحدث في السابق.

بعد دراسة الموقف المتشكّل مع ضباط فرع العمليات في هيئة ممثلية القيادة العامة، ارسلت لي نفوك هين الى اركان الجبهة من اجل اتخاذ التدابير التالية:

- الاستمرار في تفادي الاصطدام بالعدو في منطقة كوانغ ني، والاستعداد لتطويق وتدمير مجموعات العدو المستقلة اذا ما حاولت التسلل الى عمق مواقع قواتنا.

- تتبع اعمال العدو بحذر ويقظة على هذا الاتجاه.

- إذا العدو لم يتراجع نحو بون ميت هوت في مساء السادس من آذار (في هذه المنطقة يتوقع ان ينفذ العدو استطلاع الأرض خلال يوم واحد، وإذا لم يكتشف شيئاً سيعود الى قواعده)، فإنه تعطى الأوامر الى الفرقة ٣٢٠ بالعمل في صباح السابع من آذار واحتلال نقطة استناد تي سي على الطريق رقم - ١٤ الى الشمال من بون هو، وجذب قوات العدو نحو هذه النقطة، الأمر الذي يمكّن قواتنا من مواصلة تحضيراتها في منطقة كوانغ ني.
- واذا واصل العدو - على الرغم من ذلك - تنفيذ الاستطلاع والتمشيط في السابع من آذار، فإن على الفرقة ٣٢٠ ان تهاجم مركز قضاء تهوان مان في الثامن من آذار

وتقطع الطريق رقم ـ ١٤، وتشدّ الى المعركة حامية بون ميت هوت وتستعد في الوقت نفسه لصد الهجمة المعاكسة للعدو من اتجاه بليكو.

في ظهيرة السادس من آذار علمنا من تقارير العملاء بأن مقاتلنا الذي اصيب بجراح خطيرة ووقع في اسر العدو، نقل الى المستشفى حيث قطعوا ساقه وأرادوا ان يعيدوه الى الوعي كي يستطيع الادلاء بإفاداته امام قائد الفرقة٢٣. غير ان الاسير كان في حالة انعدام الوعي. وقد عُلم فيما بعد بأنهم لم يستطيعوا استنطاق الاسير، لأن بون ميت هوت كانت قد حررت في هذا الوقت وتم ارسال المقاتل الى قطعته السابقة.

في السابع من آذار وخلال ساعة ونصف استولينا على تي سي، مما ساعدنا على التمسك بالطريق رقم ـ ١٤ بشكل افضل. غير ان كوانغ ني كانت لا تزال في قبضة العدو.

في صباح الثامن من آذار استولت الفرقة ٣٢٠ على مركز قضاء تهوان مان، وقطعت الطريق رقم ـ ١٤ بصورة نهائية. وعند الظهيرة اسرعت قوات العدو بمغادرة كوانغ ني، وعادت الى بون ميت هوت.

تنفيذاً للخطة الموضوعة، استولت قواتنا في التاسع من آذار على مراكز اقضية ديك لاب، داك شونغ، ونوليلا، وطهّرت بالكامل الممر الاستراتيجي الممتد من الشمال الى الجنوب على السفوح الشرقية لسلسلة جبال شيونغ شون. وبعد الاستيلاء على هانان، التي كان يمر فيها الطريق رقم ـ ١٩، حاصرنا العدو على المشارف الغربية لبلدة بليكو.

وهكذا استطعنا في التاسع من آذار ان ننشر قواتنا ونتمركز على خطوط استراتيجية هامة، بعد أن عزلنا تاين غوين عن المناطق السهلية، وجنوب تاين غوين عن شمالها، وأحكمنا الطوق حول بون ميت هوت المركز الاداري.

انتهت المرحلة الاولى من العملية لصالحنا. وبكلمة أخرى ظل العدو على آرائه وشكوكه السابقة، وظلت تدابيرنا وحساباتنا تزيد من تضليله وخداعه. وحتى بعد ان استولينا على ديك لاب ظلت القيادة العميلة تظن بأننا نركز اهتمامنا على تمشيط الطريق رقم ـ١٤ المؤدية الى نامبو، واستعدت لصد قواتنا في المنطقة الواقعة الى الغرب من بليكو.

وحتى لو علم العدو في هذه اللحظة بخطة ضربتنا الموجهة الى بون ميت هوت فإنه لن يستطيع ان يغيرّ شيئاً في الموقف. لأن قواتنا كانت قد احتلت بالكامل مواضع الانطلاق للهجوم.

في مساء التاسع من آذار، ارسلت الى المكتب السياسي واللجنة العسكرية برقية ذكرت فيها نتائج الاعمال القتالية عن الفترة ما بين الاول من آذار وموعد تحرير ديك لاب ضمناً. وقد جاء في نهاية البرقية:

«في العاشر من آذار ستبدأ العملية لاحتلال بون ميت هوت. سأُبلغ في البرقيات التالية عن كل التصورات الجديدة. نحن جميعاً بخير، الرفيق تهين و«٥٥٩» يعملان بنشاط في التحضير للعملية. وكافة التوجيهات نحاول تنفيذها على أكمل وجه. القوات مؤمنة بالتعيينات، والقوى المقاتلة كثيرة، وهناك الكميات الكافية من الاسلحة والاعتدة العسكرية. الروح المعنوية عالية لدى المقاتلين. وفي هذه المنطقة لم ننفذ بعد مثل هذه الضربة القوية والهادفة. ارجو الصحة لجميع اعضاء المكتب السياسي واللجنة العسكرية ـ توان».

حشد الرفيق دين ديك تهين وعبأ العاملين في مصالح وأقسام المؤخرة لتنفيذ خطة نقل الذخائر، وبعد ان اجتاز الفرع الغربي لطريق تشيونغ شون، وصل الى مقر قيادتنا من اجل ان يتأكد من حالة الجاهزية القتالية لقطعاته ووحداته.

في التاسع من آذار، وفي الساعة التاسعة عشرة بدأت المحادثات الهاتفية مع اركانات التشكيلات والقطاعات. ومن جميع الجهات كانت تتوارد التقارير التي تفيد بأن التحضيرات قد انتهت، وان خطوط الانطلاق المقررة قد احتلت. وكنّا ندرك بأن الموقف الاصعب والاكثر تعقيدا سيواجه الوحدات التي يجب عليها ان تقطع الطريق رقم ـ ١٤، وتنقل المدافع بوسائطها الخاصة عبر نهر سيريبوك. كما ان القطعات التي تلقت المهمة بمهاجمة المدينة من الجنوب كانت قد احتلت مواضع الانطلاق ايضاً. هذا وقد تواجدت آنذاك في حالة الجاهزية القتالية الكاملة للمجموعات الضاربة، التي كان يجب عليها ان تقتحم مواضع العدو، بعد التمهيد المدفعي، وتتوغّل عبر النطاق الخارجي لدفاع العدو. وقد وعد قادة جميع القطعات والتشكيلات وعداً قاطعاً بتنفيذ المهمة. وتمنيت لهم النصر الكبير والسريع وبأقل الخسائر. وطلبت منهم نقل تحياتي الى االمقاتلين والضباط كافة.

امضينا ليلة العاشر من آذار في مقر القيادة مع مواصلة الاهتمام بالموقف وتتبع آخر تطوراته، منتظرين ساعة الصفر (الساعة س). وفي هذه الاثناء كان يصعب على ضباط الاركان اخفاء قلقهم، وسعادتهم في آن واحد: لأن اعظم لحظة في حياتهم قد دنت الآن. وبالنسبة لجندي الجبهة كانت الليلة التي تسبق الموقعة العظيمة مشابهة لليلة رأس السنة. وها نحن الآن جنوداً وضباطاً وجنرالات نستقبل تلك اللحظة التي انتظرناها عدة سنوات. وتحت جنح الظلام تحركت عشرات الآلاف من المقاتلين نحو خطوط الانطلاق بصمت وهدوء. اما القادة (الذين استطالت شعور ذقونهم، التي غزاها الشيب) فقد كانوا منكبّين على خرائطهم يدققون ولآخر مرة خطة العملية القادمة. في حين ان القيادة العميلة في سايغون لم تستطع كشف فكرتنا، ولم تعلم شيئاً عن حجم قواتنا وامكانياتها. ولذلك فقد تكبدت الهزيمة تلو الاخرى بسبب وقوعها في شباك التضليل والخداع.

كنا جميعاً نأمل، ونثق بأن ساعة الصفر (س) ستبرهن على صحة توقعاتنا. ففي هذه الدقائق كنا بقلوبنا نشعر بخفقات العمل المتوتر لدى «المؤخرة الكبيرة» - أي الشمال. فجميع اعضاء المكتب السياسي والمجلس العسكري كانوا في تلك الليلة سعداء جداً، وهم يتتبّعون الوضع على خطوط الجبهة. كما أنهم تأكدوا من ان «المؤخرة الكبيرة» أمنت الجيش بكل احتياجاته وقدّمت كل ما في امكانها لتنفيذ العمليات الواسعة واحراز الانتصارات الكبيرة. انها المؤخرة العظيمة، البطلة.

اتصلت هاتفياً مع قائد الجبهة اللواء هوانغ مين تهاو، وتحدثت اليه:

«إننا نواصل العمل وفق الخطة المقررة. لا نتوقع أية تغييرات. يجب تأمين الاتصال المضمون مع القوات لمعرفة الموقف بحذافيره. حافظوا على الاتصال معي بكافة الوسائط المتوافرة لديكم، لكي نتبادل الآراء في حيّنه ونعالج المسائل المستجدة بسرعة. .وبعد ان استوضحت الموقف اتخذت القرار. اصدروا امركم الى المرؤوسين فوراً، واطلبوا منهم التنفيذ السريع والكامل والآنّي. ارجو النجاح».

الضربة المحسوبة بدقة

في الساعة الثانية من بعد منتصف ليلة العاشر من آذار فتحت قطعات قواتنا الخاصة نيرانها على مطار هوابين، وعلى القاعدة الادارية التابعة للفوج الثالث والخمسين، ومطار المدينة، وعلى مستودع الذخائر في ماي هاك دي. لقد كان ذلك بداية لاقتحام بون ميت هوت. وفي الوقت نفسه بدأت مدفعيتنا وقوات الصواريخ برمايات كثيفة على اركان الفرقة الثالثة والعشرين. واستمرت رمايات المدفعية حتى الساعة ٦,٣٠، واسفرت عن شل قيادات العدو، وأوقعته في حيرة تامة. وبالمهارة القتالية الفائقة التي تميّزت بها وحدات القوات الخاصة، استطاعت هذه القوات خلال ساعة واحدة ان تستولي على جزء كبير من مطار المدينة وتدمّر سبع طائرات وتحتل قسماً من مطار هوابين العسكري، وتستولي بالكامل على مستودع الذخائر في ماي هاك دي.

وتحت وابل من قذائف المدفعية وسيل من نيران الرشاشات اندفعت الى المدينة ومن جميع الاتجاهات ارتال الآلاف من المقاتلين بمدافعهم الميدانية، والمدافع المضادة للطائرات، وبدباباتهم وعرباتهم المدرعة وسياراتهم التي تقل جنود المشاة.

وعندما وصلت اصوات رشقات المدفعية الاولى الى مقر قيادتنا، تنفّس الجميع

الصعداء. وبذلك انقضت تلك الساعات المتوترة والعصيبة التي عاشتها القيادة العسكرية ـ انها ساعات انتشار القوات قبل المعركة، التي تُشكّل مهمة معقدة للغاية. فخلال ليلة واحدة تحركت خفية، وبدقة متناهية، الى مواضع الانطلاق قوات كبيرة مؤلفة من اثني عشر فوج مشاة وقطعات التعزيز. كما ان بعض القطعات تلقّت الأمر بالتحرك سرا الى خطوط الانطلاق الملاصقة للمدينة تقريبا، اضف الى ذلك ان معظم المجموعات الضاربة المؤلفة من المشاة والدبابات كان يجب عليها ان تتحشّد في هذه الاثناء على المشارف البعيدة للمدينة وتنتظر الاشارة المحددة، لتنطلق من اتجاهات مختلفة بغية اقتحام الاغراض المحددة لها في المدينة.

قبل ان تقتحم قطعات الدبابات مركز بون ميت هوت، كان ينبغي على معظمها ان يجتاز مسافة حتى ٤٠ كيلومتراً، ويتحرك عبر الخطوط الدفاعية للعدو، والعديد من الموانع الطبيعية. فعلى نهر سيربوك الهائل استطاع رجال الهندسة ان يجهّزوا الاطواف الحديثة بسرعة فائقة، لتعبر عليها الدبابات والعربات المدرعة والمدافع المضادة للطائرات، ومدافع الميدان. وهكذا فإن دويّ الآليات وزلزال الحرب هزّ الجبال المحيطة، والادغال في تاين غوين هزاً عنيفاً.

وبفضل التعاون المنظم جيداً، والقيادة الماهرة استطاعت كافة المجموعات الضاربة المحتشدة على مختلف الاتجاهات ان تدخل المدينة في الوقت المحدد بالضبط. وكان ذلك نجاحنا الأول في معارك بون ميت هوت.

وأشرق الصباح. واذا بمواضع العدو داخل المدينة تصبح على مرمى مدافعنا.

وفي الساعة ٧,١٥ تماماً، وبالاشارة المتفق عليها بدأت مدفعيتنا رماياتها الكثيفة من جميع القطاعات على اركان الفرقة الثالثة والعشرين، ومقر قيادة المنطقة العسكرية، ومرآب العربات المصفّحة. وقبل ذلك، وتحت جنح الظلام توغلت كتيبتان من مشاتنا ودخلتا المدينة من الجنوب، واستولتا بسرعة على عدد من الاغراض، وتحت رمايات المدفعية استولتا على الساحة المركزية في المدينة، التي كانت تتفرّع عنها ستة شوارع رئيسية، وبعد ذلك تحركتا نحو منطقة الكنيسة واستولتا على الحي المجاور لاركان الفرقة الثالثة والعشرين من جهة الشرق. دفع العدو، تحت غطاء جوي بمشاته للقيام بهجوم معاكس، محاولا طرد قواتنا من المدينة مهما كلفه ذلك من ثمن. ودارت المعركة الضارية. وفي الساعة التاسعة صباحاً بدأت قوات المشاة والدبابات باقتحام اركان

المنطقة العسكرية، التي كانت تقود اعمال قوات «حرس الامن» وقوات «الدفاع المدني» في الاقليم. ظل العدو يبدي مقاومة ضارية، مما حدا بنا الى زج الاحتياطات في المعركة. ولم تتمكن وحداتنا من الوصول الى مكان اركان المنطقة العسكرية الا في الساعة ١٢,٣٠. واخذ العدو المستتر في المباني المتعددة الطوابق يطلق نيرانه بغزارة. غير اننا واصلنا اقتحام المنطقة وإبطال كافة نقاط المقاومة. وفي الساعة ١٧,٣٠ استولينا بالكامل على البناء الذي تتمركز فيه اركان منطقة دارلاك العسكرية.

بعد ذلك خصصنا من القطعات المشتركة في القتال، مجموعة خاصة كُلفت بشن الهجوم على المنطقة التي كانت تتمركز فيها مؤسسات وعناصر ادارة المدينة. وهناك تم قتل واسر العديد من عملاء الادارة السايغونية. ثم طوّرت هذه المجموعة النجاح الذي حققته واستولت على معسكر للشرطة العسكرية ودمرت بالكامل السرية المدافعة عن المدينة من جهة الشمال الغربي وباتجاه مطار المدينة.

وبالتنسيق مع أعمال المجموعة المهاجمة من الشمال الشرقي، قامت المجموعة الشمالية ـ الغربية بشن الهجوم السريع، واحتلال مرتفع تي بوا الواقع في ضاحية المدينة، والذي يسهل منه رصد الاراضي المجاورة. وبعد ذلك قامت هذه المجموعة بشن اعمال هجومية بقوى المشاة والدبابات في منطقة تتحشّد فيها مدرعات ومدفعية العدو، وكذلك في منطقة القاعدة الادارية التابعة لفوج المشاة الخامس والأربعين العامل في قوام الفرقة الثالثة والعشرين.

في الساعة ١٥,٠٠ استولينا بالكامل على الأغراض المحددة لنا. وتم تحطيم قوات العدو، اما الجنود والضباط الذين ظلّوا على قيد الحياة فقد التجؤوا الى مبنى اركان الفرقة الثالثة والعشرين.

استفادت مجموعة المشاة والدبابات الجنوبية ـ الغربية الضاربة من الفوضى التي حلّت بالعدو، والتفّت بسرعة حول منطقة المستودع في ماي هاك دي، واستولت على عقدة الاتصال، ومن ثم زحفت من جهة الغرب نحو مبنى اركان الفرقة الثالثة والعشرين. عندئذ شنّ العدو هجمات معاكسة متتالية ومدعومة بالطيران. واستمرت المعارك سجالاً. وكان كلا الطرفين يقاتل بعناد واصرار عن كل حيّ وعن كل منزل في المدينة.

في نهاية اليوم استولينا على جزء كبير من مركز المقاطعة، ما عدا المنطقة التي تقع فيها اركان الفرقة الثالثة والعشرين، وعدد من الاغراض الواقعة الى الشرق من مبنى اركان منطقة دارلاك العسكرية.

لم يستطع العدو، الذي اصيب بالذعر والهلع، ان ينظم المقاومة القويّة. فمنذ اللحظات الاولى للعملية كانت مدفعيته ودباباته قد شلّت بالكامل. اضف الى ذلك ان قيادة القوات العميلة واصلت ارسال الطائرات الى المعركة (بلغ عدد طلعات الطائرات في نهاية ذلك اليوم ٨٠ طلعة)، محاولة بذلك ايقاف تقدمنا، وشن الهجمات المعاكسة الحاسمة. غير ان جميع الهجمات المعاكسة للقوات العميلة كانت قد اصيبت بالفشل. واضطر العدو للتراجع نحو منطقة إرباض اركان الفرقة الثالثة والعشرين، ليؤمن الدفاع عنها.

على الرغم من الخسائر الفادحة فإن العدو ظلّ واثقاً من نفسه. فقد اعتقد ان هجومنا الحالي لن يتعدّى في قوته وحجمه هجومنا في ربيع عام ١٩٦٨، وإذا ما استطاع الصمود ثلاثة ـ اربعة ايام، فإنه سيعيد الوضع الى ما كان عليه سابقاً. وبالاضافة الى المجموعة المقاتلة الحادية والعشرين التابعة للقوات الخاصة، والتي وصلت الى المدينة في مساء العاشر من آذار، حاول العدو نقل الفوج الخامس والاربعين من مدينة بليكو ليشنّ الهجمة المعاكسة على قطعاتنا.

وعند المساء وبعد ان استمعت الى تقرير عن الوضع في المدينة، اتصلت هاتفياً مع الجنرال هوانغ مين تهاو وقلت له: «في اليوم الاول من المعارك حول المدينة حققنا نجاحاً كبيراً، واستولينا او طوّقنا اثنين من ثلاثة اغراض هامة جداً ـ اركان المنطقة العسكرية، ومطار المدينة، وبالاضافة الى ذلك عزلنا مطار هوابين العسكري. سار الهجوم بنجاح على جميع الاتجاهات، ما عدا الاتجاه الجنوبي حيث ظهرت صعوبات اكبر، الاّ ان المهمة نفذت هنا ايضا. خسائرنا غير كبيرة، ونحن نستطيع، لا بل ينبغي علينا ان نسحق بسرعة اركان الفرقة الثالثة والعشرين والاغراض الاخرى المتبقية قبل ان يحصل العدو على التعزيزات. اصدروا امركم الى جميع القطعات للتمسك بالمواضع التي استولت عليها، ومطاردة فلول قطعات العدو المتقهقرة، والاستعداد بشكل جيد للضربة الحاسمة التي ستوجه الى اركان الفرقة الثالثة والعشرين صباح الحادي عشر من آذار. يجب نقل الفرقة العاشرة بكاملها من ديك

لاب الى الضواحي الشمالية ـ الشرقية للمدينة، والاستعداد لصد هجمات العدو المعاكسة. يجب تأمين تنفيذ كافة التوجيهات بدقة والمتعلقة بأعمال قواتنا بعد دخول المدينة».

تجدر الاشارة هنا، الى ان العدو لم يدرك ان هدفنا هو احتلال بون ميت هوت إلّا في صباح العاشر من آذار، غير ان ذلك كان متأخراً. فالطريق رقم ـ ١٤ تسيطر عليه قواتنا، وأفواج الفرقة الثالثة والعشرين المتواجدة في بليكو لم تحاول الخروج عبر تراتيب قتالنا، وليس في حوزتها العدد الكافي من وسائط النقل. كما ان ضباط وجنود هـذه الفرقـة كانـوا في حالـة سيئة للغـاية، لأن عـائلاتهم كـانت مـوجـودة في بون ميت هوت. وفي هذا الوقت كانت مدفعيتنا قد بدأت تصب حممها على المطار في بليكو. وقد زاد ذلك من صعوبة نقل القوات جواً الى بون ميت هوت.

أُبلغت في صباح الحادي عشر من آذار بما يلي: في الساعة ٧,٢٠ قامت مدفعيتنا الثقيلة بقصف اركان الفرقة الثالثة والعشرين، التي كانت تتحرك نحوها دباباتنا ومشاتنا. والعدو يطلب المساعدة السريعة. ومنذ ثلاثين دقيقة اقتربت قطعاتنا نحو اركان الفرقة الثالثة والعشرين من اربعة اتجاهات. واصدرت قيادة العدو امراً بالقتال حتى الموت.

في الساعة ٨,١٥ وصل تقرير يفيد بأن نائب قائد الفرقة الثالثة والعشرين قد فرّ مع اركان الفرقة. وبدون اي تأخير بدأنا بالاقتحام. ودارت معـركة حـامية الوطيس. وبعد اكتشاف مخبأين تحت الأرض، قام مقاتلونا باقتحامها، وأسروا حاكم المقاطعة، وقائد منطقة دارلاك العسكرية العقيد نيغوين شونغ لوات ومرافق نائب قائد الفرقة الثالثة والعشرين. وفي المخابىء الاخرى، استسلم ثلاثة عشر ضابطاً من بينهم اربعة نقباء. وفي هذا الوقت رفعت الاعلام البيضاء في اماكن كثيرة.

في الساعة ١٠,٣٠ اتصلت اركان المجموعة الحادية والعشرين التابعة للجيش العميل بالقيادة العليا وابلغتها بما يلي: «في الوقت الراهن يحدق الخطر باركان المجموعة المقاتلة، وبسرية الاستطلاع الثالثة والعشرين، وبوحدات المدفعية، وسقطت اركان منطقة دارلاك العسكرية واركان الفرقة الثالثة والعشرين. واستولى العدو على قاعدة مؤخرة مجموعتنا وعلى نقطة امداد الكتيبة الرابعة والعشرين. ووراء مبنى اركان المنطقة العسكرية، حيث تحتل مواقعها الكتيبتان الثانية والسبعون والسادسة والتسعون يحتشد

في هذه اللحظة عدد كبير من الدبابات الفيتنامية. مجموعتنا عاجزة عن انقاذ اركان الفرقة الثالثة والعشرين. كما أن الذخائر نفذت تقريباً. ولم يبق في حوزتنا سوى مدفعين ومئة قذيفة. وإذا لم تصلنا الذخائر فإن الموقف سيكون عسيراً جداً».

بعد القضاء على اركان الفرقة الثالثة والعشرين، استولت قواتنا على قاعدة الفوج الخامس والاربعين ثم اسرعت في الاستيلاء على مباني قيادة الشرطة العسكرية والمدنية، وعلى مركز المعلومات ومركز التدريب للتشكيلات الاقليمية. كما ان قطعاتنا زحفت من جميع الاتجاهات نحو مبنى قيادة الفرقة الثالثة والعشرين. ووصلت الى المدينة مفرزة مسلّحة من رجال الدعاية والاعلام. وفي الساعة ١٠,٣٠ من الحادي عشر من آذار عام ١٩٧٥ أنجزنا عملية اقتحام بون ميت هوت.

كانت السعادة غامرة. والمقاتلون في أحسن حالة نفسية. لان تحرير مثل هذه المدينة الكبيرة ـ بون ميت هوت ـ لم يستغرق سوى اثنتين وثلاثين ساعة فقط. وبذلك اصبحنا قوة لا تقهر.

لقد قال احد الرفاق في مقر قيادتنا: «لا شك في اننا استطعنا احتلال بون ميت هوت خلال اقل من يوم ونصف، وهذا امر مدهش تماماً. واستطيع القول انني لم ار عملية اكثر دقة من هذه العملية منذ احد عشر عاماً امضيتها في الجبهة. فالجنود لا يزالون بألبستهم النظيفة وهم بصحة ومعنويات جيدة، ولأول مرة يهاجم جنودنا وهم راكبون على الآليات، ففي عام ١٩٦٨ دخلت قواتنا بصعوبة بلدة بليكو ولم تستول إلّا على محطة لاسلكية واحدة، وخلال ثلاثة ايام اضطرت للتخلي عنها والانسحاب. وها هي المدينة الكبيرة الآن تجتاحها قواتنا بسرعة خاطفة. ان الامر عجيب حقاً».

أصدرت الاوامر باستجواب عقيدين كانا قد وقعا في اسر قواتنا. ولهذه الغاية استدعي الرائد ماك لام من ادارة الاستطلاع العسكري. وفي اثناء التحقيق أفاد العقيد فوهي كوانغ بما يلي: «كانت ضربتكم الموجهة الى بون ميت هوت مفاجئة لأركاننا العامة، وللأميركيين ايضاً. فبعد معارك فيوك لونغ كنّا نظن بأنكم خلال الوقت القريب لا تستطيعون الاستيلاء إلّا على مراكز اقليمية صغيرة مثل أنلوك، زانغي، أما احتلال المدن الكبيرة مثل بون ميت هوت وبليكو، وتاينين، فهذا ليس في مقدوركم حسب اعتقادنا. وحتى عندما هاجمتم بون ميت هوت كنا لا نزال نعتقد بأن

اعمالكم هي مناورة خداعية تهدف الى لفت الانظار عن الضربة المحضّرة ضد زانغي.

ومن أجل تأمين الدفاع كانت قيادتنا مضطرة للتمسك بمدينة نياشانغ في منطقة الفيلق الثاني، حيث يتوضع مقر القيادة المتقدم لهذا الفيلق، واركان خدمة الضابطة العسكرية، والمطار والميناء. وكان يجب علينا التمسك باستمرار بالممر الجبلي ميدراك بقوى فوج واحد، وتخصيص فوج آخر للدفاع عن المنطقة الواقعة الى الجنوب من ممر (كا)، وللدفاع عن نياشانغ مباشرة كان يجب تخصيص فوج واحد على الاقل، لأن نياشانغ وفانت هيت هما في نظرنا اهم من كوي نون، لأن هذه الاخيرة تظل ذات اهمية كبيرة طالما نحن لم نخسر بليكو وكونتوم. والفرقة الثالثة والعشرون يمكن تشكيلها من جديد، إلا أننا لم نستطع خلال ثلاثة شهور أن نعبىء اكثر من ٥٠٪ من قوامها العضوي.

إذا وجهتم خلال الايام القادمة الضربة الى نياشانغ، فإنكم ستستولون على المدينة حتماً لأنها هدف خائف ومهزوز. وليس عليكم إلّا الاهتمام بمدفعية السفن التابعة لنا (وخاصة المدافع ذات العيارات ٧٦مم و١٢٢مم القليلة العدد). ان اعمال الطيران هنا نشيطة، الا ان الطائرات الموجودة لدينا في ضواحي نياشانغ، قليلة الآن: ففي اليوم الواحد تنفذ فقط ثلاثون طلعة مقاتلة من نوع ف ـ٥ ومن نوع أ ـ٣٧. اما الامداد من جهة البحر فلا يشكّل صعوبة، غير ان الروح المعنوية لدى جنودنا انهارت الى حد كبير، ولا يوجد هناك خط دفاعي متصل ومتماسك.

في هذه اللحظة تعتمد سايغون اعتماداً كليا على قوات الانزال الجوي ومشاة البحرية، ولكن حتى جنود الانزال لا يثقون بأنفسهم وبقياداتهم. فإذا وجهتم الضربة الآن الى قوات الانزال الجوي او الى مشاة البحرية، فإن الروح المعنوية لدى جيش سايغون ستنهار بصورة نهائية ويُصاب بالضربة القاضية».

ونظراً لمعرفتنا بأن فوتهي كوانغ كان في يوم من الايام قائداً لموقع كامران، فقد سألناه عن طبيعة الدفاع في تلك المدينة الساحلية. فأجابنا: «لا يوجد اي دفاع في كامران. فهي قوية من الخارج فقط. كما ان جميع مباني الجيش قريبة من البحر. فإذا اتبعتم اساليبكم الحالية في خوض المعركة، فإنكم تستطيعون تحقيق النصر بسرعة. لأن اعادة بناء الدفاع عن كامران يستغرق ثلاثة شهور على الاقل. ومع ذلك فليس

هناك ثقة بامكانية تنظيم مثل هذا الدفاع، طالما ان المدينة تعاني من نقص شديد في كافة المجالات. فبعد انسحاب الاميركيين حدث نقص حتى بأكياس الرمل، وبالاسلاك الشائكة والاسمنت ووسائط النقل. وفي مثل هذه الحالة لا يصعب ابداً الاستيلاء على المدينة».

ان هذه الافادات ساعدتنا كثيراً في معرفة عدونا. وفي صباح الحادي عشر من آذار ارسلت الى الرفيق فونغوين جياب البرقية التالية: «الرفيق تين:

١- استولينا بالكامل على مركز المقاطعة بون ميت هوت، بعد ان سقطت الاغراض الاساسية بأيدينا مثل اركان الفرقة الثالثة والعشرين، وقيادة المنطقة العسكرية في دارلاك ومنطقة إرباض العربات المدرعة في مطار المدينة. يجري القضاء على فلول قوات العدو المختبئة في المدينة. يُستفاد من المعلومات الأولية انه أُسر آلاف الجنود وتم الاستيلاء على كميات كبيرة من الغنائم الحربية بما في ذلك اثني عشر مدفعاً وحوالى مئة طن من القذائف. اننا نسيطر على كامل المنطقة الممتدة بين ديك لاب وداك شونغ.

٢- نواصل نشر قواتنا لتدمير الاغراض المتداعية مثل: القواعد الادارية للفوجين الخامس والاربعين والثالث والخمسين، وبلدة بوان هو، وبان دون. ندفع بقوات اضافية نحو مطار هوابين بهدف احتلاله والتمسك به.

٣- في الحادي عشر من آذار ستباشر لجنة الادارة العسكرية أعمالها في مقاطعة دارلاك. نرجو منح الرفيق ي. بلوك رتبة عسكرية (جنرالاً)، وتعيينه رئيساً لهذه اللجنة.

٤- نظراً لأن الروح المعنوية لدى العدو في تاين غوين منهارة الى حد كبير، فإن القدرة القتالية لقطعاته المعزولة اصبحت معدومة تقريباً، في حين ان جيشنا اصبح الأقوى والأكثر تفاؤلا بالنصر، كما ان مصالح المؤخرة مستعدة للقيام بأعمال الامداد. وعلى ضوء هذا الموقف المشجع نضع بصورة اولية الخطة التالية للأعمال:

- التحصّن داخل بون ميت هوت والتمسك بها بعناد، والاستعداد لصد هجمات العدو المعاكسة، وفي الوقت نفسه نقوم بتصعيد الاعمال القتالية في المناطق المحيطة بالمدينة من اجل تحرير مقاطعة دارلاك بالكامل.

- تطوير الهجوم نحو الشرق من فوبون (وهناك امكانية لاحتلال او تطويق هذه المدينة)، ثم الانعطاف نحو الشمال بهدف تطويق واحتلال بليكو، وعزل كونتوم ايضاً، تمهيداً للاقتحام. اما التحرك نحو الجنوب فيمكن ايقافه مؤقتاً. وقد اخذت آراء كل من الرفيقين دين ديك تهين، ولي نفوك هين، فوافقا على هذه الفكرة. نرجومنكم دراسة مقترحاتنا في اللجنة العسكرية، وابلاغ المكتب السياسي عن ذلك واصدار التوجيهات المناسبة الينا».

في اليوم نفسه، اي في الحادي عشر من آذار، طلب الرفيق لي سوان في اثناء لقائه مع ضباط الاركان العامة، بأن يفكروا جدياً بأن عملية احتلال بون ميت هوت يمكن ان تصبح بداية لهجومنا العام والكبير.

ان احتلال بون ميت هوت كان ضربة ماحقة قصمت ظهر العدو. كما انها كانت مفاجئة ومثبطة لعزائم العدو.

حاولت الادارة السايغونية التستر على هذه الهزيمة النكراء، واخذت تدّعي بأن بون ميت هوت لا تزال في قبضتها. حتى ان ممثل الحكومة صرح في المؤتمر الصحفي آنذاك بما يلي: «ان القول بأن بون ميت هوت قد سقطت هو خطأ فادح بحد ذاته». كما ان الصحفي الفرنسي بول ليندري الذي ارسل الى وطنه التقارير حول تحرير بون ميت هوت، استدعي على عجل الى قيادة الامن العام وقتل.

اقترحنا على اللجنة العسكرية والقيادة العامة عدم اذاعة او نشر نتائج معارك بون ميت هوت في الوقت الراهن. وافسحنا المجال امام العدو للتبجح، لأن ذلك يضر به اكثر مما يفيده. وعندما نحرر مقاطعة دارلاك بكاملها نستطيع ان نعلن عن تحرير المدينة الرئيسية فيها.

في مساء الحادي عشر من آذار، اصدر الجنرال هوانغ نين تهاو اوامره الى القوات للاسراع في الاستيلاء على ما تبقى من المدينة، وخاصة الملاجىء والمخابىء تحت الأرض، والبحث عن السجون وتحرير المعتقلين السياسيين منها، وتدمير المنشآت الدفاعية للعدو على المشارف القريبة والبعيدة عن بون ميت هوت اي الواقعة في بوان هو وعلى نهر سيريبوك، وفي لاك تهين، وباندون، وديك سوين، وهان زيونغ. وتركز الاهتمام في هذه الاوامر على تحضير واعداد القوات لسحق تعزيزات العدو

المتجهة نحو بون ميت هوت من جهة الشرق. وفي هذا الوقت بالذات كان ينبغي العمل بسرعة لانهاء التحضيرات لشن الهجوم اللاحق.

برزت امام قيادتنا مهمة الاستفادة الكاملة من اللحظة المواتية لتطوير النجاح بسرعة، لأنه لا يمكن الاحتفاظ بالنجاحات الا عن طريق تطويرها وخلق الشروط اللازمة لتحقيق نجاحات جديدة، وانتصارات اسرع واكبر.

ولكن كيف يمكن تطوير النجاح الذي تحقق؟ وعلى اي اتجاه؟ وعلى اي مستوى؟ ان هذه الاسئلة كان يجب حلّها والاجابة عليها بدقة وشمول. لقد كنّا شهود عيان على السباق مع العدو ومع الزمن بغية تحقيق النصر النهائي للثورة. ففي تلك الاثناء كانت لا تزال لدى العدو في تاين غوين قوات نظامية كبيرة تابعة لمنطقة الفيلق الثاني، وتشكيلات محليّة تتمركز في كونتوم وبليكو. فمن مجموع قوات منطقة الفيلق الثاني، كان هناك الفوجان الرابع والاربعون والخامس والاربعون التابعان للفرقة الثالثة والعشرين، واللذان تكبدا الخسائر الكبيرة في المعارك، ويدافعان الآن عن بليكو، وكذلك الفرقة الثانية والعشرون التي تعمل في مواجهة قواتنا في مقاطعة بين دين، وكذلك عدد من المجموعات المقاتلة التابعة للقوات الخاصة. أي انه كان في حوزة العدو الامكانيات الحقيقية للمناورة بالافواج المستقلة بهدف استعادة بون ميت هوت من جديد او التمسك بالمناطق الاخرى وخاصة في مراكز المقاطعة، وإجهاض او خرق الحصار الذي فرضته قواتنا على مواصلاته، ومحاولة الصمود حتى حلول موسم الامطار. وهكذا كان يجب الأخذ بعين الاعتبار ان العدو بإمكانه ان يحرّك الى تاين غوين فرقة او فرقتين من الجبهات الاخرى اذا ما نحن خفّفنا الضغط على ذلك الاقليم.

بقي امامنا شهران حتى حلول فصل الامطار. وهذه الامطار تزيد من الصعوبة في خوض الاعمال القتالية بقوى تشكيلات كبيرة مجهزة بالعتاد القتالي الثقيل. ولذلك كان ينبغي علينا خلال هذين الشهرين ان نوجه الى العدو عدداً من الضربات السريعة لتحسين موقفنا بحيث يمكننا، مع انتهاء موسم الامطار، مواصلة الاعمال القتالية بنجاح. غير ان الروح المعنوية العالية لدى جيشنا قد تضعف خلال هذه الفترة. ولذلك تبادلت الآراء حول هذه المسألة مع دين ديك تهين، ومع لي نفوك هين، والرفاق الآخرين. ثم ابلغنا المكتب السياسي والقيادة العامة عن خطط اعمالنا في هذه

المنطقة وطلبنا من القيادة العامة بأن تسند الى القوات العاملة في منطقة كوانغ هي، وتهيا تهين مهمة مهاجمة اغراض العدو في منطقة الطريق رقم -١ لتثبيت قواته ومنعه من نقلها الى تاين غوين.

تجدر الاشارة هنا ايضاً الى ان العملية الاولى، اي تحرير بون ميت هوت لم تُظهر القوة المتعاظمة لجيشنا فحسب، بل أظهرت ايضاً اخطاءنا مثل التباطؤ، والاعتياد على الطرق القديمة في خوض المعركة)، التي يجب التخلص منها فوراً. كانت تهمنا بصورة خاصة معرفة طبيعة الاعمال التي قد يلجأ العدو اليها على جبهة تاين غوين بعد ان فقد مدينة بون ميت هوت، وكذلك رد فعل الاميركيين والحكومة العميلة في سايغون والطغمة العسكرية هناك. وتحت وطأة ضربتنا القوية والسريعة تم تمزيق التجميع المعادي في تاين غوين، وخلال يوم واحد، أهم قيادات هذا التجميع - اركان التشكيلات الاقليمية في مقاطعة دارلاك واركان الفرقة الثالثة والعشرين. واصبح من الواضح ان العدو سيحاول اخراجنا من بون ميت هوت، غير ان المدينة كانت معزولة عن العالم الخارجي. وطالما ان الطرقات مقطوعة، والمطارات الكبيرة في قبضتنا، وتشكيلاتنا مستعدة مسبقاً لصد الهجمات المعاكسة وتحطيم تعزيزات العدو، فإنه كان من الصعب جداً على العدو استعادة المدينة بقوات منطقة الفيلق الثاني او حتى بقوى الاحتياطات الاستراتيجية.

منذ العاشر من آذار نشطت الاعمال القتالية المنسقة بين قواتنا على كافة جبهات فيتنام الجنوبية. مما اضطر العدو الى دراسة الموقف على كافة الجبهات لكي يقرر ما اذا كان بإمكانه ان يحشد القوات في منطقة بون ميت هوت. اضف الى ذلك ان الصعوبات العسكرية التي كانت تواجه العدو، كانت تزداد تفاقمًا بسبب الصعوبات السياسية والمعنوية والاقتصادية، التي يعاني منها الامبرياليون الاميركيون وعملاؤهم. ومع هذا فإن سايغون لم تكن واثقة في الحصول على مساعدات اضافية من الولايات المتحدة الاميركية. لأن ادارة الرئيس الاميركي فورد اصطدمت بالكثير من المصاعب في الشرق الاوسط وفي داخل اميركا بالذات.

اما ما يتعلق بنا فإن الانتصار السريع والصاعق في بون ميت هوت، قد احدث لدى جميع قوات الجبهات تفاؤلا عظيمًا، وتصميمًا اكبر على إحراز النصر النهائي. فجيشنا كان يتفجّر قوة وحماساً، كما ان احتياطاتنا من الذخائر والتعيينات كانت

تستكمل على الفور من الغنائم الوفيرة. وعندما يدور الحديث عن التعيينات والذخائر يرفع دين ديك تهين اصبعه ليقول مبتسمًا:

«ان ارباحنا وعائداتنا التي حصلنا عليها من رؤوس اموالنا المكدّسة زادت اضعافاً مضاعفة. فالاحتياطات وافرة لدينا، ولا تكفي حتى حلول موسم الامطار فحسب، بل وحتى موسم الجفاف من العام القادم. ان لدينا الكثير من السيارات، والذخائر بما في ذلك السيارات والقذائف التي استولينا عليها في مستودعات ماي كاندي وبون ميت هوت. اي اننا نستطيع ان نضرب العدو بقوة، لأنه من الأفضل ان نوجعه كي يتقهقر بسرعة اكبر، وهذا في صالحنا».

لقد طرحت نفسها الآن المسألة التالية: ينبغي العمل على تطوير الهجوم بأقصى سرعة ممكنة كي لا يتمكن العدو من تنظيم المقاومة، ولكي لا يعيقنا الطقس ايضاً. وبذلك يمكن القول بأننا بدأنا الصراع مع العدو والطقس منذ الثاني عشر من آذار.

كانت تصورات وحسابات القيادة تتركّز على ان القسم الاكبر لقواتنا يجب ان ينعطف على الطريق رقم ـ ١٤ نحو الشمال، ويجتاح دفاع العدو، ويحرر بليكو ويعزل كونتوم.

ومن اجل تنفيذ هذه الخطة كان يجب الاسراع في تدمير فلول قوات العدو، المتواجدة في المناطق المحيطة بمدينة بون ميت هوت، وتحرير مقاطعة دارلاك بالكامل. ، هذا من جهة. ومن جهة ثانية كان يجب الاستعداد لصد هجمات العدو المعاكسة في أية لحظة والتمسك بالاراضي المحررة بإصرار وعناد.

كان يجب العمل بسرعة قدر الامكان على تشكيل لجنة الادارة العسكرية في بون ميت هوت ذاتها، والتي انيطت بها تلك الاعمال الاساسية مثل تنظيم واحصاء العسكريين والمرتزقة لدى السلطات العميلة، واستلام اسلحتهم، وإقامة نظام الدفاع الجوي، وتأمين اخلاء السكان من منطقة الاعمال القتالية، وتشكيل هيآت الحكم المحلي في المناطق ومفارز الدفاع الذاتي، واستئناف العمل في المشافي والمدارس والاسواق التجارية، ومؤسسات الامداد بالمياه والطاقة، والمراكز الصناعية والحوانيت . . . الخ، اي كل ما من شأنه ان يؤمن الحياة الطبيعية للسكان.

في تلك الايام كانت المهمة الخطيرة والملحة الملقاة على عاتقنا في بون ميت هوت

تتمثل في تنظيم امداد سكان المدينة بالمواد الغذائية، وامداد ضواحي المدينة ايضاً. ولذلك فان كميات الارز والملح والمعلبات والادوية التي استولت عليها قواتنا تم توزيعها على سكان المدينة حالاً.

عند ظهيرة الثاني عشر من آذار تلقيت من الرفيق فونيغوين جياب البرقية اللاسلكية التي جاء فيها ان المكتب السياسي واللجنة العسكرية استقبلا بكل فرح وسرور نبأ الانتصار الكبير والرائع الذي حققه جيشنا، وهما يعلنان عن شكرهما الحار للقادة والجنود وأعضاء الحزب، واتحاد الشبيبة الشيوعية، وللعمال في المؤسسات الصناعية العسكرية، والى جميع المواطنين الذين ساهموا بشكل مباشر او غير مباشر في معارك التحرير على جبهة تاين غوين. وفي الاجتماع المشترك الذي عقده المكتب السياسي واللجنة العسكرية تقرر بأن الخطط الاستراتيجية والعملياتية التي وضعناها كانت سليمة وصحيحة. كما ان النجاحات الحربية في بون ميت هوت وديك لاب، وفي منطقة الطريق رقم ـ ١٩ والمناطق الاخرى تؤكد على اننا قادرون على تحقيق الانتصارات الكبرى بوتائر اسرع مما كنّا نتصوّر. وفي الوقت ذاته كان العدو يرى بأم عينه الانهيار السريع بمعنويات قواته. ولذلك يجب في مثل هذا الموقف العمل بسرعة وبجرأة، والاستفادة الكاملة من الفرصة المؤاتية لتحقيق النجاحات الاكبر.

لقد صدّق الرفاق لي سوان، لي ديك تهو، وفونغوين جياب بالاجماع على فكرتي، التي تقول: بتدمير فلول الجيش العميل في بون ميت هوت بالسرعة الممكنة، واحتلال المناطق المجاورة للمدينة، والاستعداد لسحق تعزيزات العدوّ، وتطوير الهجوم الكثيف باتجاه فوبون، وتدمير القوى الحية للعدو، واحكام الطوق حول بليكو وعزل كونتوم لاقتحامها فيما بعد، وايقاف التقدم على الاتجاه الجنوبي لبعض الوقت.

وبعد بضع دقائق تلقينا بواسطة الجهاز اللاسلكي معلومات من القيادة العامة تفيد بأن العدو ينوي القيام بهجمات معاكسة بغية استعادة السيطرة على المدينة من جديد وذلك بقوى وحدات الفوج الثالث والخمسين، والمجموعة المقاتلة الحادية والعشرين، والقوى الملتجئة الى المنشآت الدفاعية حول بون ميت هوت، وخاصة في بون هو وفيوكان، وكذلك عن طريق نقل فوج او فوجين من المشاة الى هذه المنطقة، وبدعم كثيف من الطيران.

وفي نفس الساعة وردت الى مقر قيادتنا الانباء التي تفيد بأن فوج المشاة الخامس

والاربعين مع النسق الرئيسي لاركان الفرقة الثالثة والعشرين اقلع من بليكو بواسطة الحوامات، وفي ظهيرة الحادي عشر من آذار هبط في بون هو، بينما هبطت مجموعة اخرى في فيوكان في الثاني عشر من آذار. العدو يعبىء قواه إذن، ويحشدها مستخدما الطيران لذلك. ولذا كان يجب علينا ان نعمل بسرعة على حشد قوانا للاسراع في سحق العدو المتواجد في نقاط الاستناد حول وقرب بون ميت هوت، والاستعداد لصد تعزيزاته التي يريد زجها في المعركة.

ان البرقيات اللاسلكية التي تلقيناها زادت من سرورنا ورفعت معنوياتنا في نفس الوقت. فالاستنتاجات الحكيمة، والفهم المتبادل والاجماع في الآراء بين القيادة المركزية وقيادة الجبهة يعتبر احد العوامل الثلاثة التي تحقق النصر. فكل واحد منا تولّى عمله بدون ابطاء وبهمة عالية لأن صدورنا كانت عامرة بالفرح والثقة لتحقيق النجاحات الجديدة.

لقد توجه لي نفوك هين الى اركان جبهة تاين غوين على الفور، وذلك من اجل بحث المسألة المتعلقة بكيفية مضاعفة النجاح الذي تم احرازه، بالتفصيل مع قيادة الجبهة. كما توجه دين ديك تهين الى قيادة مؤخرة الجبهة لتفقد حالة المستودعات والاسراع في تنفيذ التحضيرات الضرورية الاخرى. كنا نفكر في مسألة تنقّل مقر القيادة كي يستطيع التكيف مع تطورات الاحداث. فضباط اركان الهيئة التابعة لممثلينا كانوا يتتبعون تبدلات الموقف ويدرسون في الوقت نفسه الطرق الممكنة لتقدم القوات، وتضاريس الارض حول بليكو، كما يحددون بصورة اولية طرق خوض المعركة وبنية تراتيب القتال بحيث يمكن تحطيم اركان منطقة الفيلق الثاني بالضربة الاولى الموجهة الى المدينة. وطلبنا هاتفياً من هانوي إبلاغنا بالتنبؤ عن حالة الطقس في منطقة تاين غوين للفترة نيسان ـ ايار.

في الثاني عشر من آذار وجّه هيو الى قائد منطقة الفيلق الثاني برقية لاسلكية تضمنت ما يلي: «يجب التمسك بمدينة بون ميت هوت بأي ثمن كان. وتقع مسؤولية قيادة الاعمال القتالية في هذه المنطقة على عاتق الفرقة الثالثة والعشرين». وحتى في نهاية الثالث عشر من آذار لم يعترف العدو بحقيقة تحرير بون ميت هوت من قبل قواتنا. فالاذاعات ووكالات الانباء الغربية كانت تذيع انباء غامضة ومتضاربة حول سير الاعمال القتالية. اما قوات منطقة الفيلق الثاني فقد حاولت ان تقاوم قواتنا، كما

ان الطائرات من طراز أ ـ٣٧ قصفت بون ميت هوت دون توقف، في حين كانت طائرات الاستطلاع تحلق فوق المناطق الواقعة الى الشرق من المدينة.

وكما توقعنا فإن العدو قام بنقل الفوج الخامس والاربعين التابع للفرقة الثالثة والعشرين بالحوامات من بليكو الى الضواحي الشرقية لبلدة بون ميت هوت، والى منطقة فيوكان حيث كانت قواتنا التي احتشدت هناك مسبقاً تستعد لتدمير العدو.

والآن لم يبق امامنا سوى وقت قصير كي تبدأ المرحلة الثانية والحاسمة من معارك تحرير تاين غوين.



التصدي للهجمة المعاكسة للعدو

منذ النصف الثاني للحادي عشر من آذار وحتى صبيحة الرابع عشر منه كانت اركان الجبهة تشهد جواً متوتراً، الا انه كان مشحوناً بالعزيمة والتفاؤل الكبير. كما ان سيلاً دائماً من المعلومات كان يتدفق من القوات ومن عناصر الاستطلاع اللاسلكي. اي ان سباق الزمن مع العدو كان قد بدأ بالفعل في تلك اللحظة التي شهدت سقوط القذائف في بون ميت هوت. فقواتنا اخذت تتحرك بسرعة على الطريق رقم ـ١٤ نحو بون هو، وباندون، وداتلي، وباتجاه القواعد الادارية للفوجين الثالث والخمسين والخامس والاربعين، وغيرها من الاغراض الاخرى. وهاجمت دباباتنا ومدفعيتنا مختلف الاغراض الواقعة في ضواحي بون ميت هوت.

استطاع احد افواج الفرقة ٣٢٠ ان يزحف نحو الجنوب على الطريق رقم ـ١٤ ويحرر مركز قضاء بون هو ويجبر العدو على التراجع نحو داتلي، بينما زحف الفوج الآخر نحو الشمال ونحو جسر يا ـليو. وبنتيجة ذلك استطاعت الفرقة احكام سيطرتها على الطريق رقم ـ١٤ ضمن قطاع طوله ثمانون كيلومتراً. وانتشرت الفرقة العاشرة الى الشرق من بون ميت هوت، حيث احتلت المواضع المناسبة لها واستعدت لسحق التعزيزات التي دفع بها العدو لاستعادة سيطرته على المدينة من جديد. وفي ظهيرة

الثاني عشر من آذار أحكمت قواتنا الطوق حول مركز قضاء فيوكان. وفر قائد وحدات القوات الاقليمية في قضاء فيوكان مع افراد الشرطة هناك.

طهّرت قطعات الفرقة ٣١٦ ووحدات الفوج الخامس والتسعين (B) مخابىء وملاجىء بون ميت هوت من العدو. كما انها حرّرت المعتقلين السياسيين من السجون وبدأت بالاستيلاء على منطقة مركز تدريب الفرقة الثالثة والعشرين، وهي تطارد فلول قوات العدو التي فرت باتجاه مزارع المطاط في الضاحية الغربية من المدينة، وتدعو مفارز الدفاع المدني وافراد التشكيلات المحلية للاستسلام والقاء السلاح.

حصّنت وحداتنا الخاصة مواقعها في مطار هوابين بعد ان تصدت بنجاح للهجمات المعاكسة التي قامت بها وحدات الفوج الثالث والخمسين التابع للجيش العميل. كما ان سرايا مدفعيتنا البعيدة المدى حضّرت المعطيات اللازمة لفتح النار على المنطقة الواقعة الى الشرق من المدينة وحول مطار هوابين. وكانت الطواقم المضادة للطائرات، التي احتشدت في القسم الشرقي من المدينة مستعدة في أية لحظة لفتح النار على الحوامات التي تحمل الانزالات الجوية المعادية.

وصلت وحدات قواتنا المدرعة الى مناطق التحشّد، وحضرت مواضع الانطلاق لاستئناف الهجوم باتجاه: بون ميت هوت ـ لاك تهين ـ فيوكان.

وما ان توقف اطلاق النار في بون ميت هوت حتى هرع السكان الى منشآت الملاجىء، والى عربات النقل وغيرها من الوسائط للجلاء عن المدينة. وعلى الفور قدّمت مجموعات الشرطة العسكرية التي كانت قد تشكّلت من جديد، المساعدة الى السكان وحدّدت لهم طريق الجلاء (الاخلاء) نحو الغرب، وعزلت الطرق الذاهبة نحو الشرق، كي تمنع العناصر الرجعية والحاقدة من الفرار. اما العائلات الفقيرة التي غادرت المدينة فقد قدّم اليها الأرز والملح بدون مقابل. واقامت مدفعيتنا المضادة للطائرات ستاراً نارياً فوق المدينة، احترقت فيه القاذفات المعادية وطائرات الاستطلاع.

اما في مقاطعة دارلاك فقد اصبح العدو كالأفعى بدون رأس. واستسلم معظم جنود الجيش العميل في باندون وفرّ الباقون. كما ان المقدم رئيس القاعدة الادارية للفوج الخامس والاربعين تولىّ بنفسه الاشراف العام على اعمال فلول الفوجين

الخامس والاربعين والثالث والخمسين. وأرسل برقية لاسلكية الى اركان المستوى الأعلى يطلب فيها المساعدة، ويقترح القاء القنابل المحرقة على مواقع قواتنا كي يتمكن جنود الجيش العميل من الفرار.

خلال الاعمال القتالية التي دارت في ضواحي بون ميت هوت استسلمت مجموعات كثيرة من جنود الجيش العميل طواعية. كما ان قواتنا استولت ايضاً على الكثير من الآليات والمدافع من عيار ١٠٥مم . وكانت الطائرات من طراز أ ـ٣٧ تشن غاراتها على بون ميت هوت، على شكل رفوف متتابعة، بينما كان طيران الاستطلاع المعادي يعزز نشاطه في سماء فيوكان وفوق مطار هوابين.

كانت تظهر على خريطة العمل الموجودة في مقر قيادتنا الدوائر الكبيرة التي تحمل اشارات التدمير (X) الحمراء، والتي تشير الى الاغراض التي دمرتها او استولت عليها قواتنا. كما ان الاسهم الحمراء كانت تشير الى اتجاهات هجوم قواتنا، والاسهم الخضراء تشير الى انسحاب وتقهقر قوات العدو نحو الغابات القريبة.

اما في فرع الاشارة فكانت تسمع باستمرار اجراس الهاتف التي ترن بإلحاح. بينما كان الضباط المناوبون يحاولون المحافظة على هدوئهم، الا انهم لم يستطيعوا اخفاء ابتسامات السعادة عند ورود كل نبأ عن انتصار قواتنا. والجدير بالذكر ان رجال الاشارة نفذوا اعمالهم بصمت وهدوء وهم يتحركون في القاعة بحذر وصمت، وفي بعض الاوقات كنا نشاهد بعض المواطنين وهم يعانقون الضباط المناوبين في فرع الاشارة ويقدّمون اليهم لفائف التبغ والهدايا.

حلّ الربيع مبكراً في ذلك العام. غير ان غابات تاين غوين لم ترتدِ حلتها الجديدة بعد، في حين ان الجو كان حاراً في ظهيرة ذلك اليوم. كما ان اصوات الحشرات وتغريد الطيور كانت تمتزج مع دوي المدافع، واصوات محركات طائرات الاستطلاع من طراز وف ـ ١٠ التي تحلّق فوق الغابة بحثاً عن الاغراض، ومع الاصوات: «ألو أنا ـ زا ـ٧٥» في مقر القيادة.

في ظهيرة الثاني عشر من آذار وفي خضم المعركة ضد العدو الذي يشن علينا الهجوم المعاكس تعطلت كافة خطوط اتصال مقر القيادة. وفي الضواحي لم تعد تسمع انفجارات القنابل ودوي محركات الطائرات. وحاولنا قدر الامكان اعادة الاتصال

هاتفياً، ولكن بدون جدوى. واوقف جميع الضباط أعمالهم وأحنوا رؤوسهم صامتين. وخرج رئيس فرع الاشارة من الملجأ كي يستطلع الامر. وفي هذه الاثناء ظهرت مجموعة من الفيلة على بعد ثلاثمئة متر عن المقر.

وتبين ان المسبب في قطع الاتصال هو قطيع الفيلة الذي ذعر وفرّ هارباً من جراء انفجارات القنابل وقذائف المدفعية باتجاه الحدود الفيتنامية الكمبودية ونحو مقر قيادتنا ايضاً. وعلى الفور توجهت الوحدة المكلفة بحراسة مقر القيادة، «للتفاهم» مع هذه الحيوانات غير الواعية. وقد حظّر على الجنود اطلاق النار عليها وطلب اليهم التعامل معها بحذر للمحافظة على الثروة الحيوانية، ولتفادي هيجانها الخطير خاصة وأنها موجودة بالقرب من مقر القيادة. وصدر الأمر الى الجميع باللجوء الى المخبأ الخشبي على شكل حرف (A) عند الضرورة «مع اشارة تهكمية الى الذين يفرّون خوفاً من الفيلة».

وبكل سرور مرت الفيلة جانباً، وعادت وحدة الحراسة ادراجها دون ان تضطر للقيام بأي عمل. أما جنود الاشارة فهم الذين تحملّوا العبء الكبير، لأن هذه الحيوانات لم تقطع الاسلاك فحسب، بل جرّتها معها بعيداً عن مقر القيادة.

في ليلة الثاني عشر ـ الثالث عشر من آذار، آوينا الى فراشنا بالتناوب، كما ان الضباط المناوبين كانوا يتتبعون الموقف باستمرار. وكان يخيّم على الغابة سكون عام، ولم يكن بالامكان النوم لمدة طويلة. ففي رؤوسنا كانت تدور افكار مقلقة، وعندما كان يحلّ النعاس لدقيقة واحدة، كانت اجراس الهاتف بالمرصاد، واصوات خطوات المناوب تمحو وبسرعة عن جفوننا مشاهد الاحلام القصيرة.

في الثاني عشر من آذار تلقينا برقية مستعجلة من هانوي. كما ان نص البرقية استلمناه على دفعات بعد فك رموزه. وإذا بالرفيق فونغوين جياب ينقل إليّ رأي المكتب السياسي واللجنة العسكرية رداً على برقيتي التي ارسلتها. وقد ابلغنا كل من المكتب السياسي واللجنة العسكرية بأن الاعمال القتالية النشطة والمنسّقة تدور على خطوط الجبهة الاخرى، وأوصيانا بالاسراع في اتخاذ التدابير المتعلقة بالتصدي لهجمات العدو المعاكسة وتدمير اكبر عدد من قواه الحية في منطقة بون ميت هوت والمناطق المحيطة بها، وتطويق فوبون بسرعة، والاشراف بحزم على تنفيذ تلك التدابير.

كان المكتب السياسي واللجنة العسكرية يريان بأن العدو سيفقد المركز الاقليمي (بون ميت هوت) وعدداً آخر من مراكز الأقضية فيما اذا تكبّد خسائر كبيرة في قواه الحية، اما الطريق رقم ـ ١٩ فسوف يقطع، اي ان العدو سيكون مرغمًا على سحب قواته المتبقية في تاين غوين وتحريكها نحو بليكو، أو أنه سيقوم بتراجع استراتيجي ويتخلى عن المرتفعات الوسطى. وعلى ضوء ذلك قرر المكتب السياسي واللجنة العسكرية العمل بسرعة لاحكام الطوق حول بليكو وقطع جميع طرق المواصلات البرية والجوية، والاستعداد لتدمير العدو في جميع الاحوال.

وبذلك فإن المكتب السياسي واللجنة العسكرية كانا يتوقعان مسبقاً الانسحاب الاستراتيجي لقوات العدو من تاين غوين. وفي اثناء تحضيرنا لخوض عملية الاستيلاء على بون ميت هوت، كنا نعمل بسرعة، لا لحرمان العدو من امكانية تحريك التعزيزات الى قواته في تاين غوين فحسب، بل ولحرمانه ايضاً من مغادرة هذه المنطقة بسهولة.

كان طيران العدو يواصل نقل القوات الى منطقة فيوكان، والى المناطق الواقعة غربي مطار هوابين. كما ان جنود وحدات الافواج: الرابع والاربعين، والخامس والاربعين، والثالث والخمسين الذين نقلوا الى هذه المناطق كانوا يعيشون اللحظات الرهيبة والدقائق الاكثر حرجاً في حياتهم.

وحتى في اثناء تحليق الحوامات، كانت هذه الاخيرة تتعرض لرمايات مدافعنا المضادة للطائرات ذات العيارات المختلفة. ورأى جنود وضباط الجيش العميل بأم اعينهم كيف يتساقطون صرعى الواحد تلو الآخر. كما ان اولئك الذين استطاعوا الهبوط ولم يتمكنوا من التجمع والانتظام، فرّوا نحو الادغال كي يتقوا شر نيران مدافعنا ورشاشاتنا الغزيرة. وعندما شاهدوا دباباتنا وعرباتنا المصفحة وهي تدخل الى صفوفهم، أُصيبوا بالهلع الكبير الذي لا يوصف.

لقد سحقت وحدات الانزال الجوي المعادي، الواحدة تلو الاخرى، وفرت فلولها بدون انتظام باتجاه الطريق رقم ـ٢١. وفي اثناء فرارهم انضمت اليهم وحدات التشكيلات الاقليمية المتعاونة مع السلطات العميلة، تاركة وراءها الاعداد الكبيرة من الآليات والمدافع والذخائر.

قامت قواتنا بمطاردة العدو على ناقلات الجنود المدرعة. وخلال زحفنا على الطرق الرئيسية تجاوزنا وحدات العدو المنسحبة، وأقمنا على الطرقات نقاط الإعاقة التي اوقفت جنود الجيش العميل المتقهقرين افرادياً. وعند ذلك واجهت ضباط فروع الاستطلاع والعمليات في قواتنا صعوبات كبيرة: إذ اصبح من الصعب عليهم تحديد مكان وجود قطعات العدو واسلحته على الخريطة، والتفريق بين اماكنها في الأمس واليوم، لأنها كانت تنسحب على شكل تقهقر فوضوي الى حد كبير، ولأن المحطات اللاسلكية المعادية كانت تبث الاوامر والتعليمات التي لا يفهم منها من الذي يأمر الآخر، ومن هو الرئيس والمرؤوس. كما ان طائرات العدو كانت تحلق في السماء لتقدم المساعدات بدون جدوى الى القوات الأرضية.

في صبيحة الرابع عشر من آذار، وبعد الاستماع الى تقرير الضابط المناوب توصّلنا الى استنتاج نهائي، وهو ان القوات الرئيسية للفرقة الثالثة والعشرين، والمتمثلة في الفوجين الرابع والاربعين والخامس والاربعين، اللذين كانا يعملان الى الشرق من بون ميت هوت، سحقت الآن نتيجة للمعارك الاخيرة التي استمرت يومين على التوالي. وهذا ما حل ايضاً بفلول الفوج الثالث والخمسين والمجموعة المقاتلة الخاصة الحادية والعشرين. كما ان الهجمات المعاكسة لقوات منطقة الفيلق الثاني في تاين غوين كانت قد صدّت وأُحبطت. وتكبّد العدو هزيمة اخرى، واصبح في وضع اصعب من الوضع الذي كان فيه عشية محاولته للقيام بالهجوم المعاكس.

بناءً على موافقة المكتب السياسي واللجنة العسكرية، واصلنا الاعمال الهجومية طبقاً للخطة المقررة. وفي الرابع عشر من آذار، وبعد تبادل الآراء مع ضباط الاركان ارسلت الى المكتب السياسي واللجنة العسكرية البرقية اللاسلكية التي ضمّنتها كافة البرقيات اللاسلكية المرسلة الينا، وأشرت فيها الى اننا ازددنا سروراً واغتباطاً بأفكار المكتب السياسي واللجنة العسكرية وبتوجيهاتهما حول التطوير اللاحق للعملية. ووعدنا جميع القوى بتحقيق رغبات القيادة: وهي زيادة وتائر الانتصارات، وتنفيذ خطة تحرير تاين غوين خلال بضعة شهور من عام ١٩٧٥، والتي كانت قد وضعت بالأصل لتنفذ خلال عامين.

لقد ابلغنا المكتب السياسي واللجنة العسكرية بتفصيلات الايام الاولى من العملية، وتحدثنا عن كيفية ارغام العدو للخضوع لارادتنا، وكيف خدعناه ومنعناه من

معرفة اتجاه هجومنا الرئيسي حتى لحظة بدء العملية. الأمر الذي ادى الى اصابة العدو بالذعر والفوضى.

في الفترة ما بين الاول والتاسع من آذار عام ١٩٧٥ وقبل الهجوم على بون ميت هوت كنا قد نفذنا الاعمال القتالية التي من شأنها ان تلفت انظار العدو نحو كونتوم وبليكو، وبعدها عزلنا الغرض الرئيسي للهجوم بعد قطع طرق المواصلات. ولذلك فإن العدو لم يعرف نوايانا إلا عند بدء التمهيد المدفعي على بون ميت هوت. وعندئذ أُصيب بالدهشة واراد تعزيز الدفاع غير انه كان قد فات الاوان: لأن قواته كانت مبعثرة.

عند توجيه الضربة الى الاغراض الرئيسية في بون ميت هوت لجأنا الى التعاون بين مختلف صنوف القوات على جميع الاتجاهات واستخدمنا القطعات والوحدات المختارة لتشكل المجموعات الضاربة، ودفعنا بها مسبقاً نحو المشارف القريبة من المدينة. والتفّت مجموعات المشاة والدبابات الضاربة والكبيرة حول المواضع الدفاعية للعدو، واندفعت من الحركة نحو أحياء المدينة، ودمرت على الفور نقطتين قياديتين هامتين للعدو، هما اركان الفرقة الثالثة والعشرين، وازكان منطقة دارلاك العسكرية.

على الاتجاه الجنوبي كانت تهاجم كتيبتان من المشاة تمركزتا سراً على المشارف القريبة للمدينة: احداهما هاجمت اركان الفرقة الثالثة والعشرين، بينما هاجمت الاخرى اركان المنطقة العسكرية. وفي الوقت نفسه كانت تزحف نحو مركز المدينة من جهة الغرب، والشمال الشرقي مجموعتان ضاربتان مع وحدات ملحقة من الدبابات والمدفعية والـ م/ط. وعلى الاتجاه الجنوبي الغربي شكلت مجموعة ضاربة اخرى بقوام كتيبة مشاة مع سرية دبابات. بحيث هاجمت إحدى سرايا كتيبة المشاة العدو بمرافقة الدبابات، بينما تحركت السريتان الاخريان نحو خط الانطلاق مسبقاً، والواقع على بعد كيلومترين عن اركان الفرقة الثالثة والعشرين وبذلك شكلت سرايا المشاة مع سرية الدبابات مجموعة ضاربة قوية هاجمت الغرض الرئيسي للعدو في اللحظة التي نقلت فيها مدفعيتنا رماياتها الى الاغراض الاخرى. عندئذ لم يستطع العدو تنظيم المقاومة وفقد امكانياته للسيطرة على قواته.

ان الانتصار السريع الذي تحقق في بون ميت هوت يشير الى حقائق ناصعة وهي الجرأة والمفاجأة في تنفيذ الضربة. غير ان هذه الطريقة في خوض المعركة كانت

تتميز بتعقيدات كبيرة وتحتاج الى تعاون دقيق جداً بين مختلف صنوف القوات. وقد حققنا ذلك اثناء قيامنا بالعملية لاحتلال بون ميت هوت. وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت بعض السلبيات والعيوب في عدد من قطعاتنا خلال تنفيذ تلك المعارك الناجحة وفي بعض اللحظات، لكن تلك العيوب امكن التغلب عليها بسرعة. اضف الى ذلك ان مستوى الوعي لدى قواتنا، ونمط اعمالنا كانا لا يزالان قاصرين عن التكيف مع الشروط الجديدة للموقف. اي ان التقاليد القديمة استمرت طويلاً، مما حدا بنا الى عقد الاجتماعات واللقاءات. كما ان بعض القادة لم يعد بامكانهم التبجح بكفاءاتهم واصرارهم. وحدثت مواقف لم تتمكن فيها القيادة من معرفة حقيقة الوضع في القوات. إذ برزت سلبيات اخرى: وهي ان بعض القطعات لم تستخدم الهاتف اللاسلكي على الرغم من توفرها لديها، بل حاولت مد خطوط الاتصال السلكية، وعندما استولت على آليات العدو مع سائقيها لم تستفد من هؤلاء ومن آلياتهم، وواصلت زحفها سيراً على الاقدام. وفي الوقت الذي كان جيش العدو يتقهقر وينهار دون ان يستطيع تنظيم الدفاع والمقاومة كان بعض الرفاق ـ على الرغم من ذلك ـ يطالبون بالتقيد بالقواعد والاسس القديمة والتقليدية مثل عدم توجيه الضربات ليلا والانتظار حتى طلوع الفجر. او الحالة التالية مثلا: كان عدد طائرات العدو التي استخدمها في الاعمال القتالية محدوداً، وتحلق ايضاً على ارتفاعات عالية، وتقصف حسب نقاط العلاّم دون ان تحقق الدقة في الاصابة، وعلى الرغم من ذلك كان بعض القادة يحظرون على قواتهم المناورة نهاراً، طالبين اليها الانتظار، الامر الذي كان يؤدي الى ضياع الوقت سدى. وفي الوقت نفسه كنا نشير مرارا وتكرارا الى هذه العيوب التي كانت تزول بالتدريج.

لقد نفذ الهجوم بسرعة كبيرة وعلى مستويات واسعة. ففي كل يوم كانت تزداد الامكانيات لتحقيق انتصارات جديدة. في حين ان بعض اللجان الحزبية المحلية كانت لا تزال تعاني من اعباء الخوف والشكوك في مصير هذه الحرب. كما ان العادات القديمة والاساليب التنظيمية وطرق التفكير السابقة، اصبحت تتناقض الآن مع معطيات الموقف الجديد، حيث ينبغي الآن توفر النظرة العملياتية الشاملة والسريعة.

لم يكن هذا الوضع سائداً في تاين غوين فحسب، بل وفي الجبهات الاخرى ايضاً. وهو يتلخص بأن تقدير العدو وطريقة التفكير وأنماط العمل التي اعتدنا عليها لم

تعد تتفق الآن مع الموقف الجديد. فالآن يجب زيادة الامكانيات التنظيمية للقادة، والمسؤولية الشخصية لكل رئيس او قائد عسكري عن تنفيذ عمله المكلف به، وعن قراره الذي يتخذه بالاضافة الى السرعة والمناورة والمرونة في الأعمال. كما ان مهارة وخبرات جنودنا وضباطنا ازدادت كثيراً بعد معارك جبهة تاين غوين، اذ انهم حصلوا على خبرات ثمينة جداً.

لقد أكدت الخبرات والدروس المستفادة من المعارك السابقة على انه يجب علينا تخصيص وقت اكبر للتدريب التكتيكي للقوات، لاكسابها كل ما هو جديد في التلاؤم العملياتي والمرن، وتطوير المهارات التنظيمية والقيادية لدى القادة والرؤساء من اجل خوض المعارك المتسارعة والمتواترة الواحدة تلو الاخرى، وتعليم الجنود والضباط على قيادة كافة انواع الآليات، والاستفادة من جميع اجهزة الاتصال والاعتدة الحربية ووسائط خوض الحرب المتطورة الاخرى، مع تركيز الاهتمام الخاص على مسألة الاستفادة من اسلحة العدو لتدميره بها.

لقد كنّا جميعاً متفقين مع تلك الاجراءات والتدابير في مجال الدعاية، والتي عرضها في برقيته الرفيق وفونغوين جياب. فطالما ان العدو يواصل اخفاء الحقائق ويضلل الرأي العام، فإنه يجب علينا العمل حسب الخطط المرسومة بمهارة واحكام. وبعد التحرير الكامل فقط لمقاطعة دارلاك يفضل اذاعة البيانات الرسمية لاظهار الحقائق عن طريق الصحف والاذاعة، مع نشر تصريحات وبلاغات اللجنة الثورية الشعبية لمقاطعة دارلاك، التي تذيع نتائج ومحصّلات المعارك، وإفادات واعترافات الاسرى والفارّين.



التحوّل في الحرب

في الخامس عشر من آذار عام ١٩٧٥، تلقيت من المكتب السياسي برقية جوابية موقعة من قبل الرفيق لي ديك تهوك، وبرقية من اللجنة العسكرية للحزب موقعة من قبل الرفيق فونغوين جياب.

ودرس المكتب السياسي واللجنة العسكرية للحزب في اجتماعهما المشترك الذي عقد في هانوي، البرقية اللاسلكية التي ارسلت من الجبهة في الرابع عشر من آذار، وأقرّا بالاجماع استنتاجاتنا ومقترحاتنا. كما ان اللجنة العسكرية كلفت الاركان العامة باطلاع قيادات الجبهات الاخرى على افكارنا وتصوّراتنا بشأن طرق تضليل العدو، واساليب خوض المعركة، واشكال تدريب المقاتلين، واستخدام العتاد الحربي المستولى عليه، وبشأن بعض العيوب التي لا تزال تعاني منها قيادة القوات.

ان مقترحاتنا حول تنسيق أعمال جميع الجبهات شكّلت الاساس لتوجيهات المكتب السياسي واللجنة العسكرية، التي صدرت ووزعت على جميع المناطق العسكرية.

بعد استلام البرقيتين من المكتب السياسي واللجنة العسكرية، عقدنا اجتماعاً

كي ندرس المسألة المتعلّقة بتطبيق خطة شن الهجوم اللاحق على الاتجاه الشمالي وذلك على ضوء التبدّلات الاخيرة في الموقف الذي شهده اقليم تاين غوين.

هذا وقد أيّدت قيادة جبهة تاين غوين الخطة المقترحة وعبّرت عن عزمها على بذل كل جهودها لتنفيذها، بعد ان شقت طريق النضال الطويل والصعب ضد الاميركيين في هذه المنطقة. وان قيادة جبهة تاين غوين كانت اكثر من سواها تفاؤلا بالانتصارات. وفي الفترة ما بين ١٩٦٨ و١٩٧٢ خاضت قواتنا معارك ضارية في منطقة المرتفعات الوسطى، إلّا ان الانتصارات التي تحققت آنذاك لم تكن رائعة وعظيمة كهذه الانتصارات التي تحققت في هذا العام. ويوم ذاك لم تكن قواتنا شبيهة بقواتنا في الوقت الراهن، كما ان إمدادها لم يكن على الوجه الأكمل، وشبكة المواصلات كانت لا تفي بحاجة القوات. وفي تلك الفترة كان العدو يمتلك قوة نارية هائلة، ويحصل على الدعم المادي الكبير من الطغمة العسكرية الاميركية. ومن أجل التصدّي لقواتنا في تاين غوين، كان يستطيع تحريك قواته من المناطق الاخرى في فيتنام الجنوبية. أما الآن وبعد ان تبدّل الموقف، اصبح تحرير تاين غوين قاب قوسين او ادنى. وفي شروط التنفيذ الناجح والسريع للعملية ظهرت امكانية تحرير تاين غوين بأكملها قبل حلول موسم الامطار لعام ١٩٧٥. وكانت قيادة جبهة تاين غوين تعلم حق العلم مسؤوليتها العظيمة امام الوطن، وتدرك حق الادراك الشرف الكبير الذي يحمله مقاتلوها في تلك العملية بصورة خاصة. ولذلك فإنها كانت فخورة كل الفخر، ومعلقة الآمال العريضة على نتائج الاعمال المرتقبة.

في أحد اللقاءات الودية قال الجنرال هوانغ مين تهاو: «اذا استطاعت الثورة في الجنوب ان تحقق الانتصارات حتى هذا اليوم، فإن ذلك يحدث لأننا استطعنا الاستيلاء على جزء من تاين غوين، التي ناضل شعبها نضال الابطال خلال حربين سابقتين ضد الفرنسيين، وضد الاميركيين، وقدّم كل طاقاته وامكانياته الى الثورة. وكنت احلم ليلاً ونهاراً بالتحرير الكامل لاقليم تاين غوين وأتمنى بحرارة ان يصبح جميع ابنائه احراراً كرماء».

في الخامس عشر، وصبيحة السادس عشر من آذار تلقينا معلومات من الاستطلاع اللاسلكي، ونشرات عن انباء الاذاعات الغربية. كانت هذه الانباء

والمعلومات مفككة وغير دقيقة، غير انها قدمت مادة هامة لتقييم وضع قوات العدو في تاين غوين.

فوكالة الانباء الاميركية مثلا اذاعت بأن سعر البطاقة للطائرة من بليكو الى سايغون ازداد في الخامس عشر من آذار حتى ٤٠٠٠٠ قرش. إذن ما هو السبب الداعي للسفر جوا الى سايغون في الخامس عشر من آذار بالذات؟ وفي نهار السادس عشر من آذار التقطت قواتنا محادثات لاسلكية بين وحدات القوى الجوية المعادية التي تنفذ غاراتها من مطار بليكو. وكان الطيارون يعبّرون عن افكارهم بأنهم لن يعودوا الى بليكو، بل سيهبطون في نياشانغ. فلماذا اذن تعود الطائرات المعادية لتهبط في مطار آخر غير المطار الذي كانت تتمركز فيه، علمًا بأنه بعيد عن المطار الأصلي، وإننا لم نقصف بعد مطار بليكو بقوة في صباح السادس عشر من آذار. في الساعة ١٥,٠٠ من يوم ١٦ آذار وصلتنا من هانوي برقية لاسلكية تقول بأن النسق الاول لاركان منطقة الفيلق الثاني المعادية، والمستشارية الاميركية تحرّكت الى نياشانغ. وفي الساعة١٦,٠٠ وصلنا من تهوامان نبأ يفيد بأن رصادنا العاملين قرب جسر يا ـ ليو، اكتشفوا بالقرب من ميتهان رتلا كبيرا من آليات العدو المتوجهة نحو فوبون.

طيلة هذه الايام ومنطقة بون ميت هوت تستأثر باهتمامنا، ومع ذلك كنّا قد بدأنا بتركيز الاهتمام على مناطق بليكو وكونتوم والطريقين رقم ـ١٤ و١٩.

في حوالي الساعة١٩,٠٠ من يوم ١٦ آذار، وبعد الحصول على هذه المعلومات دار نقاش حاد في مقر قيادتنا بين ضباط الاركان. ولم يتم استخلاص الاستنتاجات، ولا المصادقة على أي شيء، غير ان كل واحد منا كان يشعر بأن العدو كان يفكّر بأمر ما بعد هزيمته المريرة في ضواحي بون ميت هوت، وبعد الهجمات المعاكسة الفاشلة لقطعات الفرقة الثالثة والعشرين.

كان بعض الرفاق يتوقع ان يسحب العدو قواته الى نياشانغ من تاين غوين، من اجل القيام بهجوم معاكس على بون ميت هوت من محور الطريق رقم ـ٢١ وذلك بالاشتراك مع الاحتياطات الاستراتيجية.

اما الآخرون فكانوا مع الرأي القائل بأنه على ضوء التقدير والتقييمات التي تضمنتها برقية اللجنة العسكرية للحزب، يمكن للاحداث ان تتطور على ثلاثة

اتجاهات: أوّلها ـ قد يصعّد العدو هجماته المعاكسة، وثانيها ـ قد يحاول سحب قواته الى بليكو اذا فشل في صد ضرباتنا، وعندئذ يجب علينا تطويق المدينة فوراً، وثالثها ـ احتمال ان يقوم العدو بانسحاب استراتيجي. وهكذا فإن المعلومات التي كانت بحوزتنا كانت تعني ان العدو يحشد قواته للقيام بالهجمات المعاكسة او للانسحاب الى نياشانغ.

اذا كان العدو ينوي سحب قواته فهل هذا يعني سحباً لجميع قواته، أو أنه تنقّل لاركاناته فقط؟ وكيف سيتم هذا الانسحاب وعلى اي طرق؟. ليس من السهل على العدو شن الهجوم المعاكس على الطريق رقم ـ ٢١ المؤدي الى بون ميت هوت. لأن القوات المهزومة تتراجع متقهقرة على هذا الطريق نحو نياشانغ، وهذا لا بد من ان يؤثر على معنويات العدو الذي يستعد لشن الهجوم المعاكس.

حتى ان بعض الرفاق اكّدوا ان العدو سيسحب قواته حتماً، طالما ان اثنتين من حالات تطور الموقف المحتملة والمبينة في برقية اللجنة العسكرية، لا تستبعدان امكانية الانسحاب وبالاضافة الى ذلك فإن هجمات العدو المعاكسة يجري صدّها الآن بنجاح، ويجب علينا لاحقاً تطويق بليكو واحتلالها. وهناك احتمال بعدم قيام العدو بالهجوم المعاكس الكبير بعد ان تكبّد الخسائر الكبيرة في اعقاب الهزيمتين الاخيرتين. وعندما يدرك العدو بأنه سيحطم في هذه المنطقة عاجلا أوآجلا، فإنه سيقرر التخلي عن تاين غوين حتما. ولذلك كان ينبغي علينا ان ننفذ مهمتين بنجاح: سحق قطعات العدو التي تشن الهجوم المعاكس، والاستعداد بسرعة لتطويق القوات الرئيسية للعدو في بليكو، وانهاء هذه العملية بسرعة. والعدو الذي يحاول الانسحاب من بليكو لن يتمكن من فك الحصار، لان جميع المواضع المناسبة من الناحية التكتيكية احتلتها قواتنا، وقطعت الطرق الاستراتيجية.

لقد فكرنا طويلا حول الانباء المتواترة والقادمة من اماكن مختلفة، وبدأنا بمناقشة ضباط المؤخرة بدقة وهدوء. وبكل ثقة حدد المكتب السياسي واللجنة العسكرية ثلاثة اتجاهات محتملة لتطوير الاعمال، وعلى ضوء ذلك وضعنا الخطة التالية للاعمال القتالية: بعد احتلال بون ميت هوت يجب الاستعداد لتحطيم التعزيزات التي نقلها العدو، وخوض المعارك النشطة مع قوات منطقة الفيلق الثاني والاحتياطات الاستراتيجية المنقولة جواً. ان الطرقات رقم ١٩ و١٤ و٢١ تقطعها قواتنا وتحاصرها

بإحكام، ولذلك فإن العدو لا يستطيع نقل التعزيزات براً الى القوات المحاصرة في بليكو، مع العلم ان هذه الاخيرة محرومة من امكانية الانسحاب.

كنّا نرى بأن الموقف قد يتغير بسرعة كبيرة، لأن العدو كان يعتمد على نفسه في البداية، وبعد ذلك اصيب بخيبة الامل في اعقاب الهزيمتين الاخيرتين القاسيتين، لذلك يمكن ان يقع في اخطاء اكبر في المستقبل القريب. فمن الصعب عليه تحريك تعزيزاته وشن الهجوم المعاكس، كما انه اذا قرر الانسحاب فهذا يعني انه سيصاب بالكارثة القاضية.

لم تكن التقارير حتى تلك اللحظة كثيرة الى الحد المطلوب، إلا انها كانت تفي بالغرض وتمكّن من التفكير والعمل.

لقد اصدرنا التعليمات لتوسيع العمل من اجل التقاط المحادثات من خطوط اتصال العدو، وطلبنا من هانوي ارسال معلومات اضافية عن الوضع السائد على جميع اتجاهات العمليات العسكرية، كما اصدرنا التوجيهات للاستماع الى اذاعات المحطات الاجنبية، وذكّرنا قيادة جبهة تاين غوين بضرورة مراقبة الموقف بحذر، واهتمام في مناطق الاعمال التي يقوم بها الفوجان الصديقان الخامس والتسعون والخامس والعشرون، والفرقتان ٣٢٠، والعاشرة، اللتان تحاصران الطرق رقم: ١٩، ١٤، ٢١، والاستعداد لارسال التعزيزات الى الفوج الخامس والعشرين الذي يحاصر الطريق رقم ـ٢١.

في الساعة ٢١,٠٠ من يوم ١٦ آذار تلقّى الضابط المناوب تقريراً حول انسحاب العدو من بليكو. كما ان أحد أرتال السيارات الذي كان يتحرك على الطريق رقم ـ٧ كان قد غادر ميت هان. وحدث في مدينة بليكو انفجار في مستودع الذخائر، وشبّت الحرائق في اماكن عديدة.

ان هذا النبأ هزّ اركاننا بعنف. فقد اسرع الضباط الى بسط خرائطهم على الطاولة لينظروا الى شبكة طرق تاين غوين. وتحت ضوء مصابيح الجيب، درس الضباط مخططات الطرق رقم: ١٩ و١٤ و٢١ كي يجددوا الاماكن المناسبة لاقامة التخريبات، والتحويلات، والطرق الجانبية التي يمكن ان يستفيد منها العدو، وكيف يفضّل ان توجّه اليه الضربة. كما تم قياس المسافات بدقة بين الطريق رقم ـ٧ ومناطق

إرباض قطعاتنا من اجل تحديد الوقت اللازم لملاقاة ارتال العدو.

اتصلت هاتفياً مع قائد الفرقة ٣٢٠ كيم توان. وقبل بدء معارك بون ميت هوت كان قد زاد اهتمامي بالطريق رقم ـ٧ واستفسرت عنه مرارا. وبكل مرة كنت ابلغ بأن الطريق قد قصفت منذ مدة طويلة، والجسور في حالة سيئة، ولا توجد عليها معابر اخرى، والعدو لا يستخدم هذه الطريق. ومنذ يومين كنت قد تحدثت من جديد عن هذه الطريق مع كيم توان وتلقيت منه نفس الرد السابق.

أما الآن فقد اصبح معلوماً ان العدو ينسحب على الطريق رقم ـ٧، بينما لا نمتلك حتى الآن المعلومات الكافية عن هذه الطريق، ولم ننظم في حينه مطاردة العدو عليها. فاتصلت هاتفياً مع قائد الفرقة وذكّرته مؤكداً على: «ان هذا هو التقصير بعينه، والفشل. وإن اي إهمال في هذه اللحظات او اي تهاون سيؤدي الى الحاق الضرر بأعمالنا. واذا استطاع العدو الافلات فإن ذلك يعد جريمة كبرى، تتحملون انتم بالذات المسؤولية عنها».

في هذه الحالة لم استطع الاستماع الى الاعذار والتبريرات من المرؤوسين، بل أردت فقط ان يعملوا على أكمل وجه وبأقصى سرعة لينفذوا المهام التي كُلِّفوا بها.

في الكثير من المعارك والعمليات، وفي اكثر المواقف تعقيداً، كنت ـ بصفتي قائداً ـ أُعامل المرؤوسين بكل حزم وصرامة، في حين يدرك هؤلاء المرؤوسون موقفي وسلوكي حق الادراك. ولذلك اسرعوا بتنفيذ التعليمات فور تلقيها، واستطاعوا التنفيذ بنجاح.

رفعت سماعة الهاتف، وفي ذاكرتي تظهر صور لفرار العدو خلال الحرب الماضية مع الفرنسيين، والحرب الراهنة مع الاميركيين: صور لفرار تشكيلين من القوات الفرنسية بقيادة شارتون، وليباج على الطريق رقم ـ٤ خلال عملية تحرير المناطق الواقعة على الحدود الفيتنامية ـ الصينية (في عام ١٩٥٠)، وانسحاب فوج مشاة البحرية الاميركية من خيسان (في عام ١٩٦٨)، والفرقة الاولى، ولواء الانزال الجوي، ولواء مشاة البحرية التابعة للجيش السايغوني العميل من منطقة الطريق رقم ـ٩، اي في جنوب لاوس (عام ١٩٧١)، وفرار الفرقة الثالثة السايغونية من مدينة كوانغ هي (في عام ١٩٧٢). لقد لجأ العدو مرارا الى الفرار دون ان يتحمل ثقل ضرباتنا، غير انه كان

يستخدم مختلف المناورات الخداعية عادة اثناء انسحابه.

إلّا ان الصورة تختلف الآن عما كانت عليه في السابق: فمن تاين غوين - رأس الجسر الاستراتيجي الهام - تولّى الادبار قوات منطقة فيلق بالكامل تابعة لنظام سايغون العميل. وربّ سائل يسأل لماذا يحدث ذلك؟ وبأمر من؟ نعم ان هذه الاسئلة قد تطرح، ولكن اما آن الاوان لان تزلزل الأرض تحت اقدام العدو بنتيجة الضربتين السريعتين والقويتين في جنوب الهضاب المسطحة؟ لا شك بأنَ الضربة الموجعة التي وجهت الى المكان الضعيف جعلت العدو يبحث عن ثغرة للفرار منها. كما انه صُعِق من هول هذه الضربات ومن اخطائه الاستراتيجية ايضاً.

لا شك في ان امر انسحاب قوات الفيلق الثاني صادر عن الادارة المركزية في سايغون، وهذا يعني ان الاحداث خرجت عن إطار العملية الواحدة، وأخذت طابعاً استراتيجياً.

لأول مرة في تاريخ حرب الهند الصينية يضطر جيش للعدو مجهّز بأحدث الاسلحة، للانسحاب من عملية واحدة، تاركاً رأس الجسر الاستراتيجي الهام. وهذا سيجر وراءه بالطبع احداثاً هامة اخرى، وقد يؤدي الى حسم الحرب، وانتصار قواتنا بالكامل وبشكل نهائي.

لقد حرم العدو من امكانية السيطرة على الاحداث وحصرها في مناطقها وأُفلت زمام الامور من يديه. ولا شك في ان الهزائم التي لحقت به ستحدث رد فعل شائكاً وعسيراً، ليس في مجرى العمليات العسكرية فحسب، بل وفي المجال السياسي ايضاً، وتؤثر على الاميركيين ايضاً، الذين كانوا عاجزين عن فك العقدة التي ضاقت حول أعناق عملائهم.

وهكذا بدأ التحول في الحرب. ولكي لا تفلت اللحظة المواتية من أيدينا كان يجب علينا، وقبل كل شيء، وبأي ثمن سحق العدو المنسحب وتدميره في هضاب تاين غوين بالتحديد، وعدم تمكينه من الفرار نحو المناطق السهلية. اي ينبغي تحطيم العدو بسرعة وبالكامل كي نحقق التحول الجذري في مجرى الحرب.

عند عودتنا بالذاكرة الى أحداث الماضي، والتفكير بالحاضر كنّا نمتلك سعادة، وننفذ صبراً. وطيلة ليلة السابع عشر من آذار والفرقة ٣٢٠ تعمل بدون كلل ولا

ملل. وتلقت قيادة جبهة تاين غوين أمراً بتخصيص عدد إضافي من العربات المصفحة والسيارات والمدافع والوسائط المادية الاخرى لتقديم المساعدة الى الفرقة ٣٢٠ في مطاردة العدو. وفي الوقت نفسه صدرت التوجيهات الى اركان المنطقة العسكرية الخامسة المتواجدة في مقاطعة بين دين لنقل التشكيلات المحلية من مقاطعة فوين الى الطريق رقم ـ٧ لسد الطريق امام العدو ومنعه من الانسحاب الى توي هوا. وتلقت الفرقة ٩٦٨ امراً لدخول بليكو بسرعة، وعبور نقاط استناد العدو الواقعة على امتداد الطريق، واللحاق بالعدو وتوجيه الضربة اليه من الخلف. وطُلب الى قيادة المجموعة ٥٥٩ إرسال فرقة الهندسة ٤٧٠ الى منطقة كونتوم ـ بليكو بمهمة اطفاء الحرائق وإجلاء السكان الى المناطق الآمنة، والاشراف على المستودعات التي تركها العدو وراءه.

بعد ان اصدرنا التعليمات الضرورية اصبحنا ننتظر انباء تنفيذها بفارغ الصبر، وكانت اعمال مطاردة العدو المنسحب هي التي تقلقنا بشكل خاص. وكان يبدو لنا ان الاحداث تتطور ببطء شديد.

كيف كانت تسير الامور في حقيقة الأمر؟ بعد ان تلقّت الفرقة ٣٢٠ الاوامر بدأت في مساء السادس عشر من آذار بتنفيذ مهامها، وفي صباح السابع عشر من آذار اجتازت احدى قطعات الفرقة الادغال ووصلت الى الطريق رقم ـ٧. وأوقف العدو في الجزء الشرقي من مقاطعة فوبون، وهنا، وكذلك في غربي المقاطعة أخذت قوات العدو تتجمع.

في الثامن عشر من آذار استطاعت قواتنا، التي كانت تطارد العدو، تحرير مركز مقاطعة فوبون بعد ان دمّرت القوات الموجودة في المدينة، وأخذت تقاتل وهي تتقدم نحو كونغ شون. وفي الوقت نفسه اندفعت كتيبتان من التشكيلات المحلية من مقاطعة فوين، واحتلتا جسر شون هوا، وزحفتا مع قطعات الفرقة ٣٢٠ نحو كونغ شون.

ان قوات العدو التي اصيبت بالذعر والهلع تقهقرت بدون انتظام. وسحقت قطعاتنا ست مجموعات مقاتلة من قوات العدو الخاصة، وثلاثة افواج مدرعة، وعددا من وحدات الخدمة التابعة لقوات منطقة الفيلق الثاني للعدو، كما استولت على جميع الدبابات والشاحنات وآليات الهندسة والمدافع التي كانت في حوزة هذه القوات.

لقد افاد عقيد الجيش السايغوني العميل فام زوي تات الذي كان يقود قطعات

القوات الخاصة التابعة لمنطقة الفيلق الثاني، في اثناء استجوابه بما يلي حول انسحاب جيش العدو من تاين غوين:

«في مساء الرابع عشر من آذار كنت مع القوات اتفقّد حالة الدفاع في بليكو. وفجأة استدعيت لحضور اجتماع مع قائد منطقة الفيلق فام فان فو، الذي أخبرني بأنه عاد لتوّه من كامران، حيث كان يحضر اجتماعاً شارك فيه كل من نغوين ڤان هيو، شان هين هيم، كاو فان ڤين، ودانغ ڤان كوانغ. وسأل هيو كاوفين اثناء الاجتماع:

- هل توجد احتياطات لتعزيز قوات منطقة الفيلق الثاني؟

- لا - اجابه ڤين.

عندئذ اتجه الرئيس العميل نحو فو قائلا:

- كيف يمكنكم الصبر طويلاً والصمود بدون تعزيزات؟

فأجابه فو:

- انني استطيع ان اصمد شهراً واحدا ولكن بشرط تأمين الدعم الجوي الكافي وتلبية جميع احتياجاتنا من الاسلحة والذخائر، والتعويض عن الخسائر الكبيرة في القوى الحية. إنني سأبقى أقاتل في بليكو وفيها سأموت.

أجابه هيو بأنه لا يمكن ان نضمن مثل هذه الشروط طالما ان جيش التحرير يصعّد هجماته ويشدد من ضرباته. لذلك يفضّل الانسحاب من كونتوم وبليكو من اجل المحافظة على القوى واستخدامها في الدفاع عن السهول الساحلية حيث يسهل امداد القوات. وكرّر هيو السؤال مرة اخرى:

- هل يمكن الانسحاب على الطريق رقم -١٩؟

فأجابه ڤين:

- ان تاريخ حروب الهند الصينية لا تعرف حالة واحدة لم تُدمّر فيها القوات التي كانت تنسحب على هذه الطريق.

- وإذا تم الانسحاب على الطريق رقم ١٤؟ أردف هيو قائلا، فأجابه فين:

- لا يمكن تنظيم الانسحاب على هذه الطريق بصورة خاصة.

الجميع كانوا يدركون انه لم يبق امامنا إلا الطريق رقم ـ٧. والحقيقة انها طريق رديئة ومخرّبة منذ زمن بعيد، ، كما ان الانسحاب عليها يعتبر مفاجأة للعدو.

بعد ان استمع الى حديث فام فان فو حول نتائج الاجتماع سأله نائب قائد منطقة الفيلق الثاني الجنرال شان ڤان كام:

ـ هل يجب تنظيم اخلاء ادارة المقاطعة والتشكيلات المحلية والسكان؟ فأجابه فو:

ـ لقد أمر السيد هيو بإبقاء هؤلاء في اماكنهم، وعدم ابلاغ ادارة المقاطعة عن انسحاب القوات، بعد ان طلبنا من السلطات المحلية هناك اتخاذ التدابير لمواصلة المقاومة. وعندما ينتهي الانسحاب فإن الجميع سيعلمون بذلك.

وبعد اصدار الاوامر، كلّف فو شان ڤان كام، ورئيس اركان منطقة الفيلق الثاني بإعداد خطة الانسحاب.

في صباح الخامس عشر من آذار سافر فو جواً الى نياشانغ مع ضباط النسق الاول لأركان منطقة الفيلق الثاني، من اجل تشكيل مقر قيادة متقدم في هذه المدينة لقيادة الهجوم المعاكس على بون ميت هوت. وهكذا فإن قائد منطقة الفيلق الثاني لم يف بوعده «بالصمود حتى الموت في بليكو». لقد انسحبت وحدات المصالح الفنية الى فوبون مع عائلات الضباط والجنود. وأدّى ذلك الى معرفة السكان المحليين بنوايا القيادة العسكرية للتخلي عن بليكو. كما ان ضباط وجنود الجيش العميل اصيبوا بالذعر والخوف. لأن زوجاتهم واقاربهم نقلوا على عجل الى المطار حيث اخذوا يتدافعون لدخول الطائرة. ومن لم يستطع الوصول الى المطار فرّ هارباً نحو فوبون مستخدماً اية واسطة نقل في طريقه. وتعرقلت حركة السير على الطريق العام حتى ان مجموعات الجنود التي اخذت تتجاوز بعضها البعض، اشتبكت فيما بينها، مما زاد من حدّة الهلع والرعب، وفي هذا الوقت بالذات بدأت المجموعة المقاتلة الخاصة الثانية والعشرون انسحابها من كونتوم.

وعلى مشارف هانان الحقت قوات التحرير الفيتنامية هزيمة قاسية بهذه المجموعة.

وفقاً للخطة الموضوعة، كان يجب على قوات منطقة الفيلق الثاني ان تجهّز في اول

الامر خطا دفاعياً بمنطقة فوبون وتتمسك به لكي تغطي انسحاب وخدات وقطعات المصالح الفنية التابعة للجيش العميل. غير ان هذه الاخيرة توقفت في المدينة بعد ان وصلت اليها في السادس عشر من آذار، لانها لم تستطع التقدم اكثر من ذلك - كما ذكرت في تقاريرها - . وهذه الوحدات والقطعات لم تحتل مركز المقاطعة فحسب، بل انها سدّت المشارف المؤدية الى المدينة، بعد ان تركت الآليات والشاحنات مبعثرة هنا وهناك بدون تنظيم. كما ان السكان كانوا يتجمهرون في الشـوارع مع امتعتهم وآلياتهم. وأخذ الجنود بتدمير المساكن، وإهانة المواطنين، ونشر الرعب والارهاب في المدينة.

في السادس عشر من آذار هاجمت قوات التحرير الفيتنامية كتيبة للعدو في ممر بان بليك وكبّدتها خسائر فادحة. وفي السابع عشر من آذار قصفت قطعات قوات التحرير الفيتنامي اركان منطقة فوبون العسكرية والحقت بالمجموعة المقاتلة الخاصة الثالثة والعشرين اضراراً فادحة. وفي هذا الوقت كانت تشكيلات القوى المحلية قد انهارت، وفرّ الجنود الى منازلهم تاركين قطعاتهم واسلحتهم، الامر الذي زاد من حدة الفوضى والاضطراب في المدينة.

بعد الهجوم القوي تمركزت قطعات قوات التحرير الفيتنامي على قطاع من الطريق الممتد بين فوبون وممر توان وبذلك حرمت العدو تماماً من امكانية الدفاع عن المدينة. وفي مساء السابع عشر من آذار استدعت اركان المجموعة المقاتلة الخاصة السابعة الطيران لمساعدتها. غير ان الطائرات من نوع أ-٣٧ القت قنابلها على منطقة إرباض المجموعة نفسها، وبنتيجة ذلك دمّر حوالي كتيبة من هذه المجموعة. وفي صباح الثامن عشر من آذار وجهّت قطعات جيش التحرير الفيتنامي ضربة اخـرى الى المجموعة المقاتلة السابعة فدمرتها بالكامل تقريبا. وبعد ذلك دخلت قوات التحرير الفيتنامية مدينة فوبون. عندئذ طلب الجنرال فو القاء الاسلحة الثقيلة والتجهيزات غير الضرورية والفرار من فوبون. فأصدرت اوامري الى الوحدات والقطعات المرؤوسة بترك جميع الآليات والاسلحة والتحرك عبر الادغال للالتفاف حول الممر. كما ان افراد كتيبة الدبابات الثالثة الذين لم يصمدوا امام ضربات قوات التحرير تركوا آلياتهم وفرّوا عبر الادغال.

لقد التجأت فلول الجيش المحطم الى الادغال حول الطريق الممتدة من ممر تون

وحتى قضاء شون هوا. وكانت عائلات الجنود والضباط تسير مع القوات، حيث كان يعلو النحيب والصراخ بشكل مخيف. وفي هذه الاثناء كانت قوات التحرير تتعقب المجموعات المنسحبة ملحقة بها الخسائر الفادحة. وكان الجنود يلهثون ويلقون على الطريق بأسلحتهم ومعداتهم. كما ان جنود الحامية التي كانت تعمل في قضاء فوتوك، وأفراد التشكيلات المحلية الاخرى استسلموا او فرّوا. واستولت قوات التحرير على تلك المراكز الواحد تلو الآخر.

وجاء الآن دور المجموعة المقاتلة الخاصة السادسة، التي تقهقرت هي الاخرى، والتي كانت مهمتها تأمين انسحاب فلول قطعات ووحدات منطقة الفيلق الثاني الى شون هوا. ففي صباح العشرين من آذار هاجمت قوات التحرير الفيتنامية احدى قطعات هذه المجموعة فجأة وكبّدتها خسائر فادحة. وفي الايام التالية لم تستطع هذه المجموعة الافلات من قطعات جيش التحرير التي تطاردها، واستطاع عدد قليل فقط من جنود وضباط هذه المجموعة الوصول الى توي هاو».

وهكذا فإن قوات جيش التحرير الفيتنامي التي وصلت بسرعة الى المنطقة الواقعة شرقي فوبون وتمركزت على الطريق المؤدية الى ممر تون، أخذت تنذر بفشل خطط انسحاب الجيش السايغوني من تاين غوين.

اصبح كل شيء واضحاً، فمدينة بون ميت هوت التي تم اقتحامها اصبحت بالنسبة للعدو خطرة، وضربة قاضية، في حين ان الهجمات المعاكسة لقطعات الفرقة الثالثة والعشرين التي نفذت الى الشرق من المدينة، كانت قد صدّت بسرعة اوقعت العدو في بحر من الرعب والهلع، لم يشمل قيادة منطقة الفيلق فحسب، بل ودوائر السلطة المحلية والمركزية للادارة السايغونية ايضاً. فبعد ان عجز عن الصمود امام الضربات الماحقة، أخذ العدو يقوم بمجازفات تكتيكية واستراتيجية. وبعد ان اصيبت الادارة السايغونية بالارتباك وفشلت في محاولتها الرامية الى المحافظة على القوات والتمسّك بالاراضي، اصدرت اوامرها بسحب القوات من تاين غوين نحو المناطق السهلية. إلا انها لم تنجح، لا في المحافظة على القوى، ولا في التمسك بالمناطق. كما ان قوات الجيش العميل التي لاذت بالفرار، كانت قواتنا لها بالمرصاد، حيث دمرت في اغلب الحالات.

وطالما ان العدو لجأ الى المجازفات الاستراتيجية الفاشلة سلفاً فإن ذلك سيؤدي

الى هزيمته الكاملة في الحرب عاجلاً او آجلاً.

لقد قطفنا ثمار اخطاء العدو ومجازفاته. وبفضل جهودنا ومهارة قادتنا وبسالة جنودنا تم ايجاد اللحظة المؤاتية التي استفدنا منها الى ابعد حد للاسراع بعملية تحطيم العدو واستعجال النصر في الحرب.

وهنا كان ينبغي علينا كسب الحرب بالزحف الى الامام بسرعة وبجرأة وبحسم حتى النهاية.

مضاعفة الانتصارات

في الوقت الذي كانت تجري عملية تاين غوين، كانت قواتنا المسلحة قد بدأت الاعمال القتالية المنسقة في منطقة شي تهين (مقاطعة كوانغ شي، ومقاطعة تخيات هين) وفي المناطق الحدودية والسهول. وبعد توجيه الضربات الى العدو استطاعت القوات المسلحة لهذه المنطقة العسكرية ان تحاصر قواعد عسكرية كثيرة للعدو في أراضٍ واسعة، وتدمّر عدداً من تحصيناته، وترغم العدو على التخلي عن هـذه التحصينات. وفي الوقت نفسـه وجهت الضربـات القويـة الى القواعـد الادارية والمستودعات التابعة للجيش العميل، الذي قُطعت خطوط اتصاله ايضا.

هاجمت قوات فيلق جيشنا الثاني قطعات العدو على المشارف الجنوبية الغربية لمدينة هوي وفي منطقة هوي بونغ ونوينغ. وبنتيجة ذلك تم القضاء على عدد من نقاط الاستناد وتدمير اعداد كبيرة من جنود العدو. وفي الأيام التالية تمكّن مقاتلونـا من صد الهجمات المعاكسة المستمرة، ومن تثبيت وشل حركة القوات المتحرّكة للعدو، ومنعها من الانسحاب من كوانغ شي وتهياتهين.

في المناطق السهلية استطاعت سبع كتائب من التشكيلات المحلية، ومئة مفرزة من رجال الدعاية المسلّحين التوغـل في مؤخرة العدو، وقاموا بتوجيه الضربة المفاجئة

بالتعاون مع الانصار الذين كانوا يعملون في تلك المنطقة، ومع سكان ثمانية اقضية. وانتقل الى أيدي الوطنيين مركز قضاء ماي لين، وتم القضاء على أحد عشر موقعاً عسكرياً من اصل مجموع ثلاثين موقعاً هناك وقامت مفارز الدعاية المسلحة بعمل كبير ضمن مناطق واسعة يبلغ سكانها اكثر من عشرين الف نسمة.

بعد ان تكبد العدو الهزيمة المريرة في تاين غوين، اصدر المكتب السياسي واللجنة العسكرية للحزب التوجيهات الى القوات العاملة في منطقة كوانغ شي، وتهياتهين، والى فيلق الجيش الثاني للاستفادة من اللحظة المواتية والانتقال خلال اقصر مدة ممكنة، الى الهجوم على طول امتداد الجبهة.

على ضوء توقّع انسحاب العدو من هويّ بغية نقل فرقة المشاة الاولى الى دانانغ وتنظيم الدفاع جنوبي ممر هاي ڤان، اصدرت القيادة العامة في الثامن عشر من آذار الى قوات منطقة شي تهين العسكرية التي يقودها العميد لي تي دونغ (القائد والمفوض السياسي)، والى قوات فيلق الجيش الثاني أمراً يقضي باجتياز المواقع الدفاعية للعدو بجرأة وبسالة، وقطع الطريق رقم ـ ١، والزحف نحو هويّ لتحطيم فرقة المشاة الاولى المعادية ومنعها من الانسحاب الى دانانغ وتحرير المدينة، ومنطقة شي تهين بكاملها.

في التاسع عشر من آذار انتقلت التشكيلات المحلية في مقاطعة كوانغ شي الى الهجوم. وحررت المقاطعة بأكملها ومركزها الاداري. كما خُرق خط دفاع العدو في الشمال، وأرغم على الانسحاب نحو الضفة الجنوبية لنهر ميتيان.

وفي هذا الوقت اتصل قائد قوات منطقة الفيلق الاول اللواء نفو كوانغ شيونغ بمدينة هويّ لاسلكيا وهو يلعن حظه قائلا: «انني اموت في احد شوارع المدينة، وجنود الفيتكونغ يدخلون عاصمتنا القديمة فوق جثّتي فقط». اما في مدينة سايغون فإن هيو لم يكن لديه ما يتبجح به على ما يبدو، حيث كان يقول: «لقد تخلّينا عن كونتوم وبليكو بهدف المحافظة على قوانا كاملة، اما في دانانغ وهويّ وفي منطقتي الفيلقين الثالث والرابع فإننا سنصمد حتى آخر رجل».

تنفيذاً لاوامر القيادة العامة، انتقلت قوات منطقة شي تهين العسكرية، وقوات فيلق الجيش الثاني الى الهجوم في الحادي والعشرين من آذار، وتقدّمت على ثلاثة اتجاهات (الشمالي، والغربي، والجنوبي). وبنتيجة الاعمال الحاسمة خرقت هذه

القوات دفاع العدو وطوّقت مدينة هويّ وأنزلت خسائر جسيمة بفرقة المشاة الاولى ولواء مشاة البحرية الـ ١٤٧، وتمركزت على قطاع الطريق رقم ـ١ الممتد بين موي ني وباي شون، بعد ان عزلت هويّ عن دانانغ. وعادت ادراجها السيارات المحملة بالجنود والسكان الذين حاولوا الفرار الى دانانغ هائمين على وجوههم. كما ان مدفعيتنا البعيدة المدى كانت تقصف القواعد العسكرية في دونغ دا، ومانغ كا، ومطار فوباي. قطعت الطرقات وعزلت الطرق الجوية، ولم يبق امام قوات الجيش العميل سوى الفرار نحو البحر، وباتجاه مصب نهر هوانان ونهر تي هين. أما الطريق هويّ ـ هوانان فقد اصبح الأمل الوحيد للعدو، غير انه سرعان ما تحوّل الى طريق الموت. وبعد ان كشفت محاولات العدو للانسحاب اخذت مدفعيتنا تقصف مصب نهر هوانان كي تمنع السفن المعادية من الرسو على الشاطىء لنقل المنسحبين، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فقد فتحت مدفعيتنا نيرانها المركزة على حشود قوات العدو بالقرب من هوانان وتي هين، مكبدة العدو خسائر جسيمة. كما ان قطعاتنا الخاصة لغّمت مصب نهر هوانان. وتحت وابل من نيران مدفعيتنا فرّت دبابات العدو وعرباته المدرعة وسياراته وعشرات الآلاف من جنوده وسط جو من الخوف والذعر، مخلّفين وراءهم العديد من القتلى والجرحى والغنائم.

في الخامس والعشرين من آذار، وفي مصب نهر هوانان ومصب نهر تي هين طوّقت ودمرت مجموعات قواتنا الضاربة فلول قوات العدو ثم زحفت من عدة اتجاهات لاقتحام مدينة هويّ. وفي الساعة ١,٣٠ رُفع على سارية القصر الامبرطوري السابق علم جمهورية فيتنام الجنوبية الموحدة الشعبية. وحرّرت قواتنا بالكامل مدينة هويّ، ولأول مرة يرى سكان المدينة علم بلادهم المحبوب يخفق زهوّاً وكبرياءً بعد سبع سنوات من الانتظار. اي منذ رأس السنة القمرية لعام ١٩٦٨. خلال المعارك التي دارت لتطويق وتمزيق ومطاردة قوات العدو، كانت الجماهير الشعبية تنسّق اعمالها مع قوات المقاومة الفيتنامية الشعبية، وتحدد لها طرق انسحاب قوات العدو، وأماكن مسائرها وتحشّداتها، وتقدم المساعدات الى المقاتلين في عبور الأنهار، والقضاء على العملاء والخونة.

ان فرقة المشاة الاولى التي كانت احد التشكيلات القوية كما زعم الاميركيون آنذاك، لم تستطع الصمود امام هجماتنا الخاطفة، وبذلك زالت من عالم الوجود. وبعد

القضاء على فرقة المشاة الاولى وتحرير هويّ ومنطقة شي تهين بالكامل، وجّهنا ضربة قاسية الى فكرة العدو بشأن الحشد الاستراتيجي للقوات. اذ ان خطر السحق الكامل خيّم على قوات منطقة الفيلق الاول المستنزفة والمنهكة.

في مساء السادس والعشرين من آذار، وبينما كنت اتفقّد تنفيذ امر القيادة العامة بشأن تشكيل فيلق الجيش الثالث، والاجراءات بشأن تنظيم الدفاع عن تاين غوين المحررة، وأفكر في الزحف اللاحق لتشكيلات تاين غوين، وكيف انها اخذت ترسل رجال الاستطلاع والحمولات العسكرية الى نامبو الشرقية وصل اليّ الرفيق نيغوين تون وأخبرني بأن هويّ حررت بالكامل. لم استطع إخفاء فرحي واضطرابي. فالآن هويّ محررة الى الأبد وليس كما حدث في رأس السنة القمرية عام ١٩٦٨، عندما لم نستطع الصمود هناك. إلّا لمدة خمسة وعشرين يوماً.

أخذت اتصوّر نفسي وانا أزفّ هذه الانباء الى الرفاق شان فان كوانغ، لي كوانغ داو، شان كويّ هاي وغيرهم من القادة العسكريين والمقاتلين والضباط في جميع القطعات والتشكيلات التي اشتركت في الهجوم العام وفي انتفاضة هويّ وكوانغ شي وخيسان وفي منطقة الطريق رقم -٩ في ربيع عام ١٩٦٨. ودون ان استطيع اخفاء المشاعر الفياضة اخذت أُدخن علما بأنني اقلعت عن التدخين منذ زمن بعيد، الا انني كنت على الدوام اتناول سيجارة واحدة في مثل هذه المواقف المؤثرة او الحرجة.

ومن خلال تنسيق الاعمال مع جبهة تاين غوين استطاعت القوات المسلحة التابعة للمنطقة العسكرية الخامسة بقيادة الفريق تيوهيومان والمفوض السياسي فُو تي كونغ قطع الطريق رقم -١٩ بقوى الفرقة الثالثة، وتحرير تين فيوك وفيوك لام وصد هجمات العدو المعاكسة وارغامه على الانسحاب من شون ها وشابونغ. وبنتيجة ذلك استولينا على جميع المناطق التي كانت مناطق «حدودية» منذ زمن قصير. وفي الوقت نفسه تعزز النضال في السهول وخاصة في مقاطعتي كوانغ نغاي وبين دين من اجل احباط عمليات العدو.

بعد انتصارنا الكبير في تاين غوين تفهّمت اللجنة الحزبية في المنطقة، وقيادة المنطقة العسكرية الخامسة التحول الذي طرأ على الموقف العام، كما ادخلنا التعديلات على خطة الاعمال العسكرية، مع نقل الجهود الرئيسية من الجنوب الى الشمال، من اجل خلق الشروط المواتية لتحرير دانانغ.

بعد الثامن عشر من آذار اصدرت اللجنة العسكرية الحزبية والقيادة العامة التوجيهات الى قيادة المنطقة العسكرية الخامسة بعدم تفويت الفرصة المناسبة، وتطوير الهجوم بكل جرأة وحسم، والزحف نحو الطريق رقم ـ١ بأقصر وقت ممكن، وقطع هذه الطريق في القطاع الواقع بين دانانغ وتامكي، وسحق فرقة المشاة الثانية المعادية ومنعها من الانسحاب نحو دانانغ، وقصف هذه المدينة بالمدفعية والاستعداد بسرعة لخوض المعارك من اجل تحريرها.

وتنفيذاً لهذه التوجيهات هاجم احد افواج فرقتنا الثانية بلدة توان زيونغ في الحادي والعشرين من آذار، وقطع الطريق الممتدة بين تامكي ودانانغ، والحق بالفوج الخامس التابع للفرقة الثانية المعادية هزيمة نكراء، واخذ يهدد مدينة تامكي، وفرض المعركة على قطعات هذه الفرقة التي كانت تعسكر في كوانغ نغاي، ثم وجه هذا الفوج ضربته الى هذه المدينة وحررها.

في الثاني والعشرين من آذار اشارت اللجنة العسكرية الحزبية والقيادة العامة الى أن: «العدو يغادر هويّ. ومن المحتمل انه ينسحب من دانانغ أيضاً». وتلقت قوات المنطقة العسكرية الخامسة امراً بالاستعداد لتحرير دانانغ وفقا للخطة المعدّة مسبقاً.

وفي اليوم التالي، وبينما كانت الاعمال القتالية تدور في شي تهين بناء على توجيهات المكتب السياسي واللجنة العسكرية، عقد مكتب اللجنة الحزبية التابعة للمنطقة العسكرية الخامسة اجتماعاً موسّعاً، حيث اتخذ القرار «لتعبئة التنظيمات الحزبية والسكان من اجل تحرير المنطقة العسكرية الخامسة بالكامل وفي اقصر وقت ممكن». وخلال الرابع والخامس والعشرين من آذار استطاعت الفرقة الثانية التابعة لقوات المقاومة والتحرير ان تسحق بالتعاون مع التشكيلات المحلية الفوجين الرابع والخامس التابعين للفرقة الثانية المعادية، وان تحرر تامكي وتوانغ زيونغ. وبالتعاون مع جماهير الشعب المنتفضة تمكنت التشكيلات المحلية في كوانغ نغاي من تحرير الجزء الشمالي لهذه المقاطعة.

هاجمت قوات الجيش النظامي قاعدة شولاي، وفي الوقت ذاته كانت التشكيلات المحلية ومجموعات الميليشيات الشعبية في كوانغ نغاي تواصل هجومها وتطهّر المقاطعة من العدو. كما ان تحرير كوانغ نغاي وتامكي وتوانغ زيونغ وسحق

قوات كبيرة للعدو في هذه المنطقة، كل ذلك شكّل حظراً مباشراً على دفاع الجيش العميل في المشارف الجنوبية لمدينة دانان. وأخذ هيو القابع في سايغون يطالب من جديد «بالدفاع عن دانانغ بالأرواح وحتى آخر رمق». وفي حال عدم التمكّن من الاحتفاظ بالمدينة كانت الادارة السايغونية تنوي تأخير سقوطها لمدة شهرين على الاقل، من اجل اعادة بناء الدفاع الاستراتيجي الذي تصدّع على كافة خطوطه، وفي الوقت نفسه اخلاء السكان من المدينة البالغ عددهم مليون نسمة. على امل التأثير علينا سياسياً، وتعزيز النشاط الدبلوماسي للضغط علينا لاجبارنا على ايقاف الهجوم. وتلقى نائب رئيس الاركان العامة للجيش العميل العميد نيغوين سوان شانغ امراً للقيام بجولة سريعة تفقدية في دانانغ، ولكي يشرف شخصياً على ارسال عشرين الف قطعة سلاح اضافية الى لونغ بين، ولصالح القوات المدافعة عن المدينة. لان خطة الدفاع عن كوانغ نام، ودانانغ كانت تقضي بتقليص الجبهة وحشد فرقة مشاة البحرية، وفرقة المشاة الثالثة والقطعات المقاتلة الاخرى من اجل التمسّك بمدينة دانانغ.

في الخامس والعشرين من آذار وعلى ضوء التوقّعات بأن العدو لا يستطيع الاحتفاظ بـ دانانغ بعد ان فقد هويّ وتامكي وكوانغ نغاي وشولاي، قررت اللجنة العسكرية الحزبية والقيادة العامة بدء الهجوم على المدينة. وصدر الامر الى قوات فيلق الجيش الثاني والمنطقة العسكرية الخامسة «للعمل بجرأة ومفاجأة بحيث لا يستطيع العدو ابداء المقاومة، وحشد القوات لتكبيد العدو المُدافع عن دانانغ افدح الخسائر، وتحطيم فرقة مشاة البحرية بالأفضلية الاولى، وفرقة المشاة الثالثة، واحراز النصر الكبير في هذه المعركة الحاسمة، وخلق الظروف المواتية لخوض الموقعة الاستراتيجية الحاسمة اللاحقة».

من أجل قيادة هذه العملية العسكرية الهامة، قرر المكتب السياسي، واللجنة العسكرية الحزبية في الخامس والعشرين من آذار تشكيل قيادة لجبهة كوانغ دا بقيادة اللواء لي شونغ تان، والمفوض السياسي الفريق تو هوي مان. وعلى الفور سافر لي شونغ تان من هانوي الى زولين بالطائرة. وفي هذا الوقت كان توهوي مان يقود مجموعة القوات العاملة في منطقة كوانغ تين، وكوانغ نغاي اي على بعد كبير عن منطقة تنفيذ العملية القادمة. ومن اجل قيادة اعمال القوات كان يجب تشكيل مقر

قيادة الى الغرب من دانانغ، حيث سيصل الى هناك الجنـرال لي شونـغ تان من كوانغ شي عن طريق ألي وي. وفي الطريق اتصل هاتفياً مع مختلف التشكيلات، كما نسّق اعمالها لاسلكياً مع توهوي مان. كما ان قائد الجبهة والمفوض السياسي لم يتمكنا حتى الآن من مقابلة بعضهما البعض.

في تلك الايام كنت قلقاً ايضاً وإلى حد كبير بشأن وضع الاعمال في المنطقة العسكرية الخامسة. لذلك ارسلت برقية لاسلكية الى نائب رئيس الاركان العامة الجنرال هوانغ ڤان تهاو، لكي يصدر بدوره التوجيهات الى فيلق الجيش الثاني، الذي يضم في قوامه الفرق: ٣٠٤، ٣٢٤، و٣٢٥، بغية قيام المدفعية بعيدة المدى بقصف مطار دانانغ على الفور، وبالاشتراك مع قوات المنطقة العسكرية الخامسة ـ تدمير تجميع قوات العدو المحتشدة في المدينة. ان تنفيذ هذه المهمة بنجاح من شأنه ان يساعد قواتنا التي انتقلت الى الهجوم على جبهة نامبو. كما تقرر أيضاً تعزيز قيادة تلك الاعمال القتالية الهامة.

بدأت مظاهر الفوضى في دانانغ منذ الخامس والعشرين من آذار فقد زحفت قوات التحرير الفيتنامية نحو المدينة بسرعة. وأُرغم العدو على وقف المقاومة في دانانغ والبدء بإخلاء المستشارين الأميركان وقطعات الجيش الاميركي على طائرات من نوع بوينغ ٧٢٧ وبالحوامات أيضاً. وبالقرب من الطائرات الجاهزة لمغادرة دانانغ كان يدور العراك بين المتجمهرين من اجل الحصول على مقاعد في الطائرات. اما المطار العسكري فكان يشهد فوضى لا مثيل لها. فالناس يتدافعون وهم يهرولون نحو المهابط، حتى انهم كانوا يتساقطون تحت اجسام الطائرات ثم يحاولون التسلّق عليها، كما انهم يتمسكون بأجسام الحوامات هرباً من المدينة بأي ثمن وبأي واسطة. وهكذا غادر الجنود والضباط وعائلاتهم المدينة وسط عاصفة من الرعب والهلع. وقبل عملية الفرار قام جنود مشاة البحرية بأعمالهم اللاأخلاقية، ونهبوا السكان واغتصبوا النساء. كما ان ٣٢٠٠ من المتطوعين قاموا بحركة عصيان في مركز تدريب هواكام، وانضم قسم منهم الى صفوف الثورة، والباقون انصرفوا الى منازلهم. وبدأت مدفعيتنا الثقيلة بقصف مطار دانانغ العسكري، والقواعد في هواك هان، حيث كانت تقع اركان الفرقة الثالثة، وميناء شون شا، ومقر قيادة الفرقة المعسكرة في نون يوك، مما زاد الامر تعقيداً وفوضى في جانب العدو. وانتفض المعتقلون في سجن نون يوك وانتزعوا

حريتهم. وبعد تحرير دين فيوك، وفيوك لام، وتامكي شنت الفرقة الثانية التابعة لقوات المنطقة العسكرية الخامسة هجومها على دانانغ من جهة الجنوب بقيادة بطل الجيش الشعبي العقيد نيغوين تيون. وفي التاسع والعشرين من آذار وجّهت المشاة والقطعات المدرعة التابعة لفيلق الجيش الثاني ضَربة مندفعة وخرقت دفاع المدينة بالاشتراك مع قوات المنطقة العسكرية الخامسة من الاتجاهات الاربعة، واستولت على المطار العسكري والاغراض الهامة الاخرى بما في ذلك شبه جزيرة شون شا. وفي الوقت نفسه استولى احد الافواج المستقلة التابع للمنطقة العسكرية الخامسة على نون يوك، والمطار في نيوك مان. واستولت مجموعاتنا السرية، ومفارزنا الخاصة على جسر شين مين تهي ورفعت العلم الوطني فوق مبنى بلدية المدينة. وقدّم رجال الميليشيا الشعبية والسكان المحليون المساعدة الى المقاتلين من اجل السيطرة على الوضع في المدينة بسرعة وتنظيم مطاردة العدو المنسحب. وهكذا استطعنا خلال اثنتين وثلاثين ساعة ان نجرّد من السلاح مئة الف جندي في تجميع قوات دانانغ، بعد تحرير المدينة التي تعتبر الثانية من حيث كبرها في فيتنام الجنوبية، والاستيلاء على اكبر قاعدة عسكرية في البلاد. وبتحرير دانانغ تم تحطيم قوات منطقة الفيلق الاول للعدو. وهذه الهزيمة عجّلت الى حد كبير بعملية انحلال وسقوط الجيش العميل. وقد فرّ من الموت اثناء الاستيلاء على القاعدة البحرية في شون شا الجنرال نغو كوانغ شيونغ الذي استقل حوامة الى السفينة الحربية الراسية هناك، ابحر بها الى سايغون، وهناك أُدخل المستشفى العسكري فوراً.

لقد كان لنجاح عملية هويّ ـ دانانغ اهمية استراتيجية كبيرة. فبالاضافة الى الانتصار الذي تحقق في تاين غوين فإن النصر الذي حدث في منطقة هويّ ـ دانانغ غيرّ ميزان القوى لصالحنا من الناحية الاستراتيجية، كما اجهض بصورة نهائية خطة الحشد الاستراتيجي لقوات العدو، ونسف قوة النظام السايغوني وسمح لنا بجمع القوى المتفوقة وحشدها للملحمة الحاسمة الاخيرة.

على ضوء تقارير قائد القوات في نامبو، وفي المنطقة العسكرية السادسة (او المنطقة ب ـ٢) التي يقودها الجنرال شان ڤان شا اتضح لنا الموقف في اقصى جنوب البلاد. فبعد تحرير دين كوان، هواي ديك، وزاراي، دفعنا بالقوات الرئيسية للفرقة السابعة مع المدفعية والدبابات الى منطقة لونغ هان ـ الطريق رقم ـ٢٠، بهدف مهاجمة

لام دونغ واحتلالها. كانت الفرصة مواتية، وبدأت هذه الفرقة بتنفيذ مهمتها بدون ابطاء. وكانت هذه الفرقة قد أُلحقت بها وحدات من مختلف صنوف القوات. في الامام كانت تتقدم العربات المدرعة، ووراءها تتحرّك الدبابات والمدفعية، ووحدات التأمين الاداري والخدمة. تحركت هذه القوات على الطريق رقم ـ٢٠ بفخار واعتزاز، مُدمرة في طريقها فلول العدو، الذي انهارت قواه في بحر من الخوف والفوضى. فبعضهم تواروا عن الانظار، وبعضهم الآخر استسلم بمجموعات كبيرة. وهكذا تمكنت الفرقة السابعة من تحرير مقاطعة لام دونغ والمركز الاداري في باولوك خلال مدة قصيرة جداً.

كان الجنرال شان ڤان شا متأسِّفاً جداً لانه لم تكن لدينا القوى الكافية لتحرير لينك هانغ، ودارنغ، ودالات فوراً بعد تحرير لام دونغ.

على الاتجاه زاوتين ـ الطريق رقم ٢٢ حطمنا قوات العدو في موقع زاوتين العسكري، كما قضينا على نقاط الاستناد المعادية في بينغ كوي، وأونغ هونغ، وكاوك هويّ، وتمركزت قواتنا على الطريق رقم ـ٢٦ في منطقة عقدة الطرق كاودات. وبعد ذلك قطعت قواتنا الطريق رقم ـ٢٢ وحاصرت مدينة تينين وارغمت قوات العدو على القتال خارج حدود المدينة، الامر الذي سهّل على قطعاتنا الاخرى تنفيذ مهمتها لتحرير هذا المركز الاقليمي. وعلى الاتجاه الآخر، حيث كانت تهاجم الفرقتان الخامسة والثالثة استطعنا فتح ممر نحو المنطقة العسكرية الثامنة الواقعة في دلتا الميكونغ. وعلى اثر ذلك غيّرت الفرقتان الخامسة والثالثة اتجاهات ضرباتهما واتجهتا نحو موك هوا من اجل تحطيم فرقة المشاة التاسعة واللواء المدرع الرابع هناك، وإلحاق الهزيمة بالعدو في هذه المنطقة العسكرية بكاملها. بنتيجة ذلك وسّعنا المنطقة المحررة الى الشمال من تاي بي (مقاطعة ميت هو)، والى الشرق من كين فونغ وعلى امتداد القناة المسماة نغوين ڤان تيب.

اما بشأن المنطقة العسكرية التاسعة (نامبو الغربية)، فإن المعارك كانت تدور بنجاح في مقاطعة ڤين لوَنغ، إلا ان الاعمال لم تكن على ما يرام في مقاطعة هاوزانك ففي نامبو كانت لا تزال قوات العدو كبيرة بشكل عام. كما ان الهزائم الكبيرة التي اصابت العدو في منطقتي الفيلقين الاول والثاني كان لها تأثير معينٌ عليه بالطبع، غير انه لم يكن لدينا هنا انتصارات ساحقة حتى هذا الوقت، ولذلك لم يلاحظ ظهور بوادر

الفوضى في صفوف العدو.

من اجل تغيير الموقف بشكل جذري، كان ينبغي تنفيذ عمليات كبيرة وتوجيه عدد من الضربات المفاجئة والقويّة، التي لا تفسح المجال امام العدو لحشد قواته، وتخلق الفوضى في صفوفه. ويعتبر تدمير قوات العدو المقاتلة احد القوانين الاساسية للحرب. فعدوّنا يمتلك مختلف صنوف القوات وانواع القوات المسلحة. فبعد اختيار اتجاه الضربة بشكل صحيح وتحطيم القوى الرئيسية للعدو نستطيع اركاع القوة العسكرية للعدو بسرعة وقلب موازين القوى لصالحنا وتحقيق النصر المؤكد. وفي هذه المرحلة كان الغرض الاساسي لضرباتنا يتمثل في القوات النظامية لجيش سايغون، وخاصة قياداته العليا. كما ان ضربة محكمة الى هذه القوات، من شأنها ان تؤدي الى انهيار نظام الدفاع بكامله وتفكك الادارة العميلة في جميع مناطق الجنوب. فالعدو لا يزال يحافظ على قواه ولا يفكر بالفرار حتى الآن اذا لم توجّه اليه الضربات الساحقة، او اذا لم تقطّع اوصاله بسرعة وبشكل متلاحق.

في الثامن عشر من آذار، وفور بدء العدو بسحب قواته، عقدنا اجتماعاً في اركان جبهة تاين غوين لكي ندرس خطط الاعمال القتالية اللاحقة لتجميع قواتنا ـ تجميع قوات تاين غوين. وقد حلّلنا بالتفصيل حالة قواتنا والوضعية السائدة في معسكر العدو.

لقد كان لانتصارنا في تاين غوين تأثير قوي على التوزيع الاستراتيجي لقوات العدو، وعلى الروح المعنوية لجنوده. وقد أدت هجماتنا القويّة والصاعقة الى انهيار الجيش العميل بسرعة. ولكي لا يقع العدو في الطوق، ورغبة منه في تفادي التحطيم الكامل، فقد اضطر للانسحاب بسرعة من تاين غوين. وبالاضافة الى ذلك، برزت أمامه مهمة الدفاع عن المقاطعات البحرية التي بقيت بدون حماية تقريباً، والداخلة ضمن حدود منطقة الفيلق الثاني. والحقيقة ان العدو كان يحتفظ بالفرقة الثانية والعشرين في بين دين، إلا أنه لم يمتلك في المقاطعات الاخرى سوى التشكيلات المحليّة فقط. اما قواته حول سايغون فقد ظلت على حالتها السابقة مع امكانية الحصول على التعزيزات. وكانت قوات منطقة الفيلق الثاني قد تكبدت افدح خسارة يتكبدها جحفل في الجيش العميل حتى الآن، وبنتيجة ذلك اضطرت قوات سايغون للتخليّ عن رأس الجسر الاستراتيجي الهام تاين غوين، الذي يضم خمس مقاطعات.

وهذا لم يحصل من قبل خلال الحرب الفيتنامية. اضف الى ذلك ان الروح المعنوية لدى جنود قطعات وتشكيلات منطقة الفيلق الثاني انحدرت الى الدرك الاسفل، وبشكل لم يسبق له مثيل من قبل. ولذلك اصبح من غير المحتمل الآن ان تستطيع قوات منطقة الفيلق الثاني تنظيم الهجوم المعاكس على تاين غوين بشكل عام، وعلى بون ميت هوت بشكل خاص، كما ان الهزيمة التي لحقت بالعدو في هضاب تاين غوين وفي الجبهات الاخرى، زادت الى حد كبير من سوء الوضع في ادارة الرئيس هيو. لأن عدداً آخر من هذه الهزائم كفيل بسقوط النظام المأجور بصورة نهائية.

ان الانتصار الذي احرزناه في تاين غوين يعتبر انتصاراً رائعاً، استطاع ان يقلب كل التوقعات رأساً على عقب. فقد تحققت لدينا امكانية تطوير النجاح، لأن العدو مطارد عبر الممرات الجبلية والادغال والسهول، ومُصاب بالهلع والخوف، كما ان قواتنا اختبرت مهاراتها في تلك المعارك وحصلت على امكانيات جديدة. وارتفعت الروح المعنوية لمقاتلينا الى حد كبير. اذ تلقّى الجيش كل ما يلزمه للحياة والحرب. فالذخائر لم تستهلك إلا بشكل محدود خلال العمليات المنفذة، وعلاوة على ذلك تم الاستيلاء على غنائم عسكرية بكميات كبيرة. وعلى الطرقات الاستراتيجية كانت تتحرك الشاحنات بأعداد كبيرة وبدون انقطاع. ولم يبق امامنا لخوض الأعمال القتالية سوى شهر ونصف تقريباً من فصل الجفاف. إلا أن النعاون الفعّال كان قد نظّم بين جبهات الجنوب.

ظلّت المسألة التالية على بساط البحث، وهي: على أي اتجاه يجب علينا تطوير الهجوم بقوى جبهة تاين غوين، لتوجيه الضربات القوية والمتلاحقة الى العدو، والعمل باندفاع ونجاح لتأمين الفعّالية القصوى في استخدام القوى الصديقة، وكسب القسط الاكبر من الوقت لانجاز التدابير الطارئة. كان ذلك الهجوم يهدف الى إلحاق الاضرار الكبيرة بالعدو وبقواه الحية خاصة، وتمزيق تجميعه الاستراتيجي وفصل المناطق الواقعة تحت سلطة النظام العميل، والتعجيل في عملية تقويض دعائم الجيش السايغوني، والافلاس السياسي لنظام هيو. اما إذا توقّف هجوم القوات او حدّدت لها اهداف اخرى، فإن العدو يستطيع حشد قواته من جديدة.

بعد نقاش عاصف توصّلنا الى رأي موحد يقضي بأن تشن قوات جبهة تاين غوين هجومها باتجاه الشرق. اي انه يجب علينا الزحف نحو ساحل البحر،

وبالاشتراك مع المنطقة العسكرية الخامسة نطهّر من العدو مقاطعة بين دين، وفوين وجزء من مقاطعة كهان هوا، وتكبيده خسائر كبيرة في الارواح، وتحرير تلك الأراضي التي يزيد عدد سكانها عن مليون نسمة، . وبعد هذا الانتصار فإن قواتنا لم تصبر على دخول المناطق السهلية، التي يتشوّق سكانها، ـ كما علمنا ذلك فيما بعد ـ للقاء قوات التحرير الفيتنامية.

وبموجب الخطة اصبح يجب علينا مراقبة ثلاثة طرق استراتيجية ذات الارقام: ٧ و١٩ و٢١، التي تربط المناطق الجبلية بالمناطق السهلية، وتاين غوين القليلة السكان مع الساحل المكتظ بالسكان في المنطقة العسكرية الخامسة. كما ان الهجوم على المناطق السهلية كان يهدف ايضاً الى سحق الفرقة الثانية والعشرين بالكامل، والتي كانت تدخل في قوام قوات الفيلق الثاني، والى سحق قسم من القوات الخاصة والتشكيلات المحلية في ثلاث مقاطعات ايضاً هي بين دين، فوين ، وكهان هوا، كما كان ينبغي ايضاً الاستعداد لتحطيم التعزيزات القادمة بقوام فوجين او ثلاثة افواج من قوام الفيلق الاول، أو الثالث. وبعد القيام بذلك يصبح بإمكاننا تحطيم قوات منطقة الفيلق الثاني بالكامل، والاجهاز على النظام الدفاعي لجيش سايغون بكامله وعزل القوات الواقعة الى الشمال من منطقة الفيلق الاول.

لقد أدخلنا بعض التعديلات على خطّتنا فيما بعد: فبعد تحرير كهان زيونغ يجب التحرك على الطريق رقم ـ ٢١ ونحو ممر مي دراك الجبلي، وتحضير الشروط المواتية لتحرير مين هوا، ثم مياشانغ وكامران.

وهكذا اصبح ينبغي علينا تنفيذ مهمتين: أولاً ـ تدعيم قواتنا على عجل، وامدادها بأسلحة اضافية، وثانياً ـ تدريب المقاتلين على الطرق الجديدة في خوض المعركة. وعند تنظيم امداد القوات لم تبرز اية مشاكل او مصاعب، نظراً لتوفر ثلاثة طرق استراتيجية معبدة تصل الى المناطق السهلية، وتساعد على نقل القوات والمواد الغذائية والاسلحة والذخائر. والجدير بالذكر ان القيادة السياسية العليا ارسلت الى الجنوب عدداً كبيراً من الكوادر السياسية والاعلامية، ليس للقيام بالنشاطات التربوية والفكرية في القوات فحسب، بل ولتقديم المساعدة الفعّالة الى هذه القوات في مجال تشكيل عناصر وهيئات الحكم المحلّي في الاراضي المحرّرة. كما ان الادارة العامة للشؤونَ الفنية ارسلت الى الجبهة ثلاثمائة مهندس وعامل اضافي لاصلاح الدبابات

والمدافع والسيارات.

في التاسع عشر من آذار التقيت مع اعضاء مكتب اللجنة الحزبية للمنطقة العسكرية الخامسة: بويّ شان، ينغوين توان تاي، وامين اللجنة الحزبية لمقاطعة دارلاك، وعضو اللجنة الحزبية لهذه المنطقة هوين فان مان. وقد اعلمني هؤلاء بأن الوضع في بون ميت هوت وضواحيها يعود بالتدريج الى حالته الطبيعية. وان جميع سكان المقاطعة تقريباً يؤيدون الثورة. وفتحت الاسواق والمشافي. واستؤنفت في المدينة عملية الامداد بالمياه. كما تجوب شوارعها مسيرات ومظاهرات كبيرة ترحّب بتحرير تلك المناطق. اما العمال والشبيبة فهم اكثر فعّالية وحماساً. فالكثير منهم يتطوّعون للقيام بتنظيف الشوارع واصلاح الاعطال في محطات توليد الكهرباء، والمحطات اللاسلكية، والخدمات العامة، كما ان بعضهم تطوّع للعمل في حماية النظام الاجتماعي.

وفي الاجتماعات يطرح السكان الكثير من الاسئلة، ومن بينها: كيف سينظّم العمل الآن؟ هل يمكن العمل في الحقول والاراضي من الصباح حتى الليل؟ هل يسمح بقطع اشجار الغابات؟ هل يمكن سحب الاموال من البنوك؟ هل سيتقاضى الموظفون والمعلمون رواتبهم؟ متى ستفتح المدارس ابوابها وما هي مناهج التعليم للاطفال؟.

درست هذه الامور مع القادة المحليين وأصدرت التوجيهات الى قيادة جبهة تاين غوين لتقديم المساعدة الى الشعب في حل المسائل الكبيرة مثل: تشكيل هيئات الحكم المحليّ والتشكيلات العسكرية المحلية، وتطبيق التوجيهات السياسية للحزب تطبيقاً عملياً في القطاع الاقتصادي والثقافي والتعليم والخدمات لمئة الف مواطن من سكان بون ميت هوت وضواحيها، وكذلك لخمسين الف لاجىء في المناطق المحيطة بالمدينة، مع المراعاة الحازمة لسياسة الدولة تجاه الاقليّات الصغيرة، والبورجوازية، والجاليات الاجنبية. والجدير بالذكر ان المناطق كانت تفتقر الى الكوادر، في حين كنّا ننتظر عودة ممثّلي الاقليّات القومية الذين حصّلوا تعليمهم في الشمال، الى مناطقهم، كما كنّا ننتظر ايضاً وصول العاملين والموظفين من المناطق الاخرى في البلاد. وكخطوة اولى فقد قررنا تشكيل منطقة عسكرية جديدة تتولىّ ادارتها الاشراف على ثلاث مقاطعات في اقليم تاين غوين، وفي الوقت ذاته تنفذ التعليمات بشأن تسيير الاعمال

في مجالات الحياة الاخرى. وقد ضمت هذه الادارة للمنطقة العسكرية الجديدة عناصر عسكرية مختصة وممثلين حزبيين وحكوميين، وعناصر من المؤسسات والتنـظيمات الاجتماعية. وكان يُظن انه في السنوات القادمة ستستصلح في هذه المنطقة من البلاد مئات آلاف الهيكتارات من الأراضي. حتى ان بعض المقاتلين كان يقول بكل ثقة واعتزاز: «اذا مررت بالقرب من بون ميت هوت ستشعر بالسعـادة والفرح. يـا إلهي . . . انها ارض خيّرة وخصبة. من الذي يقول الآن بأن بلادنا ضيّقة وفقيرة».

كان الهجوم على الطرق: ١٩، ٧، ٢١ وباتجاه السهول الساحلية لمنطقة شونغ بو قد تطوّر منذ الاول من آذار وحتى مطلع نيسان من عام ١٩٧٥. وعلى الطريق رقم ـ ١٩ دارت معارك طاحنة، استطاعت خلالها فرقتنا الـ ٩٦٨ بالاشتراك مع الفرقة الثالثة من المنطقة العسكرية الخامسة، ان تسحق وتشتّت قوى الفرقة الثانية والعشرين للعدو في فولونغ، ولاين غي، وفي فوكات (مقاطعة بين دين). كما ان سكان مركز المقاطعة كوي نون قاموا بانتفاضة شعبية دعمتها التشكيلات العسكرية المحليّة واستطاعت تحرير هذه المدينة وجزيرتي فيوك لي وفيوك هاي. ولم تستطع سفن العدو الاقتراب من الشاطىء لكي تنقل من هناك فلول القوات المهزومة والمحطّمة. وفي ذلك اليوم بالذات استولت قواتنا على المطار العسكري في هوك وان، بعد ان اسرت الف جندي ،واستولت على ثلاثين طائرة سليمة. وبذلك اخفقت فكرة العدو الرامية الى مغادرة كوي نون، ونقل جزء من قوات فوجي المشاة الحادي والاربعين، والثاني والاربعين بواسطة السفن، لتعزيز الدفاع عن نياشانغ. وعلى الشاطىء، وفي مدينة كوي نون بالذات تم تطويق واسر قوات كبيرة للعدو الامر الذي ادّى الى تحرير مقاطعة بين دين بالكامل.

تحركت الفرقة ٣٢٠ على الطريق رقم ـ٧ نحو كونغ شون، ثم استولت بسرعة على مدن توي هاو، تويان، وشونغ كاو بعد ان حرّرت مقاطعة فوين بالكامل. وفي منطقة نياشانغ تلقت قيادة القوات الخاصة التابعة لمنطقة الفيلق الثاني أمراً بتشكيل مجموعتين قتاليتين من القوات الخاصة، من بقايا المجموعات القتالية التي دمرت في هضاب تاين غوين ومن طلاب مركز التدريب في زوك مي، وارسال هاتين المجموعتين لمؤازرة لواء الانزال الجوي الثالث الذي كان يدافع في منطقة كهان زيونغ. كما نقلت الى هذه المنطقة الكتيبة الثانية والسبعون التي شكّلت من المتطوعين. وبأمر من نائب

رئيس الاركان العامة للجيش العميل اللواء لي نغوين كهانغ تحركت الى هناك أيضاً وحدات من جيش العدو المهزومة، والتي كانت قد نزلت لتوّها في كامران. ويكرر قائد منطقة الفيلق الثاني الجنرال فام ڤان فو نداءه السابق «الصمود في نياشانغ حتى الموت». وفي هذا الوقت اسرعت القنصلية الاميركية في مغادرة المدينة. وحاول الجنود والضباط إخلاء عائلاتهم على جناح السرعة. كما ان ثلاثة آلاف طالب كانوا يدرسون في مركز تدريب لام شون والكلية العسكرية قد فرّوا الى مركز المقاطعة حتى ان رجال الشرطة الذين كانوا يحرسون السجن قد تركوا مراكزهم. وهناك ألفان من المرتزقة والعملاء للجيش السايغوني أخذوا باضطهاد السكان وبأعمال السلب والنهب في جميع انحاء المدينة. وفي هذا الوقت كانت الفرقة العاشرة بقيادة ڤولانغ ونغوين هيت تطارد قطعات العدو المنسحبة على الطريق رقم ـ٢١ المؤدية الى البحر. كان ڤولانغ يحاول قدر المستطاع وبكل حماس المشاركة في تحرير نين هوا، حيث قاتل هناك منذ تسعة وعشرين عاماً في صفوف متطوعّي الشمال ضد المحتلين الفرنسيين. وبعد الوصول الى ممر فيونغ هاونغ تلقّى أمراً العودة الى هيئة ممثلية القيادة العامة لتلقّي مهام جديدة. وبعد تحرير كهان زيونغ ونين هاو دخلت الفرقة العاشرة في مركز مقاطعة نياشانغ. وخرج سكان المدينة الى الشوارع لاستقبال جنود التحرير، الذين ارشدوهم الى الاغراض والمؤسسات العسكرية التابعةُ للادارة العملية. واقتحم جنودنا منزل فام ڤان فو. فوجدوا طبقاً من الطعام على الطاولة، ولم يجدوا صاحب المنزل، الذي لم يتمكن من تناول طعام الغذاء. كما ان القوات السايغونية التي فرّت من نياشانغ الى كامران انسحبت من هذه الاخيرة ايضاً الى فان رانغ. وزحفت الفرقة العاشرة لتتم رحلتها المظفرة فدخلت كامران التي تعتبر احد اكبر واهم موانىء الجنوب، وذلك بعد تحرير مقاطعة تهان هوا بكاملها.

بعد الفرار الى فان تهيت، التقى فام ڤان فو هناك مع نائب قائد منطقة الفيلق الثالث الذي ابلغه بأن هيو يحاول دمج المقاطعتين الجنوبيتين التابعتين لمنطقة الفيلق الثاني، اي نينت هوان وبينت هوان، مع منطقة الفيلق الثالث بهدف تأمين الدفاع عن سايغون. وهكذا زالت عن الخريطة منطقة الفيلق الثاني التابعة للجيش السايغوني.

بما ان احتياطات كبيرة كانت قد بقيت في تاين غوين فقد كلّفنا إحدى قطعاتنا بتحرير دالات، التي بتحريرها كان يمكن فتح الطريق امام قواتنا الى مطار تهان شون

(مدينة فان رانغ)، ، الذي يعتبر قاعدة جويّة للعدو، تعيق من زحف قواتنا نحو نامبو من جهة الشرق. وكان على فوج المهام الخاصة ان ينفذ هذه المهمة. والجدير بالذكر ان دالات لم تشتهر بوفرة خضارها وفواكهها فحسب، بل كانت تشتهر بكونها مصحا كبيراً ومركزاً ثقافياً وعلمياً. ففيها كان يقع مركز الابحاث النووية وعدد من المنشآت والمؤسسات التعليمية. فقبل دخول المدينة كان ينبغي اعداد المقاتلين، واكسابهم روح الانضباط العالي والتقيد بالنظام، كي يحافظوا على تجهيزات تلك المؤسسات والمدارس وغيرها من الممتلكات الاخرى. وهكذا استطاع فوج المهام الخاصة الـ١٩٨ بقيادة الرائد شان كين، والمعزز بالدبابات والمدفعية الزحف عبر مقاطعة كوانـغ ديك، والاستيلاء على دالات بسرعة وبالتعاون مع قوات المنطقة العسكرية السادسة.

في تلك الايام قدّم ضباط اركان الجبهة الذين يهتمّون بخرائط العمليات شكوى الى القيادة العامة، يقولون فيها: «اننا لا نستطيع اللحاق بالقوات». وهكذا فإن مقاتلي كافة الجبهات كانوا يواصلون هجومهم محققين الانتصارات الرائعة، والنجاحات المجيدة.

تبدّلات الموقف والافكار الاستراتيجية الجديدة

في العشرين من آذار، وبينما كانت قواتنا العاملة في تاين غوين تهاجم على ثلاثة طرقات استراتيجية مؤدية الى المقاطعات السهلية، وصلتنا برقية لاسلكية حول انعقاد اجتماع مشترك للمكتب السياسي واللجنة العسكرية الحزبية. وقد تميّز ذلك الاجتماع بعناصر الموقف التالية: ان للانتصار الذي حققته قواتنا أهمية استراتيجية، ويعتبر في حد ذاته تحوّلا في حرب الجنوب، وتبدّلا جديداً وحاداً في الموقف العام. فالاميركيون وعملاؤهم قاموا بخطوة اخرى قرّبتهم من حافة السقوط الاخير. وفي هذه اللحظات يحاول العدو لّم شمل قواته وحشدها في منطقة سايغون، وخاصة في مناطق دلتا الميكونغ ودانانغ وكامران، من اجل تعزيز مواقعه الاستراتيجية في هذه المناطق، محاولا بذلك التوصّل الى حالة من الاستقرار السياسي عن طريق تشكيل حكومة ائتلافية او تقسيم فيتنام الجنوبية. ولذلك كان يجب علينا الاستفادة من عامل الزمن على افضل وجه، والعمل بسرعة وحسم وجرأة، محققين بذلك المفاجأة الكاملة في أعمالنا من حيث اختيار لحظة واتجاه الضربة، ومن حيث عدد أو حجم القوى المشتركة في المعركة، لتأمين الحظ الأوفر في احراز النصر. وعلى ضوء هذه التصوّرات وبعد الدراسة الشاملة للموقف اتخذ المكتب السياسي للجنة المركزية الحزبية قراراً بتنفيذ خطة تحرير سايغون

في أقصر وقت ممكن، على خلاف ما تقرّر في البداية.

من اجل إيصال وتوضيح التوجيه العملياتي، ارسل المكتب السياسي الينا في تاين غوين الرفيق لي ديك تهاو، الذي كان يجب عليه القدوم في الثامن والعشرين من آذار. وفي الوقت ذاته أُعطيت التوجيهات الى الرفاق فام هونغ، وشان ڤان شان للتوجه من نامبو، والى ڤوتي كونغ، وتوهوي مان للتوجه من المنطقة العسكرية الخامسة إلينا على الفور في تاين غوين لعقد الاجتماع الطارىء هناك. وكان ينبغي على اعضاء هذا «المؤتمر» ان يستمعوا الى قرار المكتب السياسي، ويتدارسوا خطة تنفيذ هذا القرار على أرض الواقع.

ونشأ في البلاد موقف جديد كل الجدّه. وعلى ضوء تحليل الاحداث العسكرية اسند الحزب، الذي يعتبر عجلة القيادة الكبرى، مهام، جديدة الى الشعب. واصبح من المعلوم ان لحظة الانعطاف التاريخي قد حانت الآن.

كنّا نزداد شوقاً لرؤية الرفيق لي ديك تهو لنعرف منه القرارات الجديدة التي اتخذها المكتب السياسي خلال تلك الايام التاريخية، التي تمر بها بلادنا.

في الخامس والعشرين من آذار عقد المكتب السياسي مؤتمراً آخر. وقد اشار ذلك المؤتمر التاريخي الى مايلي: «منذ عملية تاين غوين بدأ هجومنا العام. وعلى المستوى الاستراتيجي تشكّلت ظروف جديدة. واليوم نحن نمتلك كافة الامكانيات لتحرير فيتنام الجنوبية خلال مدة قصيرة». كما قرر المكتب السياسي العمل بأسرع وقت ممكن على حشد القوى المقاتلة. والوسائط المادية لتحرير سايغون قبل بدء موسم الامطار. ونظراً لأن العدو كان يسحب قواته على نطاق استراتيجي، فإنه كان ينبغي العمل على سحق قوات منطقة الفيلق الاول بالكامل والقسم الاكبر من قوات منطقة الفيلق الثاني، ومنع هذه القوات من التحرك نحو سايغون.

على ضوء التحليل العلمي للموقف المتشكّل، واستيعاب العوامل الجديدة التي ظهرت، أكّد المكتب السياسي على أن الفرصة التاريخية المناسبة قد حلّت الآن، واتخذ قراره بتصعيد الهجوم، مهما كلف ذلك، وحتى تحقيق النصر النهائي.

الحقيقة ان الموقف كان يتبدّل بسرعة كبيرة، كما اشار الى ذلك المكتب السياسي. كما انّ هذا التبدّل كان لا يتم كل يوم فحسب، بل وكل ساعة ايضاً:

فالعدو كان في حيرة وذهول. ولذلك كان يجب عدم اضاعة الوقت وتوجيه الضربات المتواصلة اليه لعدم تمكينه من استعادة قواه. فالموقف يمكن ان يزداد تعقيداً اذا ما استطاع العدو الصمود حتى بدء موسم الامطار.

في الخامس والعشرين من آذار أبرق المكتب السياسي إلينا حول قراره لنقل ثلاث فرق مشاة مع قطعات التعزيز من مناطق الطريقين رقم ـ٧ ورقم ـ٢١ الى منطقة بون ميت هوت على جناح السرعة، ومن أجل اجراء التحضيرات الضرورية هناك للقيام بعملية تحرير سايغون. وجميع هذه التحضيرات يجب ان تنتهي خلال مدة شهر. وقد جاء في البرقية اللاسلكية: «وبذلك نواصل العمل وفقاً لخطة تحرير سايغون بحذافيرها وخلال فصل الجفاف، لأن الامطار الغزيرة ستهطل بعد شهرين فقط. وفي اسوء الحالات تتعرض قواتنا للامطار على المشارف القريبة من سايغون. ولكن لن تكون هذه الامطار عائقاً كبيراً أمامنا في ذلك الوقت. لأنه يجب العمل على اجتياز الصعوبات باستمرار. وعلى ضوء تطور الموقف يمكن ان تظهر مبادرات جديدة.

في الوقت الراهن تتبدّل الاحداث في إثر بعضها البعض بسرعة خاطفة ونحن نعتبر شهود عيان للقفزة النوعية الحالية. فمن المهم جداً ان لا نضيّع الوقت وان لا تفلت هذه الفرصة المواتية من ايدينا».

اصبح معلوماً لدينا انه بناء على قرار المكتب السياسي، شُكّل مجلس يتولىّ مسائل المساعدات للجبهة. وقد ترأس هذا المجلس رئيس وزرائنا المحترم فام ڤان دونغ . وقد ضمّ ذلك المجلس نائبي رئيس الوزراء: لي تهان نغيّ (كنائب لرئيس المجلس)، وفان شونغ تويّ. اما اعضاء المجلس فقد عيّنوا من بين الرفاق المسؤولين الآخرين.

فور تلقّي توجيهات المكتب السياسي اخذنا نفكر في كيفية تنفيذها على افضل وجه. ففي هذا الوقت كانت الفرقتان الـ٣٢٠، والعاشرة تطاردان العدو. والسؤال المطروح الآن: هل تواصل هاتان الفرقتان أعمالهما، وتوجّهان الى نامبو، ام توفّر لهما امكانية الوصول الى البحر لتحرير مقاطعة فوّين ومقاطعة كهان هوا، ثم احتلال نياشانغ وكامران؟، وبعد ذلك توجّه الفرقة الـ٣٢٠ لتأخذ الطريق رقم ـ٧، وتتحرك الى تاين غوين، بينما تتجه الفرقة العاشرة الى نامبو. لا شك في ان الاستفادة من هذا

الموقف المواتي الى اقصى حد هو الحل الأفضل، وكذلك مواصلة العمل على مطاردة العدو وتدمير القسم الاكبر من قواته والانتهاء من سحق قوات منطقة الفيلق الثاني، وبذلك فإننا نشكّل الظروف المواتية للنجاح في الملحمة الحاسمة القادمة لتحرير سايغون. لقد حسبنا الوقت بدقّة، الوقت اللازم لتنفيذ خطتنا، كما بحثنا المسألة المتعلقة بوسائل نقل القوات والتأمين المادي لها. واستعرضنا ايضاً المدة المحتملة لاعداد العملية وتنفيذها على ضوء الوقت المتبقّي لحلول موسم الامطار. وحسب هذه الحسابات كان الوقت لا يزال كافياً، بحيث تستطيع الفرقة ٣٢٠ تحرير فويّن قبل نقلها الى نامبو، وتستطيع الفرقة العاشرة تحرير كامران قبل هذا الموعد.

في تلك المعارك التي انتهت توّاً، استطاعت الفرق العاملة في قوام مجموعة قوات تاين غوين تحقيق انتصار كبير. اذ انها بضرباتها السريعة استولت على عدد من مراكز المقاطعات. ولا تزال اعمالها تنفّذ بسهولة وبدون صعوبات تذكر. ولذلك كنّا نعتمد على قدراتها القتالية ونعلّق عليها الآمال الكبيرة.

في المذكرة الدورية عرضت خطتنا على المكتب السياسي وطلبت اليه ان يسمح لقوات جبهة تاين غوين بمواصلة الزحف نحو البحر لعدة ايام اخرى لأن تشكيلاتنا كانت لا تزال تطارد العدو عبر الهضاب، وتوشك ان تحقق النصر الحاسم هناك. وقد ذكرت اننا نمتلك جميع الامكانيات لسحق القوات الكبيرة المعادية، بعد ان اصيبت بالذعر والفوضى، ولتحرير المناطق الواسعة والحيويّة لنا، وبذلك نسهّل تنفيذ المهام الملقاة على عاتق قواتنا في نامبو. كما اننا نستطيع بذلك تضليل العدو ثانية ومنعه من تحديد اتجاه الضربة الرئيسية. ووعدت المكتب السياسي بأننا نستطيع ان ننفذ المهمة المسندة الينا خلال المدة المحددة.

بكل سعادة وسرور تلقينا نبأ التصديق على خطتنا من قبل المكتب السياسي واللجنة العسكرية الحزبية وفي البرقية اللاسلكية الجوابية لم تشأ القيادة تذكيرنا بأن الوضع لدى مجموعة تاين غوين هو على خير ما يرام، ولكن مع ذلك كان يجب التفكير بحشد القوى في الوقت المناسب على ضوء الفكرة الاستراتيجية الجديدة، واعداد هذه القوى باسرع ما يمكن وارسالها الى نامبو للقيام بالضربة الفاصلة التي ستوجّه الى قلب العدو بالذات.

برزت امامنا مجموعة من المسائل المعقدة المتعلقة بالتحضير للاعمال القتالية

الهادفة الى تحرير المنطقة الساحلية. ففي بادىء الامر كان يجب تنظيم تشكيلات محلية في تاين غوين ـ فوج واحد وعدد من الكتائب لكل مقاطعة، بحيث تكون هذه القطعات والوحدات مسلّحة بشكل جيد وقادرة على حماية المناطق المحررة والدفاع عنها بعد انسحاب قطعات وتشكيلات الجيش النظامي. فالفوج الخامس والعشرون المعزز بوحدات مدفعية الميدان، والمدفعية المضادة للطائرات كان يغطّي الطريق رقم ـ٢١. بينما يدافع الفوج التاسع والعشرون عن بون ميت هوت حيث شكل هناك فوج دارلاك من بين السكان المحليين. اما في كونتوم وبليكو فكانت تتمركز وحدات تابعة لمجموعة شيونغ شون، في حين ان الدفاع عن فوبون كان يلقى على عاتق كتيبة من الميليشيا الشعبية.

على ضوء التبدلات الجديدة في الموقف، عقدنا في السابع والعشرين من آذار اجتماعاً مع قيادة جبهة تاين غوين في مقر القيادة الجديد الواقع الى الغرب من الطريق رقم ـ١٤. واطلع الحاضرون على قرار المكتب السياسي واللجنة العسكرية الحزبية. وتلقّى الجميع هذا النبأ بكل ترحاب وسرور، وعبّروا عن استحسانهم لقرار المكتب السياسي واكّدوا للجنة المركزية للحزب وعاهدوها بأنهم سيعملون بعزيمة واصرار لوضع مقرراتهم موضع التنفيذ. كما درسنا المسائل المتعلقة بكيفية تنفيذ مهمتين اساسيتين: اولاهما ـ حشد القوات المخصصة للاشتراك في العملية في منطقة معيّنة، واستكمال هذه القوات، وثانيتهما ـ نقل قوات يزيد تعدادها عن خمسين الف رجل، وعشرات آلاف الاطنان من الامدادات والتجهيزات من تاين غوين الى نامبو. وبعد ذلك تَلَوْتُ قرار القيادة العامة حول تشكيل فيلق الجيش الثالث، الذي دخلت في قوامه الفرق: العاشرة، الـ ٣٢٠، والـ٣١٦، وأوضحت المهام الملقاة على عاتق هذا الجحفل الجديد الذي يقوده العميد ڤولانغ، والعقيد نيغوين هيب (المفوض السياسي). اما الفرقة ٩٦٨ وعدد من الافواج المستقلة فقد أُدخلت الى قوام المنطقة العسكرية الخامسة. كما صدرت التوجيهات الى النائب السابق لقائد المنطقة العسكرية الخامسة الجنرال هوانغ مين تهاو الذي قام بواجبات قائد القوات في عملية تاين غوين، للعودة الى منطقة عمله السابقة. ووضعت تحت تصرفه الفرقة٩٦٨، والفرقة الثالثة اللتان اسندت اليهما مهمة تبديل تشكيلات وقطعات مجموعة تاين غوين العاملة في المقاطعات الساحلية وفي منطقة كامران، وذلك من اجل تفريغها لتنفيذ مهام اخرى.

لقد نظّمنا للرفيق هوانغ مين تهاو اركاناً غير كبيرة وجهّزناها بالوسائط اللاسلكية الفنية، بحيث يمكن اقامة الاتصال المباشر مع الآخرين.

كان من الصعب جداً أن نفارق هوانغ مين تهاو بعد تلك الاحداث والآمال والآلام المشتركة، والايام السعيدة التي قضيناها في تاين غوين. وبعد عناق الوداع تمنىّ كل منا للآخر الصحة الجيّدة حتى تحقيق النصر النهائي على العدو.

لقد تم تشكيل فيلق الجيش الثالث في لحظة انعطاف مجرى الحرب. ومن الجدير بالذكر ان ذلك كان قد حدث في اثناء هجومنا المتصاعد. فلأول مرة في تاريخ هذه الحرب يزداد حجم قواتنا بهذا الشكل. وفي كل معركة، وفي أعقاب كل عملية كان يزداد حجم القوات مع تحقيق الفكرة الاستراتيجية، مع العلم ان ذلك كان يكلّف بعض الخسائر. وحتى الآن وبعد كل مرحلة من الاعمال القتالية، او بعد كل عملية كبيرة كنا نمتلك الوقت اللازم للراحة ولاستكمال القوى وتحليل الاعمال السابقة واستخلاص العبر والدروس من المعارك المنصرمة، والتحضير للمعارك التالية تحضيراً شاملاً. وبشكل عام كان هجومنا التالي اقوى من الأعمال الهجومية السابقة. غير ان قواتنا لم تكن الاقوى في كل معركة وفي اطار عملية او حملة كبيرة. ففي عام ١٩٧١ وفي عملية الهجوم المعاكس التي جرت في منطقة الطريق رقم ـ ٩، وبعد ثلاثة واربعين يوماً من المعارك لم نستطع التقدم مباشرة الى خيسان، مع العلم بأن الظروف كانت مواتية لذلك. وفي عام ١٩٧٢ وخلال حملة الربيع ـ الصيف، التي جرت في منطقة كوانغ شي، وتهياتهين استطعنا الاستيلاء على مدينة كوانغ هي، غير ان قواتنا ظلّت وراء نهر ميت يان. اما في عام ١٩٧٥ فإن الوضع اصبح مختلفاً كل الاختلاف. ففي هذا العام نفّذنا على التوالي عدداً من العمليات الكبيرة، بينما لم تضعف قوانا، بل تعاظمت وتعزّزت بشكل ملحوظ. فقوات مجموعة تاين غوين، التي بدأت العملية بقوى الافواج والفرق تحوّلت بعد اقل من شهر من المعارك الى جحفل متحرّك وقوي، ومعه جميع قطعات التعزيز والخدمة. كما ان قواتنا المسلحة في كوانغ هي وتهياتهين والمنطقة العسكرية الخامسة ونامبو تصاعدت قدرتها القتالية، ليس من الناحية المعنوية والمادية والفنية فحسب، بل ومن ناحية الفن في تنظيم وتنفيذ الاعمال القتالية. ولأول مرة في تاريخ هذه الحرب تضم كل كتيبة عاملة في تاين غوين اكثر من اربعمائة جندي، كما ان فرقتنا اصبحت تتفوّق على فرقة العدو من حيث قوّتها النارية.

لقد حانت لحظة تحرير سايغون. فبعد ان حلّل المكتب السياسي الوضع الناشىء على اسس علمية، قرّر الاستفادة من هذه الفرصة المواتية لتوسيع وتصعيد الهجوم العام. وبذلك تم التغلّب في الوقت المناسب على المشاكل الملحّة التي برزت خلال الموقف المتبدّل. ففي مثل هذه الحالات يؤدي التردد وانعدام الحزم والتباطؤ الى اخطاء وعواقب وخيمة.

في الثامن والعشرين من آذار وصل رئيس اركان القوات البرية الاميركية الجنرال أُوياند الى سايغون لاعداد خطة الدفاع عن الاراضي المتبقية تحت سلطة الدولة العميلة. لم يمض سوى عامين على قيام هذا الجنرال بإنزال العلم الاميركي في حفلة رسمية، ومغادرته لفيتنام الجنوبية مع مجموعة من الجنود الاميركيين. وها هو الآن يعود من جديد ليرى مشهداً جديداً تماماً. فقوات منطقتي الفيلقين الاول والثاني مسحوقة وممزّقة تماماً، كما ان المناطق الممتدة من كامران والى الشمال اصبحت بالكامل في قبضة العدو (اي قوات التحرير). وهكذا لم يكن في جعبة أُوياند اية نصيحة او توصية يسديها الى جنرالات النظام السايغوني بشأن اقامة خط دفاعي محصّن على المشارف البعيدة عن سايغون وفي منطقة مدينة فان رانغ. وفي الوقت نفسه طلب من واشنطن تقديم المساعدات العسكرية الاضافية والسريعة الى النظام العميل. فأصدر الرئيس الاميركي فورد أوامره بإقامة جسر جوّي بين بانكوك وسايغون لنقل الاسلحة والمعدات. وفي كل يوم كانت تهبط في مطار تانشون يات طائرات النقل الضخمة من طراز «س ـ٥ غيلاكسي» التي تنقل الى تايلاند مئات المدافع والكميّات الكبيرة من الذخائر والاعتدة العسكرية الاخرى. كما ان اربع سفن نقل كبيرة مع حاملة الطائرات «هين كوك» التي على ظهرها خمس عشرة حوامة ضخمة وثلاثمائة من رجال البحرية كانت تقف في المياه الاقليمية لفيتنام.

في هذا الوقت كان الاميركيون وعملاؤهم يظنّون بأنه بعد تحرير المقاطعات الداخلة في نطاق عمل الفيلقين الاول والثاني، سنضطّر الى تخصيص قوات عسكرية كبيرة للدفاع عن هذه المقاطعات، وبمعدل فوج واحد على الاقل لكل مقاطعة. وحسب توقعاتهم لا نستطيع ان ننقل الى الجزء الشرقي من نامبو اكثر من فيلق جيش واحد، وخلال شهرين على الاقل. وقد بنوا توقّعاتهم هذه على الاسس التالية: ان اعادة تجميع قوات النظام العميل في مثل هذه الظروف، وفي حال توفر الطيران،

وسفن النقل، واعداد كبيرة من السيارات كان يستغرق شهراً واحداً على الاقل.

وحتى الدقائق الاخيرة ظل العدو مخطئاً في تقييم امكانياتنا. فهجومنا المتواصل والشامل على طول امتداد فيتنام الجنوبية لم يكن مفاجأة بالنسبة للعدو، إلا أنه ظلّ عاجزاً عن معرفة الاتجاهات المحتملة لضرباتنا، واوقات تنفيذها، وقوام القوات المشتركة في هذه الضربات، وتكتيك اعمالنا والاهداف الاستراتيجية للعمليات المنفذة. كما ان العدو لم يدرك بأن بلادنا تمتلك مثل هذه الطاقات والجهود الجبّارة اللازمة لتحقيق النصر في تلك اللحظة التاريخية الفاصلة.

اذا كان العدو قد ضلّل وأُصيب بالانهيار في تاين غوين، وأُصيب بالانتكاسات الكبيرة في كل من هويّ ودانانغ، فإن مفاجآت وأهوالاً كبيرة كانت تنتظره في سايغون ـ زادين.

في الثاني من نيسان اصدر رئيس الاركان العامة للجيش العميل كاوڤان ڤين اوامره الى جنوده «للدفاع عن الاراضي المتبقيّة الى الجنوب من فان رانغ حتى آخر نقطة دم في عروقهم». وفي ذلك اليوم شكّل في فان رانغ مقر قيادة متقدّم لمنطقة الفيلق الثالث بقيادة اللواء نيغوين ڤين نغي.

وفي الاجتماع الذي عقد في الاركان العامة ابلغ دونغ ڤان هوين الحضور بما يلي: «ان السيد نيغوين ڤان هيو امر شخصيا بالتمسك ـ وبأي ثمن ـ بالأراضي الواقعة الى الجنوب من نين تهوان، حتى ولو ادّى ذلك الى نقل كل ما لدينا الى هناك». وعلى الفور وصلت التعزيزات الى فان رانغ: لواء انزال جوي، ومجموعة مقاتلة من القوات الخاصة، وعدد من وحدات وقطعات المدفعية والمدرعات. وكانت تقوم بأعمال الدورية قرب شواطىء فان رانغ مجموعة من السفن الحربية الجاهزة في أي لحظة لدعم اعمال القوات البرية بمدافعها. وقد ركّز الطيران القاذف المعادي جهوده في منطقة فان رانغ. وفي الثالث من نيسان جمع نيغوين ڤين نغي جنرالات وضباط القوى الجوية، وقوات الانزال الجوي والقوات الخاصة، ومنطقة نين تهوان العسكرية وقدّم اليهم خطة الدفاع عن المدينة بعد ان اشار الى الأهمية الخاصة لخط فان رانغ الدفاعي في تغطية وحماية المشارف البعيدة عن سايغون.

أُمرت القوات بالمحافظة على الخطوط الدفاعية مهما كلفها ذلك من ثمن وحتى

بدء موسم الامطار، اي حتى شهر حزيران من عام ١٩٧٥. ففي هذا الوقت تستطيع الامطار اعاقة نشاطاتنا القتالية، بينما يستطيع العدو تنفيذ مخططاته: حسب خطة العدو ستخرّج مراكز التدريب في الخامس عشر من ايار العدد الكافي من الجنود لاستكمال عدد من الفرق المدمرة.

كانت الاركان العامة للجيش السايغوني تخطط لتعزيز اعمال التعبئة واستكمال التشكيلات المدمرة، وتشكيل اربع فرق جديدة من القوات الخاصة بمشاركة القوات العامة في منطقة الفيلق الثالث. كما تقرر العمل على اشراك الفرقتين الـ١٠١ والـ١٠٦ في خوض الاعمال القتالية في اقرب وقت ممكن. واسندت ايضا المهمة للاسراع في استكمال ثمانية افواج مدرعة وتشكيل ثلاث فرق مشاة وفرقة مشاة بحرية واحدة. وتقرر ايضا تنشيط اعمال الطيران والاسطول بهدف تطويق ومحاصرة الموانىء التي استولت عليها قواتنا، وزيادة عدد السفن في المناطق الواقعة الى الجنوب من نياشانغ من اجل تقديم الدعم الناري الى الحاميات العاملة في مقاطعات نين تهوان، بين تهوان ، وبين تويّ. وكانت قيادة الجيش العميل تنوي ايضاً الاسراع في تخريج الجنود والضباط من مراكز ألتدريب، والطلب من واشنطن لارسال الاعداد الكبيرة من المدافع والدبابات والعربات المدرعة الى سايغون على جناح السرعة.

في بداية الهجوم العام لم يعرف جنودنا سوى الانتصارات. وكم كان حماسهم كبيراً بعد الضربة الساحقة التي وجهت الى بون ميت هوت خاصة وسحق فلول قوات الفيلقين الاول والثاني. والحقيقة «اننا كنّا نقطّع العدو ارباً ارباً كأغصان الخيزران». ولكن كان لا يجوز الظن بأن قوات الفيلقين الثالث والرابع، وخاصة القوات العاملة في سايغون ـ «المركز المفكّر» سوف تسقط تلقائيا وتنهار. وكان من الخطأ الفادح الاعتقاد بأنه يمكن سحق العدو بسهولة وبدون تحضيرات دقيقة، وخلق تفوّق بالقوى.

ان العدو العريق في رجعيته وحقده وضلالته حشد قوات كبيرة على خط دفاعه الاخير. ولذلك فإن ملحمة سايغون ـ زادين يجب ان تكون الصدام الحاسم بين الثورة واعدائها، وبين شعبنا والامبريالية الاميركية. كما ان الأهمية التاريخية لهذه الموقعة الفاصلة لم تكن لتسمح لنا بالتقصير في تقدير العدو، فالنجاحات السابقة والباهرة لم تجعلنا ننظر الى العدو ببساطة، وكمجموعة من الجنود الفارّين الذين يتلمسون النجاة.

طلبنا من المكتب السياسي واللجنة العسكرية الحزبية ارسال فرقة او فرقتين

معززتين الى الجنوب لكي تشكّل، مع قوات المنطقة العسكرية الخامسة احتياطنا في العملية القادمة، والذي سيربض على امتداد الطريقين رقم ـ١ ورقم ـ٢٠. وكانت تحت تصرفنا ايضاً التعزيزات التي ارسلتها القيادة العامة من قبل. إلا اننا قررنا الاحتفاظ بها لتوجيه الضربة الى سايغون، وعدم توزيعها بين المنطقة العسكرية الخامسة ومنطقتين كوانغ وتهيا تهين، حيث استطعنا اجتيازها بقوى التشكيلات المحلية. وما دام نصف قطر عمل طيران العدو المتمركز في مطار تهان شون (فان رانغ) لا يزيد على اربعمائة كيلومتر، وان دانانغ وكونتوم تقعان خارج مدى عمل هذا الطيران، فقد اقترحنا الاستفادة بجرأة من سفن النقل والطائرات لنقل القوات والامدادات الى دانانغ وبليكو.

بعد ان حصلنا على بضع ساعات من الفراغ، قمنا بجولة في بون ميت هوت وفوبون وبون هو، حيث شاهدنا المنشآت الدفاعية التي تخلّى عنها العدو وطرق تقدم قواتنا في العملية السابقة. وفي اراضي تاين غوين خمدت المعارك التي وضعت بداية لذلك الانعطاف. وحولنا كان يخيّم السكون الشامل، واعلامنا ترفرف فوق منشآت العدو الدفاعية المهدّمة. ان تلك الجولة ساعدتنا اكثر فأكثر على فهم حقيقة العدو الذي كان يجب علينا سحقه خلال الايام القليلة القادمة. فقلوبنا كانت مليئة بشعور الاعتزاز الكبير بحكمة ومرونة وحسمية وسرعة عمل مكتبنا السياسي ولجنتنا العسكرية الحزبية..

لقد درسنا افادات الضباط الاسرى وكذلك الوثائق العسكرية التي استولت عليها قواتنا، من اجل التحضير والاعداد للعملية الجديدة وتنفيذها.

قمنا بزيارة السجن في بون ميت هوت، ذلك السجن الذي ضمّ بين جدرانه المظلمة رجالنا الثوريين ومن بينهم نيغوين تي تهان، ونيغوين تيان، وتوهيو. وعلى الرغم من القهر والتعذيب فإن رفاقنا حافظوا على تفاؤلهم وثقتهم بالمستقبل المشرق للثورة. وفي بون ميت هوت ذاتها تذكّرنا الاحداث القتالية الكثيرة، كما تذكّرنا اولئك الذين سقطوا هنا منذ خمسة وعشرين عاماً وهم يدافعون عن المدينة في وجه هجوم المحتلين الفرنسيين.

من أجل مقابلة الرفيق لي ديك تهو الذي قدم لتوضيح قرارات المكتب السياسي، وقع اختيارنا اولا على تيل يو الواقعة قرب الطريق رقم ـ١٤ وغير بعيد عن

تهوان مان. وكان قد انشيء هنا عدد من المنازل الصغيرة المصنوعة من اخشاب الخيزران. ونظراً لأن الموقف كان قد تبدّل بسرعة في اعقاب تحرير منطقة شونغ هو الساحلية بكاملها، فقد طلبنا من المكتب السياسي السماح بنقل مكان هذه المقابلة الى نامبو، واعلام لي ديك تهو بذلك.

وكما علمنا فيما بعد، أن لي ديك تهو كان قد سافر جواً الى دونغ هويّ في الثامن والعشرين من آذار، وغادر هانوي بروح معنوية عالية جدا. وفي الليلة الاولى التي قضاها في كوانغ بين نظم الابيات الشعرية التالية التي نقلها الى الرفيق لي زوان، والتي يقول فيها:

لقد قلت عند الوداع:
«إمض، وعد الينا بالنصر».
وأنا من شدّة اضطرابي لم الفظ كلمة واحدة
فعقوبتك هي عقوبة الوطن الغالي
وفي قلبي احفظ آلاف الاميال من الطرقات
ولا أخشى تشيونغ شون
كم من خبر سعيد يصل من الجبهة
ان البلاد كلها تنتظر الانتصارات الجديدة
اسرعوا ايها الرفاق فالطريق طويلة وشاقة
فعلينا ان نصل ـ فقد حلّت الساعة التي طال انتظارها...

في الحادي والثلاثين من آذار تلقى لي ديك تهو الذي كان موجوداً آنذاك في جبال شيونغ شون، كما تلقيت انا في نفس الوقت برقية لاسلكية عاجلة من الرفيق لي زوان. وقد جاء في هذه البرقية: «يجب كسب الوقت وخوض الاعمال المستعجلة. لذلك يجب على توان التوجّه فوراً الى نامبو للاجتماع مع باي كيونغ (فام هونغ). كما يجب ان يتوجّه الى هناك الرفيق شاو (لي ديك تهاو). وعلى باي كيونغ، وتي نيغوين (شان فان شا) إلغاء الجولة في تاين غوين». وتلقّى كل من الرفيق فوتي كونغ، وتيو هوي مان في المنطقة الخامسة التوجيهات بشأن إلغاء الاجتماع في تاين غوين. وقد علمنا فيما بعد انه بعد تحرير تاين غوين غادر فوتي كونغ المنطقة العسكرية الخامسة فوراً الى كونتوم، الا انه في الطريق علم بالتبدلات السريعة التي طرأت على الموقف العام،

وبأن ظروفاً مناسبة ومواتية للثورة قد نشأت في المناطق السهلية التابعة له، ولذلك عاد ادراجه بسرعة. وفي مكتبه ـ في المنطقة الخامسة ـ تلقّى برقية لاسلكية من الرفيق لي زوان. ومن حسن الحظ فإن الرفيق بوي شان الـذي كان قـد وصل معي من بون ميت هوت الى كونتوم، كان قد ابقى هناك فوتي كونغ، واستطاع ان يتحدث معه لفترة قصيرة؛ ثم افترقا بعد ذلك من جديد: فكل واحد منهما كانت تنتظره اعمال مفاجئة. وبعد ذلك التقى فوتي كونغ مع لي ديك تهو الذي أُرسل الى نامبو، وذلك في ضاحية بين زانغ الواقعة غربي مقاطعة كوانغ نام. وفي هذا اللقاء أبلغ لي ديك تهو عن قرار المكتب السياسي بشأن تحرير فيتنام الجنوبية قبل بدء موسم الامطار. واكد الرفيق فوتي كونغ ونغوين سوان هيو (باي هيو) باسم اللجنة الحزبية للمنطقة والتنظيم الحزبي للمنطقة العسكرية الخامسة، للرفيق لي ديك تهو بأن الشيوعيين يضعون كل إمكانياتهم وقواهم لتحرير المقاطعات المحتلّة، ويبذلون كل ما في وسعهم لتحقيق النصر في الملحمة الفاصلة وتحرير سايغون ـ زادين . فالجميع يدركون تماماً بأنه لا يجوز تضييع دقيقة واحدة في هذا الظرف بالذات.

ان الموقف الجديد، والافكار الاستراتيجية الجديدة للقيادة، كانت قد أحدثت في صفوف حزبنا وشعبنا وقواتنا المسلحة إحساساً عميقاً وشعوراً وطنياً رائعاً. فالجميع كانوا متفائلين الى حد كبير، ومستعدين لبذل كل إمكانياتهم وجهودهم في سبيل المصلحة العامة، وتنفيذ جميع المهام التي يحددها الحزب من اجل تحقيق النصر الكبير.

ان شعار «كل شيء للجبهة، وكل شيء للنصر»، اصبح حقيقة واقعة في المرحلة الاخيرة من حرب المقاومة ضد المحتلين والعملاء. فالمؤخرة الكبيرة ـ الشمال الاشتراكي ـ حشدت وعبّأت جميع الموارد المادية والبشرية لصالح الجبهة الكبيرة ـ الجنوب، وعلى الطرقات كانت تتحرّك ليلاً ونهاراً وباستمرار الوحدات والقطعات الصديقة نحو الجنوب، والى نامبو. وقلوب جميع العسكريين كانت مليئة بالثقة والايمان بحتمية النصر السريع، كما ان الجميع كانت تهزّهم رغبة واحدة وهي ـ الى الامام بسرعة واندفاع ـ الى الجبهة ـ الى التحرير والنصر.

الزحف

إذا كانت الحرب في حد ذاتها صراعاً رهيباً وقاسياً تتقرر فيه مسألة وجود الاطراف المتصارعة، فإن حدة الصراع تبلغ اقصاها في الموقعة الفاصلة من هذا الصراع. ففي الصدام الاخير يصل توتّر القوى والجهود الى حده الاقصى كقاعدة عامة. كما ان ذلك يظهر في قيادة الاعمال القتالية وفي ساحات القتال مباشرة.

قبل ظهيرة الحادي والثلاثين من آذار عقد المكتب السياسي اجتماعاً استمع فيه الى مذكرة اللجنة العسكرية للحزب حول تطوّر هجومنا خلال الاسابيع الثلاثة الماضية، وخاصة الايام الاخيرة منها. وقد أكّد المكتب السياسي بالاجماع على الامور التالية: بعد النجاحات القتالية التي أُحرزت في المنطقة العسكرية التاسعة وتحرير مقاطعة فيوك نونغ في نامبو الشرقية، أصبح سحق تجميع قوات العدو في تاين غوين بمثابة بداية حقيقية للهجوم الاستراتيجي العام، الذي أدّى الى احراز النصر الاكبر خلال مدة وجيزة. وخلال هذه المدة استطعنا ان نعطّل عن العمل اكثر من ٣٥٪ من القوى الحية للعدو، وخاصة قواته العاملة في مناطق الفيلقين الرئيسيين، والتي تم تعطيلها بالكامل تقريباً. إذ خسر العدو اكثر من ٤٠٪ من عتاده القتالي الحديث، وما يزيد عن ٤٠٪ من قواعده العسكرية ومستودعاته التي دُمرت او سقطت في ايدي

قواتنا. كما حرّرت قواتنا اثنتي عشر مقاطعة، وبلغ عدد السكان القاطنين في المناطق المحررة ثمانية ملايين نسمة.

تجدر الاشارة هنا الى ظاهرة هامة، وهي ان التنسيق الكامل للاعمال القتالية التي قام بها جيشنا، كان قائمًا عند تحرير دانانغ مع انتفاضات السكان المحليين، الذين كانوا ينتظرون هذه اللحظة للانتفاض في وجه النظام العميل البغيض. وقد ازعج ذلك العدو بالطبع، وأدّى الى زعزعة الروح المعنوية لدى جنود وضباط هذا النظام. وبنتيجة ذلك تم تحرير دانانغ ـ الميناء البحري، واكبر معسكر حربي في فيتنام الجنوبية. والجدير بالذكر ان ذلك قد تم بسرعة مدهشة، اي خلال ثلاثين ساعة تقريباً، مع العلم ان المهاجمين كانوا اقل عدداً بكثير من المدافعين، إلا أنهم عملوا بجرأة ورجولة منقطعة النظير.

ازداد قوام قواتنا المسلحة الى حد كبير. كما تعاظمت الخبرة القتالية لجيشنا، وتطوّرت المهارات العملية لقادته في مجال تحضير وتنفيذ الاعمال القتالية. واذا نظرنا الى حجم الانتصارات التي أُحرزت، فإننا نجد ان خسائرنا بالرجال والسلاح كانت طفيفة جداً، كما أن استهلاكنا من الذخائر كان قليلاً إيضاً. وعلى العكس من ذلك، فإن احتياطاتنا من الوسائط المادية كانت تستكمل بسرعة على حساب الكميات الكبيرة من الاسلحة والذخائر المغنومة.

لقد شهد الموقف العام تحوّلا حاداً، كما أن ميزان القوى العسكرية والسياسية أخذ يميل لصالحنا بصورة واضحة. إذ اننا انتزعنا زمام المبادرة الاستراتيجية بقوة وجدارة. بينما فقد العدو حيويته ونشاطه، ووقع في مأزق استراتيجي وتكتيكي لا مخرج فيه. وفي هذا الموقف بالذات كانت الولايات المتحدة الاميركية نفسها غير قادرة على تقديم المساعدات الى عملائها. كما ان الدعم العسكري الاضافي لم يستطع انقاذ النظام المأجور من السقوط المحتوم والقريب.

على ضوء ذلك استخلص المكتب السياسي التابع للجنة المركزية للحزب الاستنتاج التالي اثناء اجتماعه الذي عقد في الحادي والثلاثين من آذار، ومفاده: «أن الحرب الثورية في فيتنام الجنوبية دخلت في مرحلة يتطلب تطويرها قفزة ذات طابع نوعي خاص. كما تشكّلت كافة الشروط اللازمة لشن الهجوم الكاسح، وللبدء بالانتفاضة الشعبية العارمة، بهدف سحق المرتكزات الاخيرة للعدو. ومنذ هذه

الدقائق تبدأ على المستوى الاستراتيجي الموقعة الاخيرة والفاصلة التي بنتيجتها تترسخ دعائم الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية في فيتنام الجنوبية ويُمهّد الطريق أمام الوحدة السلميّة لبلادنا.

في المرحلة الراهنة أخذت الثورة تتطوّر بوتائر عاصفة، بحيث اصبح اليوم الواحد يساوي من حيث القيمة عشرين عاماً فيما مضى. ولذلك فإن المكتب السياسي يرى أنه من المفضّل عدم تفويت الفرصة التاريخية المواتية بأي حال من الاحوال، والقيام بالهجوم العام والانتفاضة العارمة بدون تأخير، وبأسرع ما يمكن، ويفضّل ان يتم ذلك في شهر نيسان. كما أن أعمالنا يجب ان تأخذ طابع الهجمات الصاعقة والمفاجئة لضمان النصر المؤزر.

من أجل تأمين النصر وتحقيق المفاجأة يجب مهاجمة العدو في تلك اللحظة التي تتداعى فيها قواه، او يختل فيها تنظيمه العام. كما يجب حشد القوى لتوجيه الضربة في الوقت المناسب الى الاغراض الهامة، في اللحظة المحددة وعلى الاتجاه المعينّ.

وعلى المستوى الاستراتيجي ينبغي التمسّك بكل شبر محرر، وتطوير قوة «الضربات الاستراتيجية الثلاث»، والرّبط على نطاق واسع بين الهجوم المسلّح والانتفاضة الشعبية العارمة، وتوجيه الضربات الى العدو على الجبهة وفي المؤخرة أيضاً. وعلى كل اتجاه وفي كل وقت يجب تأمين التفوّق الكاسح في القوى، وخلق الموقف المناسب لنا والاستفادة منه لبلوغ النجاحات الكبيرة بوتيرة متصاعدة.

كما ينبغي العمل بسرعة على تعزيز قواتنا العاملة الى الغرب من سايغون، ومحاصرة المدينة وعزلها عن الجزء الغربي من نامبو، ولذلك يجب قطع الطريق رقم ـ ٤ بصورة نهائية، وحشد القوات على المشارف الشرقية لمدينة سايغون في نفس الوقت، والاستيلاء على أهم نقاط الاستناد، ومحاصرة المدينة على اتجاه باري ـ أوكاب، والمحافظة على القوات الكبيرة في حالة الجاهزية القتالية الدائمة، بما في ذلك القطعات والوحدات المزودة بالعتاد القتالي الثقيل كي يمكن في اللحظة المناسبة توجيه الضربة الى اغراض العدو الحيوية في وسط العاصمة سايغون».

في هذا الموقف المتشكّل، كنّا نجد انفسنا امام شرطين متناقضين تقريباً. فالزمن لا يتوقّف، ولا يجوز تفويت الفرصة التاريخيّة النادرة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية

كان يجب علينا تحضير قوات كبيرة لشن الهجوم الاستراتيجي الأخير والحاسم، والذي ينبغي تنفيذه بشكل كثيف وفي مناطق واسعة مع استخدام الاساليب التكتيكية الجديدة والرائعة. فإذا كان الشرط الأول يتطلّب اعمالاً ملحّة وفورية لا تقبل التأجيل، فإن الشرط الثاني يتطلب ضرورة القيام باجراءات تحضيرية كبيرة ومتنوعة تستغرق وقتاً طويلا. اضف الى ذلك ان الادارة السايغونية وعملاءها لن يبقوا مكتوفي الأيدي. فهم يستفيدون من جميع الامكانيات لايقاف هجومنا، ولاجبارنا على تضييع القسم الاكبر من الوقت، للاعداد للموقعة الاخيرة حول سايغون ـ زادين.

لقد قرر المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب تركيز كل اهتماماته على قيادة العملية القادمة، وتعبئة كافة الموارد البشرية والمادية في البلاد لتأمين إحراز النصر في تلك الموقعة التاريخية. كما صدرت التعليمات الى كافة المناطق العسكرية والسلطات المحلية والهيئات الرسمية في جميع انحاء البلاد لدراسة وتلبية احتياجات الجبهة كمهمة ذات افضلية اولى. وانشغلت جميع المؤسسات والهيئات العاملة تحت تصرف القيادة العامة لجيشنا بالتحضير والاعداد للموقعة الفاصلة القادمة، ليلا ونهاراً، كما انشغلت ايضاً بمعالجة المشاكل المتعلقة بتنظيم الادارة في المناطق الجديدة المحررة.

ان حزبنا وشعبنا وقواتنا المسلحة كانت جميعها تتفجّر حماساً وعزيمة لوضع فكرة المكتب السياسي الاستراتيجية الجديدة موضع التنفيذ. ومنذ مطلع نيسان من عام ١٩٧٥ اخذت تنشط حركة غير عادية على جميع طرق المواصلات في بلادنا: الطرق المعبّدة، والنهرية ، والبحرية، والجويّة. كما ان الشعب بأسره تحرّك للقيام بمسيرته تحت شعار: «الهجوم الزاحف والعنيف، ومفاجأة العدو، والانتصار عليه». وامتدّ هذا السيل البشري الجارف نحو الجنوب. حيث كانت تتحرّك طوال الليل والنهار الآليات على مختلف انواعها قادمة من الشمال، لتسابق الزمن وتتجاوز المخافر والحراس والحدود وتنقل الى الجبهة الجنود والامدادات. وعند بلوغ مدينة دونغ ها كان سيل الآليات يتفرّع الى عدة فروع: إذ يتوجه قسم منها نحو سلسلة جبال شيونغ شون، حيث تمتد الطرقات الاستراتيجية على المنحدرات الشرقية والغربية لهذه السلسلة، والقسم الآخر يتحرّك على الطريق رقم ـ١ متجهاً نحو الجنوب مباشرة وعبر هويّ ـ دانانغ ـ كوانغ ـ نغاي ـ كوي نين للحاق بالقوات التي تنفذ المسير.

لم يبق إلاّ وقت قصير على بداية فصل الامطار. وفي الوقت ذاته كانت ارتال

الآليات المتلاحقة التي تثير وراءها سحباً كثيفة من الغبار، تتحرّك نحو الجنوب على طرق شيونغ شون، لتدخل غابات المطاط في زاوتيانغ متجاوزة ديك لاب وبوزاماب ودونغ سواي ولوك نين، ولتتحرّك عبر ممرات منطقة الانصار العسكرية «د»، وبمحاذاة الانهار: سايغون، بي، وڤام كودونغ.

ان السكان الجبليين القاطنين مناطق تاين غوين لم يستطيعوا التفرّج على مقاتلينا الفتيان الاقوياء والمرحين، وعلى الارتال التي لا تنتهي من المدافع والقواعد الصاروخية والدبابات والعربات المدرعة والقاطرات التي تجرّ وراءها المدافع المضادة للطائرات، والشاحنات التي تحمل الاطواف والجسور وكأنّها تسير في عرض عسكري. ففي الماضي لم يكن في حوزة هذه القوات تلك الاسلحة والاعتدة، لأن «جنود هوشي منه» لا تستطيع ان تستوعبها او تحصل عليها كما كان يظن العدو آنذاك.

إن مئات الآلاف من الآليات كانت تتحرك على الدوام نحو الجنوب. وكانت الحركة كثيفة الى حد كبير بحيث لا يمكن رؤية ارضية الطريق في بعض القطاعات. كما ان السائقين اضطروا لإضاءة المصابيح نهاراً واستعمال آلات التنبيه بسبب السحابة الكثيفة من الغبار، الذي غطى مناطق واسعة من تاين غوين، والسهول الخضراء في بوب رانغ، وغابات الخيزران في بوزاماب، التي كان يمرّ عبرها خط امداد القوات.

في أحد الممرات الجبلية وحيث يتقاطع الطريقان الشرقي والغربي، المؤديتان الى شيونغ شو، حدد مكان مقر قيادته نائب رئيس الاركان العامة فونغ تهي تاي. ومن هناك أخذ بالتعاون مع مساعديه - ممثلي مصالح الهندسة والنقل والشرطة العسكرية - بمراقبة كيفية سير القطعات العسكرية، ومراعاة هذه القطعات لتعليمات المسير بدقة، كما انه اتخذ مع مساعديه جميع التدابير للتخلص بسرعة من تراكم وازدحام الآليات في بعض النقاط الضيقة او ما يسمى بسدادات الطرق، واعطى الإذن بالعبور او التجاوز لتلك الوحدات من صنوف القوات التي كانت تتمتع بالافضلية الاولى بالحركة. وهكذا استمر عمل فونغ تهي تاي ورفاقه لعدة اسابيع. والجدير بالذكر انه كان قد علّق في مقر قيادته لوحة كتبت عليها العبارات التالية: «الزحف . . . ثم الزحف، والإقدام. . . ثم الإقدام». كما ان جميع نشاطات اركانه الصغيرة كانت تهدف الى تمرير المئات من اطنان الاعتدة القتالية والذخائر والمواد الغذائية الى الجبهة عبر تلك الجبال، وفي الوقت المناسب، اي قبل حلول موسم الامطار في تاين غوين. وتقديراً

للتفاني والحزم والصرّامة في العمل فقد اطلق السائقون على فونغ تهي تاي، الذي كانوا لا يعرفون ملامح وجهه، اسم «السيد الزاحف» واسم «السيد أعبر بسرعة». حتى ان بعض السائقين أخذوا يرددون هذه الرباعية:

إذا التقيت بالزاحف صدفة
فإنك لن تسمع منه إلا كلمة «أعبر»
حتى سيارات القادة لا تمر إلاّ بإذنه
يا إلهي إن من يعرفه يتذكره الى الأبد.

وفي هذه الاثناء كانت تشاهد على الطرقات الباصات المدنيّة والشاحنات الخاصة القادمة من فيتنام الشمالية، وكذلك السيارات الصغيرة الخاصة القادمة من المدن والمقاطعات المحرّرة، بالاضافة الى الآليات العسكرية، والآليات المغنومة.

من اجل تحقيق النصر في الموقعة الاخيرة، قامتِ المنطقة العسكرية الخامسة بتنظيم رتل خاص من السيارات التي تحمل الاسلحة المغنومة الى جانب اسلحتنا التي لم تستخدم في اثناء تحرير دانانغ والمقاطعات الجنوبية الاخرى من تلك المنطقة. ان ذلك الرتل، الذي يقوده نائب قائد المنطقة العسكرية الخامسة العميد ڤوتهي، اتجه من المنطقة السهلية الساحلية الى تاين غوين في بادىء الامر، ثم اتجه نحو الجنوب، ونحو نامبو الشرقية.

وفي تلك الايام كانت الحركة على اشدها في مطارات: زالام، ڤين فو، دونغ هويّ، فوباي، دانانغ، وكونتوم. ومن هذه المطارات كانت تقلع الحوامات وطائرات النقل على مختلف انواعها وكذلك الطائرات المدنية والخاصة. لم تحمل هذه الطائرات الجنود والاسلحة الى الجنوب فقط. بل إنها كانت تحمل المطبوعات والاشرطة السينمائية والمواد التعبيرية وغيرها من الوثائق الاخرى. كما ان طائرة نقلت الينا بضعة اطنان من الخرائط لمنطقة سايغون ـ زادين، والتي كانت قد طبعت لتوّها في مطبعة الاركان العامة في هانوي.

كانت الاعمال تسير على قدم وساق في محطات القطارات ايضاً، وعلى ارصفة الموانىء النهرية في: كراسنايا، زان، ما، هان، وكذلك في موانىء: هاي فون، كياهويّ، تهونان، ودانانغ. . . ، حيث كانت اعمال نقل القوات والامدادات تجري

ليلاً ونهاراً بواسطة سفن الاسطول وبواسطة السفن التابعة لوزارة المواصلات والنقل. اضف الى ذلك ان امتداد الطرق البحرية كان يزداد يوماً بعد يوم: حتى ان سفننا رست في ميناءي كوي نين وكامران المحررين.

وبتوافر مثل هذه الطرق والوسائط، اصبح النقل ممكناً، لتنفيذ مهمة نقل التشكيلات الكبيرة من القوات، والكميات الهائلة من الاعتدة والتجهيزات خلال مدة قصيرة جداً. ولا شك في ان هذه المهمة كانت مهمة لا مثيل لها في تاريخ ثورتنا..

ان جميع جهودنا وامكانياتنا التي حشدناها خلال السنين الطويلة صبّت الآن في التيار القوي الذي يجرف في طريقه القلاع الاخيرة للاستعمار الجديد ويقتلعها من اراضينا الى الأبد. ان الشعب الفيتنامي انتفض في عام ١٩٧٥ بعد ان عُجمت عيدانه وصلبت اكتافه عبر سنين النضال الطويلة. وها هو الآن ينتفض فوق خيول حديدية سريعة. ومن يمتطي ظهر جواده يحلُم بالاندفاع الى الامام على الفور، لأن روحه المعنوية العالية طغت على كل شيء، ولأنه يدرك تماماً بأن كل دقيقة يمضيها في طريقه تشكّل قوة في عامل الزمن الذي لا يتوقف.

خلال هذه الفترة لم تقم الاركان العامة بتنفيذ المهمة الصعبة فقط بغية تنسيق اعمال قواتنا على خطوط الجبهة، بل انها اشرفت على تنفيذ ذلك بحيث تبقى مستودعاتنا المنتشرة في جميع ارجاء البلاد، مليئة بالذخائر المحملة على العربات والجاهزة للتحرّك الى القطعات والتشكيلات المشتركة في خوض موقعة سايغون الفاصلة. ومما يجدر ذكره ان قذائف المدافع، والمدافع عديمة الارتداد، والهاونات، والمدافع المضادة للطائرات كان من الصعب تأمينها في تلك الفترة. كما ان فيلق الجيش الاول ومجموعة القوات٢٣٢[١] كانت تعاني من نقص شديد في الذخائر. وكانت تلك المجموعة بقيادة اللواء لي ديك آن، والعميد لي ڤان تيونغ كمفوض سياسي (لي تيان).

وبمشاركة السكان المحليين استطاعت قوات الهندسة ترميم وتوسيع قطاعات الطرق في مناطق دونغ سواي، كاي غاو، وبين باو، واصلاح جسر نابيك المدمر،

١ـ مجموعة القوات ٢٣٢ كانت تعادل فيلق جيش من حيث قوامها وحجم القوى والوسائط التي في حوزتها (ملاحظة الناشر).

وترميم المخاضات التي كانت قد أُقيمت من قبل في: مادا وبين باو، وتحضير وشق طرق المناورة لصالح المدفعية حتى مدينة سايغون بالذات.

لقد وصل امر التحرّك السريع الى الجنوب لتنفيذ المهام القتالية الى فيلق الجيش الاول في الخامس والعشرين من آذار، وفي الوقت الذي كان فيه هذا الفيلق منشغلاً في ترميم احد السدود في مقاطعة نين بين. وعلى الفور نفذ الفيلق الامر بقيادة العميد نيغوين هوا، والمفوض السياسي العميد هوانغ مين تهي، ووصل الى نامبو في منتصف شهر نيسان بعد ان قطع مسافة ١٧٠٠ كيلومتر على الطرق رقم : ١٢ و١٥ و١٤ (عن طريق بون ميت هوت وبليكو).

اما فيلق الجيش الثاني الذي يقوده العميد نيغوين هيو آن، والمفوض السياسي لي لين فقد تحرك فور تحرير دانانغ، بمحاذاة شاطىء البحر، نحو نامبو الشرقية. وبناءً على التوجيه العملياتي للقيادة العامة، كان يجب على هذا الفيلق ان ينفذ مسيراً لمسافة ٩٠٠ كيلومتر خلال ١٨ يوماً، واحتلال مواضع الانطلاق للهجوم في منطقة بين هوا ـ باري. وفي اثناء التحرك والمسير اضطرت قوات الفيلق للاشتباك مع العدو قرب مدينتي فان رانغ، وفان تهيت، وعبور مجموعة من الانهار التي تقع عليها جسور مخرّبة. ففي القطاع دانانغ ـ كوانغ نغاي فقط، استطاع العدو ان ينسف ست جسور. مما ادى الى تعقيد مهمة الفيلق الذي ينفذ المسير بألفي سيارة. ويجدر القول هنا بأن الفرقة الـ ٣٠٨ التي كانت تمتلك في عام ١٩٦٢ عدداً أقل بكثير من السيارات (٤٠٠ آلية) لم تستطع ان تتخلص من العقبات التي اعترضتها على الطريق، إلا بصعوبة في اثناء المشاريع. من اجل تنفيذ التوجيه العملياتي للقيادة، نظمت قيادة فيلق الجيش الثاني حركة القوات على انساق: ففي المقدمة تحركت وحدات الهندسة بمهمة اصلاح الجسور المعطلة وقطاعات الطرق، وخلفها تحركت قطعات الدبابات بمهمة إبطال مقاومة العدو الذي يحاول اعاقة حركة الفيلق، ثم قطعات المشاة والمدفعية التي تقفل الرتل. وقد تمت تغطية كل نسق من العدو الجوي بقوى وحدات وقطعات المدفعية المضادة للطائرات. كما ان احتياطات التعيينات لقوات الفيلق الثاني خصصت لمدة شهر كامل، اما الذخائر فكان يجب ان تتوفر للفيلق بحيث يستطيع دخول المعركة فور وصوله الى مواضع الانطلاق.

بالاضافة الى فيلق الجيش الثاني، كان يجب ان تتحرك قطعات وتشكيلات

اخرى نحو الجنوب وبمحاذاة منطقة شونغ بو الساحلية. وهذه القوات شكّلت «مجموعة القوات الساحلية» التي كان يقودها اللواء لي شونغ تان، واللواء لي كوانغ هوا. وامام هذه الارتال كانت تتحرك مجموعة من الضباط ـ ممثلي القيادة العامة ـ الذين قاموا بجمع المعلومات عن المناطق القادمة للاعمال القتالية، وعالجوا المسائل المتعلقة بالتأمين المادي للقوات وذلك بالتعاون مع السكان المحليين.

على طول طريق المسير كانت مجموعة القوات الساحلية تلتقي بالسكان المحليين الذين يهرعون من المدن المجاورة للترحيب بها. فالشيوخ والنساء والاطفال كانوا يحملون جوز الهند وقصب السكر الى الجنود، ويقدّمون اليهم كؤوس الشاي. غير ان مقاتلينا لم يتوقفوا عن الحركة ولو لدقيقة واحدة من اجل التحدّث مع ابناء الشعب الاعزاء. واكتفوا بالابتسامات والتلويح بالأيدي لأبناء الشعب الذين قدموا للترحيب بهم.

في الثالث عشر من نيسان كانت قطعات وتشكيلات فيلق الجيش الثاني تقترب من فان رانغ التي قرر العدو ان يتمسّك بها حتى آخر رجل.

وفي الرابع عشر من شهر نيسان، انتقلت فرقة المشاة الثالثة التابعة للمنطقة العسكرية الخامسة الى الهجوم على فان رانغ بالتعاون مع الفوج الخامس والعشرين القادم من تاين غوين، وذلك ضمن نطاق دفاع قوات منطقة الفيلق الثالث المعادي. وبعد يومين من المعارك الضارية استطاعت قواتنا التقدم نحو ضواحي المدينة فقط. فالعدو يتمركز في نقاط استناد محصنة ويتلقى الدعم الجوي الكثيف. وفي هذا الموقف قرر لي شونغ تان، ولي كوانغ هوا زج قسم من قوات الفيلق الثاني في المعركة. وفي هذا الوقت قدم نائب مدير الاكاديمية العسكرية العميد نام لونغ مع مجموعة من ضباط الاركان والادارة السياسية والمؤخرة لتعزيز قيادة مجموعة القوات الساحلية.

في صبيحة السادس عشر من نيسان وبعد التمهيد المدفعي هاجم قسم من الفرقة **٣٢٥** التابعة لفيلق الجيش الثاني مدينة فان رانغ ومطار تهان شون من ثلاثة اتجاهات وبدعم من الدبابات، وبالتعاون مع الفرقة الثالثة والفوج الخامس والعشرين. وفي اعقاب ذلك لاذ العدو بالفرار لأنه لم يستطع الصمود امام رمايات المدفعية وهجمات المشاة والدبابات.

بنتيجة عملية فان رانغ استطاعت قواتنا ان تدمر مقر القيادة المتقدم لمنطقة الفيلق الثالث واركان الفرقة الجوية السادسة، وتأسر اللواء نغوين ڤين نغي، واللواء فام نفوك شانغ. كما دُمرت ايضاً اركان فرقة المشاة الثانية، وسحق لواء الانزال الجوي الثاني، ومجموعة القوات الخاصة الحادية والثلاثون، واحد افواج الفرقة الثانية التي شكّلت من جديد. واستسلم عدد كبير من ضباط الجيش السايغوني الكبار. واستولت قواتنا على حوالي ٤٠ طائرة سليمة.

ان تحرك قوات فيلق الجيش الثاني الصديق نحو الجنوب على الطريق رقم ـ١ لم يكن ليتم بهذه البساطة. فالعدو حاول مراراً سدّ الطريق امامنا، وأخذ يقصف من الجو ومن البحر ارتال قواتنا. كما حاول اسقاط مجموعة من المخربين في مؤخرة قوات فيلق الجيش الثاني وفي قضاء توي فونغ، الى الشمال من فان تهيت. إلّا ان هذه المحاولة باءت بالفشل: واستطاع جنودنا اصطياد مجموعة التخريب التي يصل قوامها حتى سريّة، خلال ساعتين. وفي هذا الوقت استطاع جنود المدفعية والـ م/ط الذين اخذوا تراتيب القتال على الطريق مباشرة، ان يتصدّوا لضربات الطائرات والسفن الحربية المعادية. كما ان فيلق الجيش الثاني طوّر النجاح مع قوات المنطقة العسكرية الثالثة واستولى من الحركة على فان تهيت، ثم حرر هام تان.

بعد ظهيرة الثاني من نيسان عام ١٩٧٥، ذهبنا من تاين غوين الى نـامبو الشرقية. وقبل ذلك عرّجت على الفرقة٣١٦ وعقدت اجتماعاً مع قيادتها. في ذلك اليوم كان قائد الفرقة ـ بطل القوات المسلحة ـ العقيد دام فان ينغوي موجوداً في قطعات الفرقة. اما االمفوض السياسي للفرقة العقيد هاكوك توان، ونائب قائد الفرقة العقيد هاي بانغ فقد ابلغاني بالجاهزية الكاملة للفرقة واستعدادها لتنفيذ المهام الجديدة في نامبو. وكانت هذه الفرقة اول تشكيل يتوجه الى هناك من بين تشكيلات تجميع قوات تاين غوين. وقد رافقتها في الطريق مجموعة صغيرة من الضباط المسؤولين الذين ارسلوا من اركان فيلق الجيش الثالث. وبعد الاستماع الى مذكرات واقوال الرفاق من قيادة الفرقة تحدثت الى مقاتليها وتفقدت اسلحتهم. وبنتيجة ذلك كنت راضياً كل الرضى لان الفرقة كانت قوية بالفعل وتضم مقاتلين اشداء. كما انني اصدرت اوامري بانهاء التحضيرات الاخيرة للتحرك. ان بعض الرفاق في هذه الفرقة اعربوا ـ قبل عملية تاين غوين ـ عن شكوكهم في امكانية تشكيلهم لاحتلال المدن الكبرى وفي

شروط طبيعية خاصة، وبشكل خاص خوض المعركة بالتعاون مع الكثير من صنوف القوات الحديثة. غير ان الحقيقة اظهرت ان الفرقة استطاعت تنفيذ المهمة بنجاح كبير. ففي المعارك الضارية ازدادت قوّتها صلابة، وها هي اليوم، وقبل ان تتوجه الى نامبو، تمتلك كافة انواع الاسلحة الضرورية، كما ان رجالها متعطشون للقتال وتحقيق الانتصارات وسحق العدو وعملائه بالكامل لاحراز النصر النهائي.

كان يجب على الفرقة٣١٦ التحرك من بون ميت هوت على الطريق رقم ـ١٤ والوصول الى المنطقة المحيطة بسايغون من جهة الشمال الغربي. وقد تحركت في اعقاب الفرقة٣١٦ الفرقة ٣٢٠ بقيادة العقيد كيم توان، والعقيد بوي هوي بونغ (المفوض السياسي للفرقة). وبعد تحرير مدينة توي هوا ومقاطعة فوين بكاملها تلقت هذه الفرقة أمراً بالعودة الى تاين غوين على الطريق رقم ـ٧، ومن هناك تتوجه الى نامبو الشرقية على الطريق رقم ـ١٤.

اما بشأن الفرقة العاشرة التي يقودها العقيد هو دي ـ ومفوضها السياسي العقيد لي نفوك تياو ـ فإن طريقها الى نامبو كانت في غاية الصعوبة. فبعد تطهير الممرين الجبليين فيونغ هوانغ، وميدراك من قوات العدو، والاشتراك في تحرير نياشانغ وكامران تحركت هذه الفرقة نحو الضواحي الشمالية الغربية لسايغون على الطريق رقم ـ٢ في بداية الامر، ثم على الطريق رقم ـ٢٠

لم تكن حالة الطرقات مرضية، فأُرسلت مفارز النقابين الى الامام من اجل ترميم العديد من القطاعات غير السالكة، ولاقامة الجسور المؤقتة وفي هذا الوقت بالذات اكتشف العدو تحركات الفرقة وحاول قصفها من الجو ومن البحر. ولذلك اضطر مقاتلو الفرقة لتمشيط الطريق والاشتباك مع العدو.

كان الرفيق دين ديك تهين في هذا الوقت منشغلا طيلة الوقت بتنظيم امداد قوات فيلق الجيش الثالث، وبصورة خاصة تحضير المؤخرة واعدادها للموقعة الفاصلة القادمة. كان ينتقل من مستودع الى آخر وهو يرتدي بزّته السوداء الواسعة، التي يرتديها الرجال عادة في فيتنام الجنوبية. وذات مرة شاهد رئيس مصلحة الامداد سائقين منشغلين في اصلاح سيارتيهما عند طرف الغابة الواقعة بالقرب من ديك لاب، فاقترب منهما قائلا:

ـ من اي قطعة أنتما أيها الرفيقان، ولماذا ترتديان هـذه الثياب المهلهلة؟ وهل يليق بالمنتصرين ان يظهروا بهذا المظهر؟

فجاءه الرد التالي:

ـعفـواً يا سيدي الرئيس، اننا اسرى حرب.

في هذا الوقت اصبحت قواتنا تستفيد من السائقين الذين كانوا يعملون في الجيش العميل، وذلك لاصلاح الآليات المغنومة، كما ان مقاتلينا درسوا بدورهم، ومن الحركة، الاسلحة الاميركية الحديثة ومختلف انواع العتاد القتالي، وتعلموا كيفية التعامل معها.

وقد ظهرت في ارتال المسير العربـات، المدرعة البرمائية من طراز «م ـ١١٣» والدبابات من طراز «م ـ٤٨، وم ـ٤١»، والمدافع من عيارات ١٠٥مم و١٥٥مم، والاجهزة اللاسلكية ذات الوظيفة التكتيكية من طـراز «ب ر س ـ٢٥» الاميركيـة الصنع. كما ان طيارينا تدربوا على استخدام المقاتلات القاذفة الاميريكية من طراز «آ ـ٣٧ وف ـ٥». اي انه لم تكن هناك صعوبات تذكر في مجال استخدام اسلحة العدو المغنومة في تلك الفترة. ولم يؤدِّ ذلك الى تعاظم القوة النارية لقواتنا فحسب، بل ساعدنا ذلك ايضاً على زيادة وتائر الهجوم يوماً بعد يوم.

بعد الانتصار الذي تحقّق في تاين غوين، تغيّرت المحاور المؤدية الى نامبو الشرقية. فأصبح بالامكان التحرك على الـطريق رقم ـ١٤ عبر بـون ميت هوت ـ وديك لاب ـ بوب رانغ ـ بوزاماب وحتى لوك نين. كما ان القطاع الواقع بين بوب رانغ وبوزاماب، الذي اطلق عليه اسم الطريق رقم ـ١٤أ، كان في حالة جيدة ومرضية، ويمكن التحرك عليه بكافة انواع الآليات. وبعد تحرير مدينة زانغي ومقاطعة كوانغ ديك بكاملها استطاعت الآليات التوجه من دون لوان والوصول حتى كونت هان التي تمر فيها الطريق رقم ـ ١٣. واصبحت السيارات الخفيفة تستطيع قطع الـطريق بين بون ميت هوت ولوك نين بيوم واحد.

خلال السنوات الاولى من الحرب ضد المستعمرين الاميركيين كان من الخطر الكبير التحرك عبر هذه المناطق. لأن مقاتلينا كانوا يتعرضون في كل يوم وفي كل ساعة لنيـران مدفعيـة العدو وقنـابله التي تُلقى من الـطائـرات ب ـ٥٢، التي تقصف

بالمساحات، او انهم كانوا يقعون في حقول الالغام التي ينصبها لهم المخرّبون. وبالاضافة الى ذلك كان من غير الممكن تقريباً الحصول حتى على مياه الشرب في تلك الاماكن، التي كانت تغطيها سحب كثيفة من بعوض الملاريا، الذي يصيب السكان والعسكريين بالحمى الاستوائية. وكانت تحيط بالطرقات التي كنّا نتحرك عليها ادغال كثيفة من الخيزران والقصب البرّي، وتنتثر هنا وهناك وبالقرب من تحصينات العدو المخربة بقايا حطام الآليات والمدافع، واكوام الاسلاك الشائكة. فعادت بنا الذكرى الى تلك الاشتباكات الحامية في اعوام: ١٩٦٥ و١٩٦٨ و١٩٧٠، التي كان جيشنا يحبط خلالها عمليات القوات الاميركية والقوات العميلة الواحدة تلو الاخرى.

فوق الهضاب والمروج التي تغمرها اشعة الشمس اصبحنا نرى الروابي والسهول المكسوة بالحشائش الخضراء، والتي يغفو عليها رفاقنا في السلاح الذين سقطوا فوقها شهداء أبرارا ليسقوا هذه الحشائش اليانعة بدمائهم الزكية. فكم من الضباط والجنود الابطال الذين استشهدوا في هذه البراري البعيدة والقاسية، لكي تستطيع فرقتنا هذا اليوم التحرك والزحف على طريق عريضة ومطهرة من منع وكمائن العدو، ومؤدية الى نامبو مباشرة، والى الملحمة الفاصلة الاخيرة. إن مآثر رفاقنا وحالة روحهم المعنوية العالية هي المثل الأعلى لجميع مقاتلينا، الذين قطعوا العهد على انفسهم، ان يكونوا في الملحمة القادمة خير خلف لخير سلف.

عبرنا تلك الاراضي الجميلة التي تنتشر فيها الروابي والمروج الخضراء والتلال الزاهية التي تُلبسها اشعة الشمس حلة ذهبية. وبهذه الاثناء كنّا نمتع انفسنا بجمال الطبيعة، والسكون الذي يدغدغ احلامنا منذ زمن طويل.

وكانت النباتات الخضراء الجميلة هي خير مكان للتوقّفات والاستراحات القصيرة. وخاصة النباتات والحشائش العالية المزهرة. فالدبابات والقاطرات والشاحنات كانت تستتر بشكل مضمون تحت اغصان تلك الشجيرات وبين الحشائش العالية. اما المطابخ الميدانية فكانت تتوضّع على ضفاف الجداول والانهار الصغيرة في الغابات. والجدير بالذكر ان الطاهي هوانغ كان اخترع العديد من تلك المطابخ الميدانية ذات المواقد عديمة الدخان.

ومن اجل تسيير ارتال الآليات ومراقبة تمويه العتاد القتالي، أُقيمت على الطرقات

نقاط تفتيش ومراقبة. كما ان هذه النقاط انذرت القوات بالغارات الجوية للعدو. وعلى مفترقات الطرق ونقاط التقاطع في نامبو الشرقية كنّا نشاهد في تلك الايام غابة كاملة من الشواخص والمؤشرات ذات الاشكال والابعاد والكتابات والألـوان المختلفة، والعائدة لقطعات ومصالح عسكرية مختلفة. اما الغريب فمن الصعب عليه جداً التعرف على هذه الشواخص وعلى مدلولاتها والغاية منها.

وفي هذا المشهد العظيم الذي تكثر فيه كافة انواع الاسلحة والاعتدة القتالية الزاحفة نحو نامبو، تذكّرت عمليات التسلل التي كنّا نقوم بها لدخول مناطق دلتا نهر كراسنايا خلال سنوات الحرب ضد الفرنسيين. ففي تلك الفترة كان مقاتلو «فرقة السهول» الذين يرتدون قمصان الفلاحين الرمادية والقبعات المصنوعة من سعف النخيل والقصب البرّي، يحاولون التسلل الى مواقع العدو مستخدمين العصيّ المجوّفة التي يستخدمونها لعبور المستنقعات تحت الماء. وذات مرّة شاهدت هؤلاء المقاتلين في عملية التسلل عبر حقول الأرز التابعة لقرى مقاطعتي هانام ونين بين، وتذكرت كيف عبرنا تلك المستنقعات والحقول المغمورة بالمياه بواسطة قضبان الخيزران وعوامات النخيل والقصب البريّ. ودخلنا حقول أرز تهاي بين ونام دين التي كان يحرسها افراد من الشرطة ـ خونة الوطن. وحتى هذه الساعة لا زلت اذكر الضوء الكشّاف والشهب المضيئة التي كان يطلقها العدو فوق رؤوسنا، والاصوات الخافتة لامواج بحر واسع من حقول الأرز، وأزيز رشقات الرشاشات المفاجئة، وظهور اشباح دوريات العدو فجأة في ذلك الليل الحالك. وعند بزوع الفجر خبّأنا تجهيزاتنا تحت الماء وتوزّعنا على شكل مجموعات صغيرة ودخلنا القرى والمزارع الصغيرة التي كنّا نعلم ان سكانها يؤيدون حركة المقاومة. وهناك كانت تقدّم لنا النسوة الطعام، ويقوم الفدائيون بتشكيل الدوريات للمحافظة على سلامتنا حتى حلول المساء حيث نتوجه من جديد نحو هدف آخر.

منذ ثلاثين عاماً وشعبنا يشارك ويؤيد المسيرة الكبرى لابنائه وبناته من اجل حرية واستقلال الوطن. ولم تتوقف هذه المسيرة يوماً واحداً ـ من الشمال الى الجنوب، ومن الجنوب الى الشمال. فمقاتلونا كانوا يجوبون ارجاء الوطن ليصطادوا العدو حيثما كان، وحيثما كان الوطن بحاجة اليهم. والآن حلّ ربيع عام ١٩٧٥ ليشهد ذلك السيل العرمرم من الآليات العسكرية التي تأخذ طريقها نحو جبهة سايغون. وفي

القرى ومحطات القطارات وارصفة الموانىء والخنادق لا تستطيع ان تفرّق بين الجنوبي والشمالي. ففي كل مكان مواطنون فيتناميون فقط زحفوا لخوض المعركة الاخيرة ضد الامبريالية الاميركية وعملائها، ومن اجل استقلال وحريّة ووحدة الوطن. ان البلاد بأسرها في مسير زاحف كبير... ان البلاد بأسرها تشن الهجوم الآن على العدو الغاصب.

ان ربيع الطبيعة، وربيع الحياة لامّتنا التقيا في هذه الايام التاريخية - ايام نيسان عام ١٩٧٥.



التحضير لعملية هوشي منه

في ظهيرة الثالث من نيسان وعلى بعد خمسين كيلومتراً الى الشمال من بوزاماب استقبلنا نائب رئيس ادارة المؤخرة في نامبو العقيد ماي ڤان فوك (تي فوك). وقفنا فوق قمة جبل تغطيه شجيرات الصنوبر. وعلى الأرض كانت لا تزال آثار معارك عام ١٩٧٠ الحامية، عندما قامت القوات الاميركية بعملية غادرة «عملية الممر عبر الحدود»[1]. صافحنا بعضنا البعض بحرارة، حتى اننا لم نستطع التكلّم من شدّة الانفعال والعواطف الجيّاشة، فانفردت عيوننا بالتعبير عن السعادة والفرح. وكان من السهل فهم هذه السعادة. لأننا نتواجد الآن ولأول مرة فوق اراضي نامبو العريقة والبطلة، تلك القلعة البرونزية التي لا تقهر. انها الأرض التي يكنّ لها هوشي منه الحب والتقدير في صميم قلبه. ولذلك فإنه يدعو الآن الحزب والجيش والشعب للتضحية والفداء في سبيل تحرير هذه الأرض العزيزة. من قمة ذلك الجبل كنّا نرى منظراً طبيعياً خلاباً من مناظر نامبو. ان تلك السفوح والجبال والحقول والانهار في الجنوب الذي عانى القهر والاستبداد، تنتفض الآن بشعبها وجيشها لدخول المعركة من

١- اشارة الى دخول القوات الاميركية والسايغونية الى كمبوديا (كمبوشيا) في شهر نيسان من عام ١٩٧٠ (ملاحظة الناشر).

اجل تحرير الوطن. والآن وبعدعشرات السنين من النضال المرير الذي لم يحن هامات هذه الجبال امام الغزاة، تقدّم هذه المنطقة المثل الأعلى في التضحية وفي الهجوم الثوري المتواصل والاصرار على انتزاع النصر. لقد طُلب الينا اخذ قسط من الراحة في احدى قواعد إمداد نامبو. نقلتنا السيارة عبر طريق ضيقة ومموهة بصورة جيدة، الى قرية صغيرة مؤلفة من منازل خشبية بسيطة. وحول المنازل تمتّد مساحات واسعة من حقول الخضار والفواكه، وفي الطرف الآخر كانت تنتشر قطعان الماشية العائدة لابناء القرية. وكانت تمتد من تلك المنازل خنادق عميقة تصل الى ملاجىء ومخابىء يقف حولها الحراس. كل شيء كان بسيطا هناك لأن كل العسكريين والسكان المحليين كانوا يعلمون ان تواجد هذه القوات هنا مسألة مؤقتة، وهذا الامر كان طبيعياً بالنسبة لكافة مصالح وقطعات نامبو الشرقية - منطقة الفدائيين الاولى في فيتنام الجنوبية - التي عانت الكثير من تلك الحرب.

في المساء ذهبنا إلى مقر قيادة القوات المسلحة في نامبو. وكانت الطريق تمر عبر غابات اشجار الكاوشوك، التي احرقتها القنابل في بعض الاماكن، وطُعِّمت بغرس اشجار النخيل الصغيرة.

وأخيراً لاحت علينا من بعيد لوك نين. وعند دخولها تبينّ لنا ان فيها بعض آثار التخريب والدمار حتى بعد مرور ثلاث سنوات من تحريرها. غير ان ضواحي المدينة كانت قد تغيّرت وتطوّرت بشكل ملحوظ: فالطرقات اصبحت اكثر اتساعاً، وعلى جوانبها أُقيمت المساكن الحديثة، التي تحيط بها المزارع والحقول الخضراء. وكنّا نشاهد العمال وهم يقطعون الاشجار الغريبة من غابات الكاوتشوك ويجمعون سائل الكاوتشوك. ان مدينة لوك نين التي حررت في عام ١٩٧٢ تعتبر مع مقاطعة فيوك لونغ رأس جسر واسع ومناسب لشن الهجوم القادم على سايغون.

كانت تتحرّك باتجاهنا في شوارع المدينة ارتال من السيارات التي تنقل الجنود الذاهبين الى الخطوط الامامية وقد علت وجوههم الابتسامات العريضة. وعند تقاطعات الطرق اقيمت نقاط المراقبة والتفتيش التي يعمل فيها الفدائيون، الذين يفتشون جميع الآليات التي تتجه الى المناطق المحررة. لقد حيّيت بحرارة اولئك الفتيان والفتيات، الذين تحدثت الصحف ووسائل الاعلام مآثرهم وبطولاتهم خلال المواقع والمعارك الدامية التي خاضوها ضد العدو.

ان بيزاج لوك نين منطقة سهلية واسعة تكثر فيها غابات اشجار الكاوتشوك،

وبساتين الاشجار المثمرة، والتلال ذات التربة الحمراء. وقد ذكّرتني مناظرها الطبيعية بمقطع من القصيدة الشعرية «أقاصي الوطن» الشاعر توهيو:

يا أرض بين لونغ العزيزة، يا موطني نامبو
ها أنا ذا الآن اعود اليك
وفي يدي حفنة من تربتك الحمراء
واشعر بقلبي ينقبض ويخفق
وكأنني اتناول جرعة من الخمر المعتق
ايها الجندي الظريف... يا جندي التحرير
عندما اعانقك اجد فيك قمة المجد والخلود
وأثق بأنك القوي الذي سيصل حتى رأس كاماو.

في مساء الثالث من نيسان، وصلنا الى مقر قيادة القوات المسلحة في نامبو، والذي يقع الى الغرب من لوك نين. وفور وصولنا الى هناك توجّه ديك دين تهين الذي كان برفقتنا الى قيادة المؤخرة.

كان معظم اعضاء مكتب اللجنة المركزية للحزب في فيتنام الجنوبية موجودين في اماكن عملهم. وعندما علمت بأن سكرتير المكتب الرفيق فام هونغ يقطن في المنزل المجاور توجّهت اليه على الفور. وعندما اقتربت من المنزل شاهدته جالساً وراء الطاولة وقد ارتدى قميصاً بسيطاً وبدون اكمام. كان يجلس في غرفة صغيرة ذات مصباح مُموّه، ونوافذ مغطاة بالكلل لمنع دخول البعوض اليها. وعندما شاهدني نهض واقفاً. واندفع نحوي مسلّماً عليّ بحرارة وهو يقول: «لقد انتظرناك بفارغ الصبر». صافحنا بعضنا البعض بحرارة وشدّ كل منا على يد الآخر بعد عناق اخوي صادق. كان من الصعب وصف تلك اللحظات السعيدة، عندما حدثت فام هونغ عن انتصاراتنا الرائعة، والتي بفضلها استطعت الوصول الى هنا ـ الى نامبو، وقبل الموعد الذي حدد لنا في هانوي. لقد عبّرت عن ثقتي بأن سايغون ستحرر وفقاً لخطة المكتب السياسي. ثم تحدثت بإيجاز عن انجازاتنا العسكرية في تاين غوين وفي الشريط الساحلي السهلي قرب شونغ بو، وعن نقل قواعد قواتنا النظامية الى الجنوب. وفي نهاية الحديث اتفقنا على خطة العمل في الايام التالية، وحتى وصول الرفيق لي ديك تهو.

كانت القيادة قد اعدّت مسبقاً احد الابنية كمقر للعمل ولاقامة مجموعتنا

«آ ـ٧٥». وسرعان ما أُنشئت المنازل الخشبية المجهّزة بأوراق القصب والنخيل وجهّزت الملاجىء الاضافية ونصبت الخيام للرفاق الذين يتوقع وصولهم بعد حين. وعند حلول الظلام كان كل شيء في الغابة اكثر يقظة وحذراً. وفي سكون الليل كان يسمع ضجيج محركات محطة توليد الكهرباء واصوات محركات الآليات القادمة والذاهبة، وانغام الموسيقى من اجهزة الراديو الصغيرة «ترانزيستور». وهكذا تحوّلت الغابة الى بحر حذر يعج بالحياة، ولذلك فإنني لا استطيع ان انسى تلك الليلة الاولى التي قضيتها على ارض نامبو الشرقية.

عاد الفريق شان ڤان شا ليلاً من جولته التفقدية في فيلق الجيش الرابع الذي كان يستعد للهجوم على سوان لوك. وعند الفجر التقيت به؛ اذ زارني في مقر عملي. واخذنا نتبادل العبارات الحماسية، والآراء حول الوضع السائد في الجبهات. وفي الختام تبادلنا الرأي حول تنظيم العمل المشترك للمجموعة «آ ـ٧٥» واركان القوات المسلحة في نامبو. وفي صباح الرابع من نيسان أُقيم الاتصال مع هانوي. ويعود الفضل الكبير في ذلك الى كتيبة الاشارة التي وصلت منذ وقت قصير من تاين غوين، والتي اخذت تعمل بالتعاون مع عمّال الاشارة المحليين. ان هذه الكتيبة التي شكّلت في بداية عام ١٩٧٥ تلقّت مهمة للتحرك الى تاين غوين. وهناك عملت، طيلة مدة العملية، على تأمين الاتصال الدائم بين ممثلينا وهانوي. وبعد ان نفّذت مهمتها على اكمل وجه نقلت هذه الكتيبة الى نامبو حيث طلب اليها التعاون مع وحدات الاشارة المحلية لتأمين الاتصال المضمون في الموقعة الحاسمة الاخيرة. والجدير بالذكر ان عمل جنود الاشارة لم يكن سهلاً على الاطلاق. ولا يجوز لنا إلّا ان نكنّ لهم كل الاحترام. وعندما أتى نائب قائد قوات الاشارة العقيد هوانغ نين، لم يتمكن من ان يسلّم علي بسبب انشغاله في العمل طيلة الوقت، فهو تارة يشارك في اصلاح الاجهزة، وتارة يقوم شخصياً بتدريب عمال الاشارة الأغرار.

وتحاشياً لوقوع المزيد من الاصابات اثناء الغارات الجوية المعادية فقد انتشرت على مساحات واسعة، جميع المراكز والمصالح التابعة مباشرة لقيادة القوات المسلحة في نامبو. وكان الاتصال بين هذه العناصر والمصالح يتم بواسطة دراجات نارية خاصة[1]، نقلنا عليها سائقون اختصاصيون الى المؤسسات والاماكن المطلوبة. لقد

١ـ تستخدم كدراجة نارية وكمحرّك للتغذية والانارة ـ «موبيد».

تعرّفنا على وسائط النقل هذه في تاين غوين من قبل، عندما ارسلت الينا القيادة «ب ـ٢» (الاسم الحركي لمنطقة نامبو والمنطقة العسكرية الخامسة) مفرزة خاصة من هؤلاء السائقين. والآن عادت هذه المفرزة الى نامبو الشرقية. واذكر جيداً كيف أن هؤلاء السائقين رافقوا مجموعتنا في اثناء الانتقال من تاين غوين. كان هؤلاء يتجاوزوننا بسرعة بكوفيّاتهم المربعة الشكل وبنادقهم الآلية المعلّقة بأكتافهم، لكي يتبادلوا المعلومات مع سائقي الآليات المتحرّكة في الامام، واحيانا كانوا يعودون ادراجهم الى الوراء ليقدموا المساعدة الى المتخلفين عن الركب. وعندما كان يعمل الاتصال اللاسلكي ليلاً، كان سائقوا هذه الوسائط يسرعون عبر الممرات والمطبات الترابية الضيقة والمتعرجة لايصال نصوص البرقيات اللاسلكية الى المحطات اللاسلكية المتحركة. وخلال ذلك كان هؤلاء السائقون يقطعون مسافات طويلة لأن تلك المحطات كانت على الدوام موجودة على بعد كبير عن مكان وجود الأركان، حتى لا يستطيع طيران واستطلاع العدو اكتشافنا عن طريق استخدام وسائطه الفنية اللاسلكية.

ان اعضاء مكتب اللجنة المركزية للحزب واللجنة العسكرية التابعة له في فيتنام الجنوبية، الذين عملوا لمدة طويلة في نامبو، واستوعبوا الموقف هنا بشكل جيد، قدّموا الينا المساعدات في فهم الوضع بسرعة على كافة جبهات نامبو، وخاصة في منطقة سايغون ـ زادين. وخلال بضعة ايام استمعنا الى تقارير ضباط من اركان القوات المسلحة في نامبو، وفي السابع من نيسان عقدنا اجتماعاً مع اعضاء هذا المكتب ولجنته العسكرية في اركان نامبو. في ذلك الاجتماع رحّبنا بالرفاق فام هونغ، نغوين فان لين (ميووي كوك)، شان نام شونغ، شان فان شا، فان ڤان دانغ (هاي فان)، ڤو فان كيت (شاو زان)، نغوين ڤان سو (هاي سو)، وكذلك نائب قائد القوات المسلحة في نامبو ورئيس اركانه اللواء لي ديك آن، ونائب المفوض السياسي العميد لي فان تيونغ (هاي لي)، ونائب القائد العميد دونغ ڤان كونغ، والعميد لي نفوك كين، والعقيد ليونغ ڤان نو، وبعدد من ضباط الاركان الآخرين وضباط الادارة السياسية وقيادة المؤخرة. كما ان اللواء دين ديك تهين حضر الاجتماع ايضاً.

كان سكرتير مكتب فيتنام الجنوبية للحزب فام هونغ ورفاقه ظرفاء المعشر، وممتلئين حيوية ونشاطا، ومتفائلين، وواثقين كل الثقة بالنصر. وفي القاعة التي عقد

فيها الاجتماع ساد جو من عدم التكلف والبساطة، والمرح والضحك ايضاً. لقد حلّلنا الوضع في نامبو بدقّة، وخاصة في سايغون، وبعد هزيمة العدو في منطقتي الفيلقين الاول والثاني. ودرس المجتمعون قرار المكتب السياسي واللجنة العسكرية الحزبية، كما ناقشوا التدابير الكفيلة بتصعيد نشاطاتنا العسكرية والسياسية لاحراز انتصارات جديدة، ولخلق الظروف اللازمة لتحرير سايغون ودلتا نهر الميكونغ بكاملها خلال الهجوم الشامل الذي سيشنّه الجيش مع انتفاضة الجماهير الشعبية. وعندما كان يدور الحديث حول امداد قواتنا كان الرفيق فام هونغ يهتم بأعمال نقل الذخائر بوجه خاص. ويقدّم دين ديك تهين على الفور المعلومات عن انواع الذخائر المستلمة او المسلّمة، ثم يختتم حديثه:

ـ اذكركم ايها الرفاق، بأن الذخائر كافية لدينا بحيث يمكننا ان نُطعم العدو منها مدى الحياة.

في الايام الاخيرة، كان فام هونغ يردّد على الدوام كلمات دين ديك تهين، في كل مرّة يصدر فيها توجيهاته او تعليماته، ومن هذه الكلمات التي كان يردّدها: يجب ان نقدم الى العدو ما يُطعمه طوال حياته. وهذه الكلمات كانت تثير عاصفة من الضحك لدى الحاضرين.

عقد مكتب الحزب واللجنة العسكرية التابعة له اجتماعاً في اللحظة التي كانت تشهد تغييرات عاصفة ومرضية في جميع انحاء الجنوب. ففي كل يوم كانت ترد انباء جديدة عن النجاحات العسكرية في مقاطعات واقضية المنطقتين العسكريتين التاسعة والثامنة. كما وردت معلومات من شائين تفيد بأنه شكّلت خمس كتائب من القوات المحلية بدلاً من الكتيبتين السابقتين في تلك المقاطعة. وفي مقاطعة راتوز ارسلت قرية واحدة حوالي مائتي متطوّع للانضمام الى كتيبة القوات المحلية، في حين ان كل قرية كانت تشكّل سرية من الفدائيين ايضاً. وافادت الانباء ايضاً بأن التشكيلات المحلية في المنطقة العسكرية التاسعة استولت على نقاط استناد العدو المحصّنة في كايڤون وتي غاو كما اتسع نطاق الاراضي المحررة في مقاطعة لون غان.

في مساء السابع من نيسان وفي اثناء انعقاد اجتماعنا، وصل الى مدخل البناء رجل نحيل الجسم يرتدي قميصاً ازرق وسروالا بلون خاكيّ، وعلى رأسه قبعة عسكرية. عندما علمنا بقدوم الرفيق لي ديك تهو نهض الجميع بكل سرور وترحاب،

واسرعنا نحو الباب لاستقباله. عانقنا بعضنا البعض بغبطة وارتياح. وكانت هذه هي المرة الثالثة التي يزور فيها لي ديك تهو جنوب البلاد منذ ثلاثين عاماً من المقاومة المقاومة ضد الفرنسيين، والمقاومة ضد الاميركيين). وفي الماضي، عندما كان يزور الجنوب، كان يأتي سيراً على الاقدام وعبر الغابات والادغال الموحشة. اما في هذه المرة فقد استقل طائرة في البداية، ثم السيارة، ثم الدراجة النارية الخاصة، وبعد ان استراح من عناء السفر اخذ يحدثنا عن شؤون الساعة في البلاد، وعن الاخبار والتعليقات التي تنشرها وسائل الاعلام الاجنبية حول انتصاراتنا، والموقف في مؤخرتنا - اي فيتنام الشمالية الاشتراكية، وعن رحلته هو بالذات الى الجنوب. فقد قال بأنه تلقى قبل سفره الى هنا تهديدا من المكتب السياسي والرئيس تون ديك تهانغ جاء فيه: «لا تعودوا الينا إلا بالنصر».

وفي الثامن من نيسان عقد اجتماع مشترك لمكتب اللجنة المركزية للحزب واللجنة العسكرية في فيتنام الجنوبية مع القيادة ب - ٢ بحضور ممثّل القيادة العامة الرفيق لي ديك تهو، واثناء هذا الاجتماع تم استعراض مقررات المكتب السياسي الصادرة في الخامس والعشرين من آذار. وابلغنا ممثّل القيادة العامة عن تلك الاستنتاجات التي توصّل اليها المكتب السياسي بنتيجة الدراسة الشاملة لتوزيع القوى على الجبهات، وتحليل الموقف الاميركي وردود الفعل السايغونية بعد الهزائم الاخيرة التي لحقت بالعدو، كما انه علّل لنا حتمية سقوط النظام المأجور نهائياً. وفي نهاية حديثه توقف الرفيق لي ديك تهو بالتفصيل عند النقطة المتعلقة بعزم المكتب السياسي على تنفيذ الخطة الاستراتيجية لتحرير فيتنام الجنوبية، واشار الى المبادىء الاساسية التي يجب التمسّك بها لتطبيق هذه الخطة. بعد ذلك صوّت الرفيق لي ديك تهو الى جانب قرار المكتب السياسي حول قوام القيادة في العملية المقررة لتحرير سايغون - زادين. وقد ضمت هذه القيادة الرفاق: ڤان تين زونغ (قائداً)، فام هونغ (مفوضاً سياسياً) شان ڤان شا ولي ديك آن (نائبين للقائد). وفي الوقت نفسه كان لي ديك آن يقود القوات العاملة على الاتجاه الجنوبي الغربي، ومجموعة القوات ٢٣٢ احياناً. كما ان الرفيق شونغ تان - قائد قوات الاتجاه الشرقي - عينّ هو ايضاً نائباً للقائد. واصبح دين ديك تهين نائباً للقائد للشؤون الادارية. ومن بين واجباته ايضاً تقديم المساعدات الضرورية الى قيادة مؤخرة القوات المسلحة في نامبو، والتي يترأسها العميد بوي فونغ. كما ان اللواء

لي كوانغ هوا الذي كان يتولى منصب سكرتير اللجنة الحزبية لقوات الاتجاه الشرقي، نقل الى منصب نائب المفوض السياسي ورئيس الفرع السياسي لقيادة القوات في العمليةْ القادمة. وتولىّ الرفيق لي نفوك هين واجبات رئيس الاركان، كما ترأس مباشرة فرع العمليات.

لقد استخدمت قيادة قوات عملية سايغون المقرات القيادية، والسياسية والادارية للقوات المسلحة في الجنوب. وقد انضم الى قوام هذه المقرات والعناصر قائد المدفعية العميد زوَان توي، وقائد القوات الخاصة العقيد نغوين تي ديم، ونائب مدير ادارة الاستطلاع العقيد لي كوانغ ڤو، ونائب رئيس هيئة التدريب العقيد شيونغ دين ماو، ونائب مدير ادارة القوات المدرعة العقيد لي سوان كين وغيرهم ممن قدموا مع المجموعة (آ ـ٧٥) من تاين غوين، او ممن ارسلتهم الاركان العامة لهذه الغاية. واصل مكتب اللجنة المركزية للحزب في فيتنام الجنوبية، ولجنته العسكرية، وقيادة القوات المسلحة في الجنوب، القيام بالمهام السابقة، ما عدا بعض الرفاق الذين كلّفوا بالاشتراك في قيادة عملية سايغون.

وهكذا نجد ان المكتب السياسي للجنة المركزية لحزبنا ارسل ثلاثة من اعضائه للاشراف على العملية الاستراتيجية الاخيرة لتحرير سايغون، وكلّف هؤلاء بالعمل تحت اشرافه مباشرة.

خلال شهر نيسان كان المكتب السياسي واللجنة العسكرية التابعان للجنة المركزية للحزب يشاركاننا بمراقبة وتتبع تحركات قواتنا في كل يوم وفي كل ساعة، مع الاشارة الى المسافات والابعاد التي تفصل بين الفرق، وارتال الآليات، وافواج المدفعية، والكتائب المضادة للطائرات، وبعْدها عن الاماكن المخصصة لها. وعند الصباح، واثناء تبديل المناوبين كان يتم استيضاح اماكن وجود بعض الفرق، وعدد الآليات المتوفرة لدى هذه الفرق، ومحاور تحرّك كل فوج، وعدد المدافع التي في حوزة كل قطعة، كما طرحت الاسئلة الكثيرة للحصول على المعلومات عن عدد القذائف المنقولة لمدافع الميدان من عيار ١٣٠ مم، ومدافع الدبابات من عيار ١٠٠مم.

اقيمت على جميع الطرقات مفارز خاصة لتنظيم الحركة، ولمراقبة تنفيذ خطة التحرك، ولتحديد الطريق المؤدية الى المستودعات، وتوجيه مفارز المتطوعين نحو الاماكن المحددة لهم.

وانهمرت على غابات لوك نين الامطار الاستوائية الاولى، مما زاد من قلقنا. وقد عبّر الرفيق لي ديك تهو بحق عن شعورنا وقلقنا في هذه الابيات التالية:

ها هي الطيور تحلّق خوفاً وفزعا
وينبلج الفجر فوق غابات لوك نين
غير ان عيوننا لم تذق طعم النوم طوال الليل
اما قطرات المطر فكانت تخرق سكون الظلام
في حين اننا نزداد قلقاً على مصير جنودنا
وتقلقنا الأوحال المتراكمة على الطرقات الطويلة
التي ستتناثر فوقها الدبابات والمدافع
وتتباطأ في سيرها القوات
التي تنتظرها الجبهة ساعة بعد ساعة
ارجوك ان تتوقف ايها المطر
كي تجف الطرقات والمسالك
كي تسير وتزحف الآليات الى غاياتها
قريباً ستدوي الانفجارات ويلعلع الرصاص
انها الموقعة التاريخية الاخيرة.

كنّا اكثر قلقاً وخوفاً على الفرقة العاشرة بوجه خاص، لأنها كانت حتى هذا الوقت لا تزال في منطقة كامران. والطريق التي تفصلها عن نامبو الشرقية كانت طويلة وغير مطهّرة من العدو. وأخذنا نفكّر ونتساءل ما اذا كانت ستستطيع الوصول الى غايتها في الوقت المحدد. وارسلنا برقية لاسلكية مستعجلة الى الرفيق هوانغ مين تهاو نطلب فيها ارسال قوات من المنطقة العسكرية الخامسة الى كامران على عجل لاستبدال الفرقة العاشرة، وطلبنا من قيادة هذه الفرقة الابلاغ ثلاث مرات في اليوم عن حالة الموقف لديها، وبياني مسير قطعاتها للأيام الجارية والتالية، وعن تنظيم الحركة، وكل ما يجري اثناء المسير. كما اصدرنا توجيهاتنا الى الرفيق دونغ شي نغوين لارسال اعداد اضافية من السيارات اذا لزم الأمر للاسراع في نقل الفرقة العاشرة الى المكان المحدد لها. وفي حال وجود نقص في وسائل النقل، اقترحنا عليه التوجه الى قيادة المنطقة العسكرية الخامسة.

الوقت يمضي بدون توقّف. والمكتب السياسي يطالبنا بإنهاء التحضيرات بأسرع

ما يمكن للبدء بشن الهجوم على سايغون. غير انه نظراً لعدم التمكّن من تشكيل التجميع القوي من القوى والوسائط حتى هذا التاريخ، ونظراً لأن بعض تشكيلات وقطعات القوات النظامية لا تزال في حالة المسير فإن المكتب السياسي حدّد المهلة اللازمة لتحضير العملية. إلّا انه حدّد لنا هذه المرة لحظة بدء الهجوم العام على سايغون ـ خلال العشر الاخير من شهر نيسان عام ١٩٧٥ لا اكثر. خلال هذا الوقت كنا نراقب بأنفسنا وباهتمام بالغ الاحداث التي تطرأ على الحلبة السياسية في سايغون وفي الولايات المتحدة الاميركية. غير اننا لم نغفل ابداً عن التدابير العسكرية للعدو، ونشاطاته في منطقة سايغون وفي نامبو وفي جنوب شرقي آسيا بكاملها، وخاصة في الفيليبين وتايلاند. كما لفتت انتباهنا الاحداث الجارية في كمبوشيا المجاورة. وتبين لنا انه بدون اتفاقية اوّلية قام اصدقاؤنا الكمبوشيون بتنسيق خططهم الاستراتيجية والعملياتية معنا على خير ما يرام.

لقد جاء في البرقية اللاسلكية التالية، التي ارسلها المكتب السياسي ما يلي: «عند وضع الخطة المشتركة للعملية، يجب الأخذ بالحسبان ان الهجوم يجب ان يكون قوياً بشكل كاف،، وان ينفّذ بوتائر عاليه من البداية وحتى النهاية. وبالإضافة الى الهجمات التي ستشن على الحزام الدفاعي الخارجي، يجب اعداد القوى الكافية لتوجيه الضربات الى وسط سايغون مباشرة في اللحظة المناسبة، ومن عدة اتجاهات، مع التقيّد بالمبدأ: «اضرب العدو من الداخل، ومن الخارج على حد سواء، واخلق الشروط المناسبة لخروج السكان من المدينة».

تميّز الموقف المتشكّل في هذا الوقت بالذات، بالعمل الخاطف والسريع وبالمفاجأة والحسم. وهذا هو سبيلنا الوحيد والصحيح الذي بقي امامنا للوصول الى النصر. كما كان ينبغي توفّر الخطة المناسبة للعمل، فيما لو ان الموقعة استمرت لمدة اطول.

بدأ بالوصول الى منطقة إرباض قيادة قوات عملية سايغون ممثلو صنوف القوات وفيالق الجيوش لتلقّي المهام القتالية. وتوجّه الى فيلقي الجيشين الثاني والرابع، والى الفرقة الثالثة التابعة للمنطقة العسكرية الخامسة نائب رئيس الاركان العقيد دين فان نو (هاي نو). وكان يجب على الرفيق نو ان ينقل شخصياً الى اللواء لي شونغ تان الامر الموقع من قبل الرفيق فان هونغ ومن قبلي انا شخصياً. وقد جاء في ذلك الأمر ان جميع القوات المهاجمة من الشرق تتبع منذ هذه اللحظة الى لي شونغ تان وتعمل وفقاً للخطة

الموحدة للعملية.

كما اسندت المهمة القتالية ايضاً الى قوات الاتجاه الجنوبي الغربي التي يقودها الرفيق لي ديك آن.

في الثاني عشر من نيسان، قدم الينا قائد فيلق الجيش الثالث فولانغ، والمفوض السياسي للفيلق نغوين هيب، وقدم في إثرهما، اي في الرابع عشر من نيسان ـ قائد فيلق الجيش الاول نغوين هوا، والمفوض السياسي للفيلق هوانغ مين تهي. وذكر هؤلاء ان فيلق الجيش الاول تلقّى امراً لتنفيذ المسير في الخامس والعشرين من آذار، وفي الثاني من نيسان بدأت تحركها فرقة المشاة الـ٣٢٠، وتحركت في إثرها التشكيلات والقطعات الاخرى. ويجب على آخر وحدات قوات الفيلق ان تغادر منطقة التعسكر الدائم في السابع من شهر نيسان. وهكذا فإن قوات الفيلق يجب ان تصل الى مواضع الانطلاق للهجوم في الخامس والعشرين من نيسان.

عندما اصدرت اوامري الى قادة فيالق الجيوش، لفتُّ انتباههم الى خصائص العدو، والى تلك النقاط الضعيفة في جانبنا، والتي قد تظهر في سير المعارك، والى كيفية التغلّب على هذه النقاط وإزالتها. ولم أنسَ ان اذكّر بضرورة مراعاة المواعيد المحددة للتحرك الى المناطق المخصصة، وتنظيم القيادة والاتصال، وكذلك تأمين السريّة في تحركات القوات بحيث لا يشك العدو في نوايانا حتى بدء الهجوم. واشرتُ بوجه خاص الى ضرورة إفهام واقناع كل جندي بأن مصير الحرب يتوقّف على مصير هذه العملية، وبأنه من الضروري المحافظة على الانضباط ومراعاة القواعد والتعليمات عند دخول المدينة، والتقيّد بالسلوك الحسن والمظهر اللائق.

وقبل ان يتوجه القادة والمفوضون السياسيون لفيالق الجيوش الى تشكيلاتهم لتنفيذ الخطط المرسومة، توجه اليهم بحديثه الحار الرفيق فام هونغ قائلاً: «نحن الآن ايها الرفاق في (ب ـ٢). وإننا سعداء جداً لتلقي الانباء الاخيرة حول الانتصارات العظيمة التي احرزها جيشنا في تاين غوين وشونغ بو. وأصبح من الواضح ان الظروف المواتية لتحرير فيتنام الجنوبية بكاملها قد لاحت في الأفق هذا العام. وإذا ما حرّرنا الجنوب ووحدّنا بلادنا فإن الامبرياليين الاميركيين لن يستطيعوا العودة ابداً لاستعبادنا وإذلالنا. انتم معنا، ومع مكتب اللجنة المركزية الحزبية لفيتنام الجنوبية،

ومع اللجنة العسكرية للجنوب، ومع كافة ابناء شعب فيتنام الجنوبية وقواتها المسلحة، عليكم ان تحملوا راية الثورة الديموقراطية الشعبية الوطنية في جميع انحاء البلاد وحتى النصر النهائي. إنها الدقائق المجيدة والحاسمة التي انتظرناها منذ يوم تأسيس الحزب. ففي قديم الزمن قام كوانغ شونغ بحملات وغارات ضد المحتلين، إلا انه اضطر للتوقف. وها هي قواتنا اليوم تهاجم من الشمال بدون اي توقف، وبدون اية استراحات، وبالتعاون مع قوات الجنوب تحقق في كل مكان الانتصارات الكبيرة والصاعقة. هذه هي القوة الحقيقية التي يملكها حزبنا، وها هي قواتنا المسلحة المظفّرة ومواطنونا المخلصون الشرفاء.

كان حزبنا على الدوام متماسكاً وقوياً. فالتماسك والتآزر من تقاليد شعبنا وقواته المسلحة. كما ان الجنوب والشمال اسرة واحدة، وفيتنام بلاد واحدة. اذن التكاتف والتلاحم هما الشرط الوحيد لانتصاراتنا. اننا نرحّب بنجاحاتكم القتالية، وبوصولكم الى جبهة فيتنام الجنوبية في الوقت المناسب، ونعتز باستعدادكم للمشاركة في هذا الزحف التاريخي، لاقتحام القلعة الاخيرة للاستعمار الجديد في بلادنا. ارجو لكم انتصارات جديدة، وارجو للجميع تحقيق النصر النهائي».

وبكل المشاعر الفيّاضة اعرب الرفيق فام هونغ عن رغبته بأن نكون جميعا في سايغون يوم ميلاد العم «هو».

بعد ذلك توجّه الرفيق لي ديك تهو الى الحاضرين بالكلمة التالية:

«إن اللجنة المركزية للحزب تمنح ثقتها الى مكتب فيتنام الجنوبية للحزب، والى جميع قواتنا المسلحة في تحرير الجنوب العزيز. لقد شكلت لدينا فيالق الجيوش التي تضم تشكيلات مشتركة قوّية ومزودة بأحدث الاسلحة والاعتدة. كما انها تنفذ اعمالها القتالية بالتعاون الوثيق مع التشكيلات المحلية. وبدعم من انواع وصنوف القوات الاخرى. ولذلك يجب عليها ان تنفذ بنجاح المهام الملقاة على عاتقها. اننا سنهاجم سايغون في الوقت الذي يزداد فيه العدو ضعفاً، او ينهار تقريباً. إلا ان هذه المدينة هي ملجؤه الأخير. ولا يستطيع ان يفرّ الى مدينة اخرى، ولم يبق أمامه إلا قرار واحد وهو- جمع كل قواته والمقاومة. لدى العدو خمس فرق، ولدينا خمس عشرة فرقة بدون حساب الاحتياطات. اذن يجب ان ننتصر، وهذا ما تراه اللجنة المركزية للحزب. وعند الوداع قال لي رفيق من المكتب السياسي: «النصر حتماً: عودوا منتصرين فقط».

ان هذه الكلمات تعبّر بوضوح عن حسميّة وحزم المكتب السياسي».

بعد تحليل مفصّل وشامل للموقف، قال الرفيق لي ديك تهو: «ان امكانية تدخّل الاميركيين في الحرب من جديد غير محتملة على الاطلاق. وهذا ما تؤكده جميع الانباء الواردة من الولايات المتحدة الاميركية. إلّا انه اذا ركبت الولايات المتحدة الاميركية رأسها وتدخّلت في الحرب من جديد، فإنها لن تستطيع ان تغيرّ شيئاً في مجرى الاحداث؛ بل إنها ستتكبد هزائم اكبر واكثر مرارة. اننا سننتصر بدون شك. فخلال السنوات العشر الاخيرة لقّن شعبنا المعتدي دروساً لا تنسى. وفي هذا الوقت بالذات يتشكل الموقف المناسب جداً، وامكانياتنا كبيرة، وبقي علينا ان لا نفوّت الفرصة، وان نعمل بسرعة وبثقة».

لقد ذكّر الرفيق لي ديك تهو قيادات فيالق الجيوش بضرورة دراسة الأرض دراسة شاملة، وتفحّص المخطط المعقد لمدينة سايغون، لأن ذلك ذو اهمية كبيرة بالنسبة للقوات القادمة من اماكن بعيدة ومناطق اخرى من البلاد، والتي لا تعرف الشروط المحلية والهيئات الطبيعية بشكل جيّد. كما انه تطرّق الى مسألة تأمين الاتصال في المعركة، ومسألة الدفاع الجوي خلال الهجوم واثناء الاستراحات، وغيرها من المسائل الاخرى. وبعد الاشارة الى اهمية عامل المفاجأة اوصى لي ديك تهو بالعمل السريع والمباغت وتوجيه الضربات الى اغراض العدو الحيوية والهامة، والى عناصر قيادته الرئيسية. واجرى لي ديك تهو المقارنة التالية: إذا تنازع اثنان فإن الذي ينتصر، هو ذلك الذي يستطيع ان يوجه ضرباته فجأة الى المكان الضعيف لدى خصمه، حتى ولو كان خصمه هو الأقوى، وهذا يضمن له الغلبة بالتأكيد.

لم ينس عضو المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية للحزب ان يذكّر قادة فيالق الجيوش بأن لسكان مدينة سايغون تقاليد عريقة في النضال الثوري. فالعدو لا يزال يحكم المدينة، إلا ان المواطنين سينتفضون ضد مستعبديهم اذا ما حصلوا على الدعم من الخارج، واذا ما كان هجومنا مندفعاً وقوياً ومتواصلاً. وفي الختام قال الرفيق لي ديك تهو، بأن موسم الامطار اصبح على الابواب ولذلك ينبغي تنفيذ العملية بأسرع ما يمكن. واذا كان بالامكان في ايار عام ١٩٧٥ فسوف يكون لذلك اهمية اكبر.

في ضواحي لوك نين وفي ادغال مناطق الفدائيين لم تذق عيوننا طعم النوم. لان الحياة حولنا كانت ضجيجاً دائماً وحركة مستمرة: فعلى الطرقات تتحرك ارتال الدبابات وقاطرات المدافع، واجراس الهاتف ترنّ في المكاتب ومقرات القيادة باستمرار، والمناقشات الحادة تدور في الفرع السياسي وفي فرع المؤخرة ايضاً. وفي تلك الساعات القاسية كان يلوح امامنا طيف العم «هو» المشرق، الذي تذكّرنا جميعاً وصاياه ونصائحه الوطنية، واقواله المقدسة. وتخليداً لذكراه وحياته التي قدّمها فداء للثورة، وتقديراً لاسمه الذي اطلق على مدينة سايغون، ألحت قيادة القوات في عملية سايغون، على المكتب السياسي بأن يطلق على اكبر عملية في تاريخ حرب التحرير التي خاضها شعبنا، اسم هو شي منه.

وفي الساعة ١٩,٠٠ من يوم الرابع عشر من نيسان عام ١٩٧٥، تلقينا البرقية اللاسلكية رقم ـ٣٧/ت ك من المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب، والتي تضمنت:

«نوافق على تسمية عملية سايغون باسم «عملية هو شي منه» وقد وقعت هذه البرقية من قبل الرفيق لي زوان السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب، الرفيق المحترم والمحبوب من الجميع.

الموقعة تقترب

سايغون ـ زادين هي مدينة يبلغ تعداد سكانها ثلاثة ملايين ونصف نسمة، وتحتل مع ضواحيها مساحة تقدر بـ(١٨٤٥) كيلومتر مربع. وفي المدينة عدد كبير من الابنية العالية ذات البناء المتين والمعقد جدا. وتركزت في هذه المدينة الاجهزة الادارية والعسكرية العليا للنظام العميل، والمستودعات الكبيرة التابعة لقاعدة المؤخرة. ان مدينة سايغون أهم مركز سياسي وعسكري واقتصادي وصناعي لدى العدو، وهي ايضاً ملاذه الاخير.

ان منطقة (موقع) سايغون تتميّز بأرض ذات طبيعة معقّدة. فالمشارف الجنوبية للمدينة تتقاطع بعدد كبير من الانهار والاقنية، وبالمستنقعات في اماكن كثيرة. وفي الجنوب الغربي منها نجد ارضاً مستنقعية ايضا؛ الا انها ترتفع قليلا بالقرب من المدينة وتصبح جافة. وعلى الطرقات المؤدية الى المدينة من الشمال تكثر الجسور الكبيرة: بونغ، شانغ، بين فيوك، بين شيكو، غين، وكذلك الجسور الواقعة على نهري دونغ ناي وسايغون. وتفيد المعلومات التي حصلنا عليها بأن العدو وضع خطة لتلغيم هذه الجسور جميعها. فإذا لم نستطع احتلالها في الوقت المناسب، فإن قطعاتنا المدرعة وقطعات المدفعية المزودة بالعتاد الثقيل لا تستطيع ان تدخل المدينة. وتهطل الامطار في

ضواحي المدينة في منتصف شهر ايار عادة. ولذلك فإن تشكيلات القوات الكبيرة لا تستطيع التحرك خارج الطرقات في هذا الوقت.

ان مدينة سايغون ترزح تحت نير المحتلين الدخلاء منذ زمن بعيد: فبعد مائة عام من الاستعمار الفرنسي انتقلت السيادة في المدينة الى الامبرياليين الاميركيين. واستطاع السايغونيون ان يتنفسوا نسيم الحرية والاستقلال تحت سلطة حكومة جمهورية فيتنام الديموقراطية لمدة اقل من شهر واحد. ومنذ ان قام الاميركيون الامبرياليون بعدوانهم المباشر، اخذوا بنقل قواتهم الجرارة الى فيتنام الجنوبية، الى جنوبي بلادنا، والى سايغون بالذات، التي تحوّلت الى مستعمرة من نوع جديد. وحاول المستعمرون الجدد تطبيق سياستهم الحاقدة والغادرة، ففرضوا الاحكام العرفية واستخدموا السلاح والدولار ضد المعارضين، واستعبدوا سكان سايغون ايديولوجياً وسياسياً، ومن الناحية الثقافية والاجتماعية ايضاً. كما ان الاميركيين وعملاءهم بذلوا كل ما في وسعهم لنسف اسس ثقافتنا القومية العريقة، وقطع الروابط التاريخية بين ابناء شعبنا. وتحوّلت سايغون الى وكر لرجال العصابات والعاهرات، ومركزاً لتجارة المخدرات، كما اقيمت فيها نوادي القمار. ولم تنج اسرة واحدة من التعرض الى الخداع او القهر المباشر وغير المباشر لارسال ابنائها الى الحرب ضد الشعب او للخدمة في دوائر البوليس. وتمكنت الامبريالية الاميركية عن طريق الرشوة والكرم المالي السخيّ من تعزيز مركز البورجوازية المحلية الفنية، والطغمة العسكرية الحاكمة التي روت جذورها دماء السكان الابرياء. كما ان الامبريالية الاميركية حوّلت اقتصاد ومجتمع فيتنام الجنوبية الى اقتصاد ومجتمع مستهلك، والى مجتمع تابع للدولار وللاعلانات الخارجية. كما ان شبكة عملاء الاستخبارات المركزية، والجهاز الواسع للحرب النفسية، كانا يقومان بالاعمال الهدّامة ليلا ونهارا، وبتزييف وطمس الحقائق، وتهديد وارهاب المواطنين البسطاء، بغية تحويلهم الى اعداء للثورة، او تخويفهم هم من الثورة ومن رجال المقاومة.

ولكن على الرغم من كل ذلك فإن سكان مدينة سايغون حافظوا على روحهم الوطنية وتقاليدهم النضالية ضد المحتلين الاجانب وعملائهم المحليين. فشوارع وانهار سايغون لا تنسى المآثر البطولية لابناء هذه المدينة. وعلى الرغم من الاضطهاد الدائم والملاحقة والتعذيب والاعتقالات، فقد نشطت المنظمة الحزبية للمدينة في عقر دار

العدو. وتسنىّ لنا الالتقاء مع بعض قادة الحركة الثورية في سايغون. انهم ممثلو الجماهير الشعبية الواسعة الذين مارسوا النضال القاسي ضد عدو شرس. كان هؤلاء يعملون بأقلامهم وسواعدهم وممتلكاتهم لازالة نير الامبرياليين الاميركيين البغيض وعملائهم عن رقاب الشعب، واعادة الحياة الحرة اا ىمة والمستقلة الى المدينة الحبيبة. والآن جاء دور سايغون، جاء دور ابنائها الوطنيين المخلصين لكي يعملوا مع القوات النظامية، ويسطّروا الصفحات الاخيرة من تاريخ حرب التحرير التي يخوضها شعبنا ضد الغاصبين الاميركيين.

كنّا في مقر القيادة نتابع بين الفينة والاخرى برامج الاذاعة والتلفزيون التي تبثّها سايغون. ومن خلال الشاشة الزرقاء كنّا نشاهد اساليب الاعلام الغبيّ والمضحك، والمعلّقين السياسيين الذين يتلاعبون بمشاعر وعواطف ابناء الشعب السذّج وكل ما نشاهده كان يزيد من حقدنا على خونة الوطن، ويقلّل من صبرنا وقدرتنا على انتظار حلول اليوم الذي ستبدأ فيه عملية الهجوم.

تلقّت قيادة قوات عملية سايغون برقية لاسلكية جديدة من المكتب السياسي واللجنة العسكرية للحزب، ينصحنا فيها الرفيق لي زوان بالتريث قليلاً على بداية الهجوم، والانتظار بضعة ايام اخرى، الى ان تصل القوات الرئيسية لفيلقي الجيشين الاول والثاني ـ اي قطعات المشاة والقطعات الميكانيكية التابعة لهذين الفيلقين. وقبل البدء بالهجوم العام، كان ينبغي تعزيز فعالية قواتنا على الاتجاهين الغربي، والجنوبي ـ الغربي، ومحاصرة الطريق رقم ـ٤، وارغام العدو على تشتيت قواته من اجل الدفاع، ولفت انظاره عن اتجاه ضربتنا الرئيسية، ولكي نزيد من الفوضى والقلق في صفوف قوات العدو العاملة في سايغون. وفي الوقت ذاته كان ينبغي ان نرسل على عجل عدداً من الوحدات الخاصة ومجموعات الانصار الى المدينة، ونصعّد الاعمال القتالية على الاتجاهات الاخرى، لخلق الشروط المواتية لشن الهجوم العام.

في حين كانت التحضيرات لعملية سايغون تجري على قدم وساق، وتشكيلات قواتنا النظامية تصل تباعاً الى نامبو من فيتنا شمالية وتاين غوين وشونغ بو، ومستودعاتنا في نامبو تستكمل يوماً بعد يوم بالكم ـ الكبيرة من التجهيزات والمعدات العسكرية، كانت التشكيلات المسلّحة المحلية ، فيتنام الجنوبية لا تضيّع لحظة واحدة، وتوجه الضربات الى تحصينات العدو بقوة جديدة وطاقة متعاظمة.

قامت قوات المنطقتين العسكريتين الثامنة والتاسعة، ووحدات المهام الخاصة، ومفارز الانصار العاملة في المدن، وفي المناطق المحيط بها، بتكبيد العدو خسائر فادحة بالارواح والمعدات، وتحرير عدد من المناطق الهامة، وتوحيد العديد من المناطق المحررة التي كانت ترزح تحت نير العدو، وفي مؤخرته العميقة منذ زمن طويل، والواقعة في مقاطعات لون غان، غوكونغ، بين شي، وميت هو، وقد طهّرت من العدو الممرات التي تصل بين نامبو الشرقية ونامبو الغربية عبر سهل تروست نيك، واستولت على المواصلات المائية الهامة الواقعة في المنطقة الحدودية، والتي تم عبرها نقل تجميعات اضافية من القوات والمعدات العسكرية من قواعد الفدائيين. وفي العديد من المناطق، كانت الاعمال القتالية تدور مع تشكيل وحدات محلية جديدة. ونفذت الاعمال على نطاق واسع بغية انتقاء المتطوعين، الأمر الذي أدّى الى تشكيل الكتائب في المقاطعات، والسرايا في الاقضية، والفصائل وسرايا الانصار في القرى والنواحي. ان هذه الوحدات المحلية كان تسليحها يعتمد على الاسلحة المغنومة، او المنقولة من قواعد المؤخرة. والجدير بالذكر ان الهجمات المتواصلة التي شنتها هذه القوات المحلية اشغلت وثبّتت قوى كبيرة من قوات العدو النظامية في منطقة الفيلق الرابع، وارغمت العدو على تحويل الجهود الرئيسية للطيران والاسطول بهدف احباط الهجوم في هذه المنطقة.

قام فيلق الجيش الرابع الذي يعتبر التشكيل النظامي الاساسي في نامبو، بخوض عدد من المعارك الناجحة ابتداء من العاشر من شهر آذار وبالتعاون مع قوات جبهة تاين غوين، ودمّر قسماً كبيراً من قوّة العدو البشرية، وحرّر مدينتي آن لوك وتين تهان، وبذلك فإنه وسّع اهم رأس جسر الى الشمال من سايغون، وحاصر الفرقة المعادية الخامسة والعشرين في منطقة شانغ لون (مقاطعة تي نين)، وشكّل تهديداً خطيراً على الفرقة الخامسة المدافعة عند منطقة لايك هي - بين كات.

في نهاية شهر آذار ومطلع شهر نيسان من عام ١٩٧٥ تحرّك فيلق الجيش الرابع من معسكراته الواقعة في الشمال الغربي والشمال من سايغون الى المنطقة الواقعة الى الشرق من دين كوان، ومن ثم استولى على مدينة زالين التي تعتبر مركزاً لمقاطعة لام دونغ، وشن هجوماً آخر على مدينة سوان لوك في مقاطعة لونغ هان حيث تدافع الفرقة المعادية الثامنة عشرة.

في الخامس من شهر نيسان اصدر هيو اوامره بالعمل على تحصين خط فان رانغ الدفاعي على عجل، وتضمنت اوامره هذه ملاحظات صارمة وحادة الى اولئك الجنرالات الذين كانوا يرغبون بتحريك القوات بأسرع وقت ممكن الى منطقة سايغون ـ زادين، واعتبرهم انهزاميين. وفي هذا الوقت ايضاً كان العدو قد اقام دفاعاً عميقاً في منطقة الفيلق الثالث، كما ان فرق مشاته حصلت على تعزيزات كبيرة، وقامت قواته المدرعة ومدفعيته بحماية المواضع والنقاط الحسّاسة «مفاتيح الدفاع»، التي احيطت بحقول الالغام وحواجز الاسلاك الشائكة والحواجز المضادة للدبابات. وعلى المشارف البعيدة عن سايغون اقام العدو ايضاً شبكة كثيفة من المخافر المحصّنة، التي تدافع عنها وحدات «حماية الامن» و«الدفاع المدني». اي ان العدو كان يأمل في ان مثل هذا الدفاع سينهك قوى جيشنا، ويجهض هجومه على مشارف مدينة سايغون.

وتحوّل مركز مقاطعة سوان لوك في مطلع شهر نيسان عام ١٩٧٥ الى اهم غرض في دفاع العدو ضمن منطقة الفيلق الثالث. فهذه المدينة كانت تغطي المشارف البعيدة عن سايغون من جهة الشرق. وطالما ان منطقة سوان لوك، ومنطقة لونغ هان موجودتان تحت سيطرة العدو، فإن هذا الأخير يظلّ قادراً على إعاقة قواتنا المهاجمة نحو سايغون على الطريقين رقم ـ٢٠ ورقم ـ١. وفي هذا الوقت كانت قواتنا المتحركة على الطريق رقم ـ١ قد اقتربت من فان رانغ، ومن كيم تاون ـ على الطريق رقم ـ٢٠ بعد ان حررت مقاطعة لام دونغ ومدينة دالات ومقاطعة توين ديك. إلّا ان العدو استطاع ان يتمسك بالطريق رقم ـ١٥ الذي يربط سايغون بمدينة فونغ تاو. وعن طريق هذا الميناء البحري كان لا يزال النظام العميل قادراً على تلقّي المساعدات من اسياده، والفرار الى ما وراء الحدود عند حلول الهزيمة.

ان التمسّك بسوان لوك ولونغ هان، كان يعني حماية الخط الدفاعي بين هوان ـ نون شات ـ باريا ـ ڤونغ تاو من الخطر المباشر، وتأمين النشاط العادي لمطاري بين هاو وتان شون يات. ولهذا كان العدو يحاول الاحتفاظ بمدينة سوان لوك مهما كلّفه ذلك من ثمن كما أنه كان يعلق آماله على قوات منطقة الفيلق الثالث التابعة للجيش العميل، وبصورة خاصة على الفرقة الثامنة عشر، التي لم تتكبد بعد خسائر كبيرة في المعارك. وعندما زجّت الادارة السايغونية وقيادتها العسكرية بكل القوى للدفاع عن سوان لوك، فإنها كانت تأمل في تأخير ساعة موتها، وكسب الوقت، للبحث عن التدابير الوقائية

واجراءات الانقاذ التي من شأنها ان تبقي النظام العميل على قيد الحياة، وتحول دون حدوث الهزيمة الساحقة والسقوط الكامل.

في التاسع من شهر نيسان انتقل فيلق الجيش الرابع الى الهجوم على سوان لوك بقوام ثلاث فرق هي: السابعة والسادسة والـ٣٤١ وبالتعاون مع قوات المنطقة العسكرية السابعة، وبقيادة العميد هوانغ كام، والعميد ـ المفوّض السياسي هوانغ تهي تين. واصطدم مقاتلونا الذين خبرتهم المعارك بمقاومة صلبة من جانب العدو، الذي لم يبق امامه مجال للانسحاب، ولذلك أخذ يقاتل بعنف وضراوة.

ارسل العدو الى قطاع سوان لوك الفرقة الثامنة عشر، ولواء الفرسان المدرع الثالث، وقسمًا من قوى الفرقة الخامسة التي سحبت من خطّها الدفاعي على الطريق رقم ـ١٣، وعدداً من كتائب المدفعية، وقسماً من قوات المهام الخاصة التابعة لمنطقة الفيلق الثالث، وقطعات ووحدات مستقلة من منطقتي الفيلقين الاول والثاني. ومن اجل انقاذ النظام العميل المتداعي لم يضن الاسياد الاميركيون بأرواح الجنود او الجنرالات الذين كانوا يقاتلون بدون امل ولا ثقة بالنفس.

إن هذا كلّه لم يكن كافياً بالنسبة لنا. لأن العدو نقل الى رأس جسر سوان لوك لواء انزال جوي، وعبّأ جميع قواه الجوية المتمركزة في مطارات بين هوا، وتان شون يات، وكانت هو، لدعم اعمال قواته البرية. وإضافة الى ذلك قامت اجهزة الحرب النفسية في سايغون والولايات المتحدة الاميركية والدول الغربية الاخرى بحملة اعلامية يائسة حول المعارك التي تدور في ضواحي سوان لوك بغية رفع الروح المعنوية والقتالية لجنود وضباط الجيش العميل. ونشرت الصحافة الغربية الرجعية تصريحات وتبجحّات قائد الفرقة الثامنة عشر العميد لي مين داو، التي جاء فيها: «سنقاتل الى ان يتحدث العالم بأسره عنّا وعن ابطالنا، والى ان يُوقف عنّا الاميركيون مساعداتهم الوفيرة». وبين عشيّة وضحاها باع لي مين داو شرفه بحفنة من الدولارات، وتحوّل بقدرة قادر الى «الشخصية القوية»، التي هبّت لانقاذ نظام هيو المتداعي.

ان المعارك التي دارت حول سوان لوك كانت معارك ضارية ودامية منذ بدايتها. وقامت قطعات الفرق: السابعة والسادسة والـ٣٤١ بمهاجمة العدو مراراً عديدة في اليوم

الواحد، كما انها صدّت هجماته المعاكسة المتلاحقة. وكان كل غرض في المدينة تسيطر عليه القوات المتحاربة بالتناوب ويسقط من يد ليقع في يد اخرى وهكذا دواليك. كما ان فوج المشاة الثالث والاربعين المعادي اصيب بخسائر فادحة كما وقعت خسائر في جانبنا ايضاً. فقد دُمّرت اعداد من الدبابات والعربات المدرعة، واضطرت اعداد اخرى للعودة الى قواعدها من اجل التزوّد بالوقود واستكمال الذخائر اضف الى ذلك ان استهلاك القذائف في وحدات المدفعية الملحقة والداعمة زاد عن المعدّلات المقرّرة.

ان خطة الهجوم على سوان لوك، التي اعدّت في اركان فيلق الجيش الرابع، لم تأخذ في الحسبان، في بادىء الامر، التعقيدات المحتملة للموقف في هذه المنطقة من الاعمال القتالية، كما انها لم تقيّم بشكل صحيح تصميم وإصرار العدو الذي يقاتل وظهره الى الحائط. ولم تكن هذه الضراوة الدامية في معارك منطقة سوان لوك ومنطقة لونغ هان مجرّد صدفة. بل على العكس من ذلك، لان مصير الجمهورية العميلة كان يتوقف على مصير هذه المعارك. كما ان نتائج هذه الاخيرة كان يجب ان تُظهر الى اي مدى يمكن ان يمدّ القدر بعمر نظام هيو. ولذلك كان يجب علينا إعادة النظر في عملنا التنظيمي وفي الطرق والاساليب التي اتبعناها لانتشار وقيادة القوات في المعركة. وبالتالي كان ينبغي تغيير تكتيك اعمال قواتنا ايضاً.

في حين كان فيلق الجيش الرابع يشن هجومه على سوان لوك، كانت قيادة قوات عملية سايغون منهمكة بأمر لا يقبل التأخير، وهو ـ الانتهاء من اعداد خطة الهجوم على سايغون. وفي هذا الموقف المتوتر لم نغفل لحظة واحدة عن سير المعارك حول سوان لوك ايضاً. وصدرت التعليمات الى قيادة قوات الجنوب المسلحة، والى قيادة فيلق الجيش الرابع لاستخدام طرق جديدة في خوض المعركة. وفي هذه الاثناء دفع العدو بآخر قطعاته الجديدة الى سوان لوك. ونحن بدورنا قمنا بتعزيز الفيلق الرابع بالرجال (بالفوج الخامس والتسعين) وبالوسائط المادية.

ومن اجل ايصال تعليمات القيادة والاشراف على تنفيذها ارسلنا الى اركان فيلق الجيش الرابع الجنرال شان ڤان شا. وكانت فكرتنا التكتيكية الجديدة تنحصر في عدم دحر العدو من نقاط الاستناد المحضّرة مسبقاً للدفاع، بل في توجيه الضربات الى القطعات والوحدات التي وصلت مجددا، والتي لم تتمكن بعد من التمركز في ضواحي المدينة، ومن تنظيم التعاون الوثيق فيما بينها. وفي الوقت نفسه كان يجب قصف مطار

بين هوا بالمدفعية البعيدة المدى وبصورة مستمرة، وشل اعمال طيران العدو المتمركز في هذا المطار.

بعد سحّق الفوج الثاني والخمسين من الفرقة الثامنة عشرة المعادية. والاستيلاء على توك شينغ وكيم تان، وصلت قواتنا المهاجمة على الطريق رقم ـ٢٠ الى تقاطع الطرق في زاوزي. وفي هذه المنطقة تم صد جميع هجمات لواء الفرسان المدرع الثالث، الذي نقله العدو من بين هوا، كما دمّر عدد كبير من الدبابات وعُزل قطّاع من الطريق رقم ـ١. وبذلك اصبحت سوان لوك معزولة عن سايغون. واصبحت المدينة ومقر قيادة الفوج الثامن والاربعين تحت الرمايات الدائمة لمدفعيتنا، كما أُوقف لواء الفرسان المدرع الثالث في ضواحي باوكا حيث لم يستطع التقدم خطوة واحدة الى الامام. وقامت مدفعية فيلق الجيش الرابع بإبطال سرايا مدفعية العدو الواحدة تلو الاخرى، وأنزلت خسائر كبيرة بالفوج الثالث والاربعين، وبلواء الانزال الجوي الاول اللذين قدما لمساعدة الحامية العاملة في سوان لوك.

ان قواتنا التي كانت تهاجم سايغون من جهة الشرق، والتي كانت تزحف الى الامام كالسيل الجارف استطاعت، بالتعاون مع قوات المنطقة العسكرية السادسة، ان تحرّر في التاسع عشر من نيسان، مدينة فان تهيت، وتزحف نحو سوان لوك. وفي العشرين من شهر نيسان وصلت الى رينغ لا الوحدات الامامية التابعة للقوات العاملة على الاتجاه الشرقي. وفي تلك الليلة، وتحت تأثير خطر التطويق والتدمير الكامل، انسحبت قطعات العدو المدافعة عن سوان لوك وفرّت على الطريق رقم ـ٢ باتجاه باريّا. ونظراً لتعرض القوات العميلة للهجمات المتواصلة، فقد تركت وراءها على هذه الطريق الكثير من الآليات والمدافع والاعتدة العسكرية الاخرى. وكان سقوط سوان لوك بسرعة كبيرة، بحيث ان بعض الصحفيين الاجانب ابرقوا الى وكالاتهم بحذف الاخبار التي ارسلت منذ مدة وجيزة والتي لا تتفق مع الحقيقة. ومع ذلك فإن إذاعة الجيش السايغونية اغمضت عينيها عن هذه الحقائق ايضاً، وواصلت بث برامجها الدعائية والنفسية المتواصلة الى جنودها في وحدات الفرقة الثامنة عشر المحطمة، والذين كانوا يختبئون في ادغال باريّا. وبعد سقوط سوان لوك قدم قائد منطقة الفيلق الثالث الجنرال العميد نغوين فان توان الى كوني على عجل من اجل اعداد خطة الدفاع عن الخط الشمالي الغربي للجبهة، والذي يمر عبر هذه المنطقة، وعن الخط

الشرقي للدفاع عن بين هوا ولونغبين ولونغ تهان.

بعد سقوط سوان لوك اصبحت الطريق الى سايغون مفتوحة من جهة الشرق امام قوات فيلقي الجيشين الثاني والرابع، وامام الفرقة الثالثة التابعة للمنطقة العسكرية الخامسة، التي اخذت تخوض المعركة الحاسمة والاخيرة. بدأت الفرقة الثالثة بتحضير الهجوم على باريّا وفونغ تاو. وهكذا نجد ان قواتنا العاملة على الاتجاه الشرقي كانت قد استولت ـ قبل بدء اقتحام سايغون ـ على مواضع استراتيجية مناسبة جداً. ففي الجنوب الغربي من سايغون كانت قواتنا في هذا الوقت تحتل بين ليك و لون غان، وكانت قد طهّرت الممر الواصل بين تاي نين وكين تيونغ، وحرّرت مناطق بين كاو، وبين شوي، وكوبا، واشرفت بالكامل على قطاع طويل من نهر فام كوتي وواصلت هجومها باتجاه تانان، تهوتهيا، ووصلت الى الطريق رقم ـ٤، وبدأت بشن الغارات على وسائط النقل المعادية والنقاط المحصّنة الصغيرة، مشكلة بذلك رأس جسر لهجوم قوات المجموعة ٢٣٢ على سايغون من جهة الجنوب الغربي. كما وصلت الى مواضع الانطلاق وحدات الدبابات الصديقة والآليات المدرعة البرمائية، وسرايا المدفعية القذّافة من عيار ١٢٢مم، والمدافع الطويلة من عيار ١٣٠مم، ومدافع الرمي المباشر من عيار ٨٥مم، وكتائب المدفعية المضادة للطائرات. كما احتلّت مناطق التحشد وانتظرت اشارة الهجوم كل من فرق المشاة: الخامسة والثالثة والتاسعة والثامنة، والافواج المستقلة: السادس عشر، والثامن والثمانين، والرابع والعشرين، الداخلة في قوام المجموعة ٢٣٢. وفي حينه نقلت الى مناطق المعارك القادمة مئات الاطنان من الذخائر والوقود، والزيوت والشحوم. وعلى جناح السرعة انشئت مرابض الرمي للمدافع وقواعد اطلاق الصواريخ حول مطار كان تهو، الذي سيصبح آخر قاعدة جوية للجيش العميل اذا ما استطعنا عزل مطاري بين هوا وتان شون يات وتجدر الاشارة هنا الى ان قواتنا وسكان نامبو الغربية قاموا بمأثرة بطولية حقيقية بعد ان تمكنّوا من التمركز على المشارف الجنوبية الغربية لمدينة سايغون، وفي الأرياف المستنقعية المنخفضة، حيث يصعب تماماً تمركز قوات كبيرة، وخاصة العتاد القتالي الثقيل. كما ان الاحتياجات الى قذائف المدفعية مثلا، بلغت عشرات الآلاف من القذائف التي كان يجب ان تنقل جميعها يدوياً او بواسطة قوارب صغيرة. وكانت هناك طريق واحدة فقط صالحة لتحرك المدفعية الثقيلة، إلا انها كانت تمر عبر منطقة مستنقعية وعرة. ولذلك ترتّب علينا إقامة مرابض المدفعية على الطرقات مباشرة. اما

واسطة الاتصال الوحيدة بين قيادة وقوات هذا الاتجاه فكانت اللاسلكي فقط. وكلّما تناقص الوقت اللازم لبدء الهجوم سايغون، كلّما ازدادت الاعمال التحضيرية توتراً وسرعة على الاتجاه الجنوبي الـ ي، وكلّما ازداد الحذر ايضاً في المحافظة على السرّية التامة من اجل مفاجأة العدو، وأخذه على حين غرّة.

الى الشمال الغربي من سايغون كانت فرقة المشاة الخامسة والعشرون المعادية تواصل تمسّكها بمواضعها في منطقة تي نين. ولم يكن امام هذه الفرقة اي خيار: فالدفاع، والفرار كلاهما يؤديان الى الدمار. ونظراً لأن رجال الشرطة العسكرية والمدنية كانوا يعلمون ذلك جيداً، فقد قاموا بإحراق جميع الوثائق وتوجّهوا على متن الطائرات الى سايغون.

في هذا الوقت لم نكن قد طرحنا على انفسنا مهمة تحرير تي نين. لأن هدفنا كان ينحصر في إطار آخر: اي تثبيت الفرقة الخامسة والعشرين، وسحقها في هذه المنطقة، وعدم تمكينها من الانسحاب نحو سايغون. ولتحقيق هذه الفكرة اسندت قيادة فيلق الجيش الثالث المهمة الى الفرقة ٣١٦ للاستيلاء، بقوى فوج واحد، على قطاع الطريق شافو- باوناو- غوزاوها، وقطع المواصلات البرية بين تي نين وسايغون. وفي هذا الوقت كانت التشكيلات الاقليمية لمقاطعتي تي نين وبين زيونغ تهاجم المخافر التي تدافع عنها وحدات «حفظ النظام»، ووحدات «الدفاع المدني»، وتطلق نيرانها على قاعدة شانغ لون العسكرية، وتفجّر مستودعاً يحتوي على ٢٠ الف قذيفة مدفع من عيار ١٢٥مم، و٥آلاف قذيفة للمدفع الطويل عيار ١٧٥مم. ان هذا كله ارغم الفرقة الخامسة والعشرين المعادية على تشتيت قواتها للدفاع عن منطقة واسعة تقع على امتداد الطريقين رقم -١ ورقم -٢٢.

احتلّت مفارز الفدائيين ووحدات القوات الخاصة مواقع لها قريبة من الأغراض المحددة لها في مدينة سايغون وضواحيها. كما ان مطار بين هاو كان يتعرض باستمرار لهجمات الوحدات الخاصة، ونيران الهاون والمدفعية. حتى ان الطائرات اقلعت من هذا المطار ليلا الى تان شون يات كي تتحاشى التدمير بنيران المدفعية. وقد قامت قواتنا بشل عمل هذه القاعدة الضخمة بالتدريج وبصورة كاملة. وفي الوقت نفسه كنّا نحضر الوسائط النارية لقصف مطاري تان شون يات وكان تهو، لأن إبطال او تدمير هاتين القاعدتين من شأنه ان يقلّص الامكانيات القتالية للقوى الجوية السايغونية

الى حد كبير، ويؤثر الى حد كبير ايضاً على الروح المعنوية لجنود وضباط الجيش العميل، ويساعد على خلق الشروط المناسبة لشن الهجوم العام على سايغون ـ زادين.

في صبيحة الثامن من نيسان تلقينا معلومات تفيد بأن طياراً وطنياً في القوى الجويةالسايغونية القى من طائرته المقاتلة القاذفة ف ـ٥ي القنابل على «قصر الاستقلال» في سايغون، ثم هبط بسلام في احد مطارات مقاطعة فيوك لونغ المحررة. وتبين فيما بعد انه الملازم نغوين تهان شونغ، من مواليد بين شي، وأحد الشيوعيين العاملين في السّر. كان ابوه عضواً في اللجنة الحزبية التابعة للمنطقة، وقد توفيّ بطلا في اثناء النضال الثوري.

يستفاد من اقوال نغوين تهان شونغ انه لم يبق في القوى الجوية السايغونية خلال تلك الفترة سوى /١٢٠/ طائرة من نوع أ ـ٣٧، و/٧٠/ طائرة مقاتلة قاذفة من نوع ف ـ٥، مع العلم ان ثلثي هذه الطائرات فقط صالح للاستخدام. كما ان عدد طلعات الطائرات لم يتجاوز /١٢٠/ طلعة طائرة في اليوم الواحد. واقترح نغوين تهان شونغ قصف قاعدة بين هوا الجوية على فترات وليس باستمرار، بحيث تسقط على المطار قذيفة مدفعية واحدة كل نصف ساعة: لان مثل هذا الفاصل الزمني كان مقرراً للطيارين السايغونيين من اجل الانتقال من ملاجئهم الى طائراتهم والجدير بالذكر ان الرمي على هذا النحو كان فعّالا بصورة كافية، وفي الوقت ذاته ساعد على توفير الكثير من الذخائر.

لقد ظهرت لدينا فكرة جديدة، وهي ان نقترح على القيادة العامة نقل نيغوين تهان شونغ الى قاعدة دانانغ الجوية، لكي يدرّب هناك طيارينا على استخدام الطائرات الاميركية المستولى عليها من نوع أ ـ٣٧. وبذلك يمكننا ان نمتلك سرباً من الطائرات المقاتلة أ ـ٣٧ ونستخدمه عند الضرورة.

ان وحدات قواتنا الخاصة الباسلة والبطلة، التي ملأت البلاد والدنيا بمآثرها وبطولاتها، كانت قبل الهجوم العام على سايغون قد ادمجت في ست مجموعات تحت قيادة واحدة. وقد تواجدت المجموعة العاشرة في المنطقة نياب ـ لونغ تاو حيث تلقت مهمة لنسف السفن المعادية وقطع الطريق المؤدية الى البحر، عن طريق نهر لونغ تاو. اما المجموعة١١٦ فقد وُجدت في حالة الجاهزية القتالية الكاملة ضمن المنطقة نيوك شونغ ـ لونغ بين، والمجموعة١١٣ ـ في منطقة بين هاو. كما ان المجموعة١١٥

التي كان ينبغي عليها الاشتراك في الهجوم على سايغون، احتلت مواضع الانطلاق في المنطقة لايت هيو- كوان شي. أما المجموعة ١١٧ فقد كانت موجودة في المنطقة فيون تهوم - بافو، لكي توجّه الضربة من هناك الى اغراض العدو في الضواحي الغربية لمدينة سايغون. وكانت المجموعة٤٢٩ قد استعدت لتنفيذ مهمة تدمير سرايا المدفعية المعادية في المنطقتين الثامنة والتاسعة من المدينة.

ان المقاتلين - الفدائيين البواسل كانوا منذ زمن بعيد شوكة في اعين المحتلين الاميركيين وعملائهم، وخطراً يهددهم باستمرار. ويكفي ان نتذكر هنا تلك الأعمال الشجاعة التي ذاع صيتها، مثل الهجوم على العسكريين الاميركيين في فنادق «كارافيلا»، «برينغ»، «فيكتوريا»، «ميتروبول» الواقعة في سايغون، والغارة التي شنّوها على القيادة الرئيسية للشرطة والسفارة الاميركية، واغراق سفينة «كاردير» في نهر سايغون، والقصف المدفعي الموجه الى «قصر الاستقلال» ومطار تان شون يات، والى ارتال القوات في اثناء قيامها بالعرض العسكري بمناسبة «يوم الاستقلال» وغيرها من الاعمال الاخرى. والآن - عشية اقتحام سايغون - ازداد عدد مفارز هذه الميليشيات الشعبية الى حد كبير لم يسبق له مثيل، وتمركزت ايضاً داخل المدينة وفي ضواحيها على حد سواء. وخارج معامل المدينة، كانت قد استعدت للاعمال التخريبية اربع كتائب والعديد من المفارز، وفي المدينة كانت على اهبة الاستعداد ستون مجموعة وثلاثمائة عضو مسلح ينتمي الى فصائل المقاومة الشعبية، وعدد كبير من السكان المحليين المتعاطفين مع الثورة ومع الفدائيين. وبالاضافة الى ذلك فإن لجنة سايغون العسكرية السرية كانت تضم عددا كبيرا وكافيا من المفارز المسلحة. ففي مناطق نياب، بين تيان الجنوبية، تان بين، هوك مون، غوڤاب وغيرها، كانت توجد في السابق فصيلة واحدة من المقاتلين في كل منطقة. اما عند بدء اقتحام سايغون فقد وصل القوام الى سرية - سريتين في كل منطقة. كما ان قضاء تهوديك كان يضم ايضاً كتيبة من المقاتلين الشعبيين، اما منطقة كوني فقد ضمت اكثر من كتيبة. وهنا تجدر الاشارة الى مفرزة كبيرة من المقاتلين في الخفاء، الذين نفذوا طيلة سنوات عديدة، المهام الخاصة في المدينة. فمن خلال عملهم في مختلف المراكز والقيادات المعادية كانوا يزودوننا في الوقت المناسب بالمعلومات الثمينة، واصبحوا الآن ينتظرون بفارغ الصبر وصول قوات لتحرير الفيتنامية الشعبية.

قامت لجنة مدينة سايغون ـ زادين السرية بتنظيم عملية طبع وتوزيع مئات الآلاف من المناشير، وتشكيل مجموعات الدعاية السرية . كما ان الحماس الوطني لدى السكان، أخذ يتعزز الى حد كبير داخل الدوائر السايغونية الحاكمة نفسها مما ادّى الى شل اجهزة الحكم العميل وتوقفها عن العمل. وخلال بضعة ايام تسلل المئات من كوادرنا الادارية والمسلحة الى المناطق الوسطى في المدينة. وفي هذا الوقت كان يوجد في سايغون العشرات من اعضاء اللجنة الحزبية في المدينة، وغيرهم من الشخصيات المسؤولة، واعضاء الفروع في المناطق ومئات الشيوعيين وآلاف الاعضاء التابعين للتنظيمات الوطنية الاخرى. كما ان عشرات الآلاف من سكان المدينة كانوا جاهزين للخروج الى الشوارع عند اللحظة المناسبة. كانت توجد لدينا شخصيات سياسية امينة في كافة احياء المدينة، كما وجد تحت تصرفنا وإشرافنا عدد من المطابع، ومئات السيارات المزودة بمكبرات الصوت، وعشرات آلاف الامتار من القماش، التي وضعت تحت تصرف مجموعات الدعاية، التي تستخدمها كوسائط نقل واعلام وطنية. اضف الى ذلك ان القسم الاكبر من الكوادر العاملة كان موجوداً بالقرب من سايغون مباشرة، وجاهزاً لتولي ادارة المدينة عند الطلب.

من اجل تنفيذ التوجيهات الصادرة عن المكتب السياسي، قام مكتب اللجنة المركزية للحزب في فيتنام الجنوبية واللجنة العسكرية التابعة له بدراسة خطة الهجوم العام. والانتفاضة الشعبية العارمة، والتصديق على هذه الخطة، بهدف تحرير سايغون، وكافة المناطق المحتلة في نامبو. وكان الرفيق ڤو ڤان كيت الذي عينّ اميناً للجنة الحزبية في سايغون ـ زادين، قد منح الصلاحيات للاشراف على كافة الاعمال التنظيمية المتعلقة بتأمين تقديم الدعم الى القوات المهاجمة في المدينة من قبل السكان المحليين.

وهكذا فإن مدينة سايغون كانت مطوّقة من جميع الجهات قبل بدء الاقتحام الشامل. فمن جهة الشرق كان الطريق رقم ـ١ محاصراً بصورة نهائية، وقواتنا تشل اعمال قاعدة بين هاو الجوية، وتزحف بسرعة نحو شانغ بوم، كما انها كانت مستعدة لايقاف الحركة على الطريق رقم ـ١٥ وعبر نهر لونغ تاو، وتهديد ميناء فونغ تاو تهديداً مباشراً.

ومن جهة الغرب والجنوب الغربي، وصلت قوات المنطقة العسكرية التاسعة الى

الخط كاي ـ ڤون ـ الضاحية الجنوبية لمدينة كان تهو، وزحفت نحو الطريق رقم ـ٤ الذي يعتبر الشريان الحيوي، والذي يربط سايغون بدلتا نهر ميكونغ. هذا وقد قامت قوات المنطقة العسكرية الثامنة بتنشيط اعمالها في المناطق الجنوبية من مقاطعة لونغان واستعدت لمحاصرة الطريق رقم ـ٤ وقناة تيغاو للملاحة البحرية.

احتلت القوات الرئيسية للجيش العامل مناطق الانطلاق المحددة لها. وبعد الاستيلاء على سوان لوك اقتربت قوات فيلق الجيش الرابع من شانغ بوم. وعلى الاتجاه الجنوبي الشرقي توضّعت تشكيلات وقطعات فيلق الجيش الثاني قريباً جداً من لونغ تهان، ڤونغ تاو، نيوك شونغ، وباريا.

وصلت مجموعة القوات الـ٢٣٢ الى الخط ڤام كودونغ ـ هاون غي. في حين كانت الفرقتان الخامسة والثامنة موجودتين على المشارف القريبة من الطريق رقم ـ٤ وفي المنطقة: كاي لاو ـ ميت هو ـ تانان. كما اقترب من مدينة سايغون بشكل مباشر فوجان مستقلّان من المشاة، تمكّنا من احتلال مواضعهما في كان ديوك وكان زوك، والى الجنوب من المنطقة الثامنة في سايغون.

والى الشمال الغربي، والشمال من سايغون تم في هذا الوقت تحرير منطقة واسعة تمتد من لوك نين وحتى فيوك لونغ. وعلى هذا الاتجاه قامت قوات فيلق الجيش الاول باحتلال مواضع الانطلاق على امتداد الضفة اليمنى لنهر «بي»، اما قوات فيلق الجيش الثالث فقد احتلت مواضع الانطلاق لها في منطقة زاوتينغ.

ان جميع المواصلات التي تصل مدينة سايغون من جميع الاتجاهات، كانت مفتوحة امام زحف قواتنا. كما ان خطوط الامداد وطرق الجبهات كانت متصلة مع الشرايين الاستراتيجية. والجدير بالذكر ان جميع هذه الطرقات والمواصلات كانت في حالة جيدة وتستطيع ان تصمد امام الحركة الكثيفة للعتاد الثقيل بسرعات كبيرة. ولاول مرة منذ عشر سنوات من حرب المقاومة تستطيع ارتال آليات مؤخرة الجنوب، وآليات مختلف المناطق العسكرية التحرك بدون عوائق وصعوبات من نامبو الشرقية الى كوتي، التي تمر عبرها طريق المقاطعة رقم ـ٢٦، وتواصل هذه الطريق امتدادها حتى بينكو ـ بي مي، والى الشمال من تانوين، وعند الضرورة ـ حتى لانغ هان وباريا.

في كل يوم كانت قيادتنا تتلقى معلومات مفصّلة عن الموقف في سايغون بشكل

عام. كما ان الانباء كانت تصلنا من قاعدة تان شون يات الجوية ايضاً، حيث كانت لا تزال تتواجد هناك مجموعة من ضباطنا. والمقصود هنا وفدنا العسكري برئاسة العميد هو سوان آنين (هوانغ آن توان)، والذي كان يدخل في قوام اللجنة العسكرية المختلطة. وكنّا قد اقمنا مع هذا الوفد الاتصالات الدائمة، وعلى الرغم من أننا لم نبلغ هذا الوفد الخطط الواضحة، فإن اعضاءه تكهّنوا بأن الهجوم على سايغون سيبدأ في القريب العاجل. ومما يجدر ذكره ان اعضاء هذا الوفد امضوا ثلاث سنوات في الحصار. وطيلة هذه المدة لم يتراجعوا قيد انملة عن مواقفهم السَياسية، وواصلوا نضالهم الذي لا يلين ضد العدو، كما انهم كانوا ينفذون بسرعة وبجدارة جميع التوجيهات التي يتلقونها من القيادات العليا، وزوّدونا بمختلف المعلومات عن العدو، وكذلك عن اتجاهات ومواقف الشعب ايضاً. ان هذه المعلومات حصل عليها اعضاء الوفد بطرق مختلفة، بما في ذلك طريقة المراقبة الشخصية. وعندما لاحظنا ان العدو نقل قواعده من المطارات الاخرى الى تان شون يات، واننا اصبحنا على مقربة مباشرة من مكان وجود الوفد، اقترح رفاقنا قصف المطار على الفور. وقد ذكر اعضاء الوفد في البرقية اللاسلكية التي ارسلوها الينا ما يلي: «سنظل نحفر الملاجىء، وندافع هنا بعناد واصرار. وإذا حاول العدو ان يركب رأسه فعلى مدفعيتنا ان لا تبخل عليه بقذائفها. لا تقلقوا على مصيرنا. واذا اقتضى الامر فإننا نموت بشرف في سبيل نجاح العملية، وفي سبيل النصر النهائي للثورة».

استطاعت سلطات الحكم العميل في تان شون يات ان تسترجع من وفدنا عدداً من المنازل الخشبية الصغيرة ذات الارضية الطينية والمسورة بالاسلاك الشائكة، والمغطّاة بصفائح معدنية. وفي هذا الظرف المعقد كان من الصعب عليهم حفر الخنادق، وخنادق المواصلات ايضاً. لذلك كان يجب تنفيذ هذه الاعمال ليلاً، مع استعمال الخناجر والاطواق المصنوعة من الاسلاك الشائكة بدلاً من المعاول والرفوش. اما التراب المحفور فقد قاموا بتمويهه او وضعوه في اكياس او في الملابس واخفوه داخل المنازل. وفي هذا الوقت ارسلنا الى العدو بعض ضباطه من اللجنة العسكرية المختلطة، الذين لم يتمكنوا من مغادرة بون ميت هوت، بدلاً عن ضباطنا الموجودين في تان شون يات. وقررنا استدعاء الضباط الذين نحتاج اليهم لتنفيذ العملية فقط، اما الباقون فقد ابقيناهم في القاعدة الجوية ومن ضمنهم قائد الوفد. عند وضع خطط قصف تان شون يات، ذكّرنا رجال المدفعية مراراً بأن يحددوا ويأخذوا بعين الاعتبار

مكان وجود وفدنا، وتأمين الحيطة له. وهكذا فإن رفاقنا في تان شون يات كانوا يأخذون اماكنهم الخاصة في مؤخرة العدو عند لحظة بدء عملية «هوشي منه»، التي كان المشتركون بها قد احتلوا مواضع الانطلاق استعدادا للهجوم. ان هذه المواقع الخاصة في عمق مواقع العدو، كانت تدل دلالة واضحة على مدى قوة الثورة وعدالة قضيتها. وبالاضافة الى ذلك فإن هذا الظرف منح حزبنا امكانية اضافية في معرفة افكار وآمال الشعب داخل سايغون المحاصرة، ومعرفة نوايا واعمال العدو في ساعات النزع الاخير من حياته. ولم يكن هناك ادنى شك في ان رفاقنا المحاصرين في تان شون يات قانطون، لأنهم كانوا ينتظرون وصول قواتنا اليهم بفارغ الصبر.

بعد هجماتنا المتواصلة على سايغون والتي شنّت في ايام عيد رأس السنة القمرية لعام ١٩٦٨ صرّح العدو متباهياً: «ليس لدى الفيتكونغ قوة بعد اليوم لمعاودة الهجوم على عاصمتنا». واليوم ها هي قواتنا تحتل مواضع الانطلاق بكامل جاهزيتها القتالية، وتحاصر سايغون من جميع الاتجاهات، وقد تمّ تنظيم التعاون الوثيق بين جميع القوى المتمركزة داخل وخارج المدينة، وأُنجزت الاستعدادات الاخيرة لاقتحام المدينة؛ وكانت قلوبنا ممتلئة بهجة وحبوراً. ومما يزيد من شعورنا بالسعادة اقتراب ساعة الصفر للقيام بالعملية الحاسمة للحرب، واعظم لحظة في تاريخنا الوطني خلال المئة سنة الاخيرة من حياة امتنا.

الحزم والمفاجأة والحساب الدقيق

كنت لا ازال في تاين غوين عندما تلقيت الانباء التي تفيد بأن المكتب السياسي اتخذ قراره لتحرير سايغون قبل بدء موسم الامطار، واعتمد المبدأ الاساسي في الهجوم وهو- الاندفاع، الحسم، المفاجأة، والحساب الدقيق. ولذلك فقد أخذنا نتدارس تكتيك الاعمال القتالية القادمة. وفي تلك الايام لم تكن لدينا الانطباعات الواضحة جداً والدقيقة حول الموقف المتشكّل في معسكر العدو، ولم تكن لدينا معلومات دقيقة عن شروط الأرض التي تحيط بمدينة سايغون، كما ان معلوماتنا كانت محدودة عن تنظيم الحركة الثورية داخل المدينة. ولكننا مع ذلك كنا نتوقع الطرق الممكنة لتوجيه الضربات، ونحاول ان نتفهم الموقف جيداً، أي: ألا يجوز استخدام التكتيك الذي استخدمناه خلال معارك بون ميت هوت؟ لا شك في ان هذا التكتيك في الشروط الجديدة الاكثر تعقيداً، وبالاعمال القتالية على نطاق واسع جداً، سيكون اكثر تعقيداً بدون شك، ويتطلب مستوى اعلى بكثير في مجال العمل التنظيمي. وهكذا فقد انطلقنا، في حساباتنا، من طبيعة المهمة الملقاة على عاتقنا، ومن الخبرات التي اكتسبناها، ومن الدراسة الاولية للمشاكل التي تترتب على المهمة الجديدة، وكذلك انطلقنا من طبيعة الموقف العام المتشكل في البلاد، حيث كان العدو يقف على

الطريق الاستراتيجية المسدودة، ومعنويات جنوده وضباطه تتداعى بشكل لم يسبق له مثيل. وعلى ضوء الأهمية الحاسمة للعملية بالنسبة لمصير الحرب الثورية بكاملها، والتبدلات في ميزان القوى، وظهور عوامل جديدة في الحرب، كان يجب علينا القيام بحجم كبير من الاعمال التحضيرية خلال اقصر مدة ممكنة، وخاصة في مجال تنظيم قيادة القوات، والتنسيق بين جميع القوى التي تشترك في الهجوم. وبهذه الشروط فقط كان يمكن تأمين النصر في معارك سايغون. وبطبيعة الحال كان من غير المستحسن ان نكرر بصورة آلية الاساليب التكتيكية السابقة. ومن اجل تأمين النجاح كان ينبغي علينا تنفيذ المهام المسندة الينا بمهارة كبيرة وحسمية رائعة. ولكن ما هو التكتيك بالذات الذي كان يمكن اختياره، وكيف يمكن تنظيم الهجوم - ان حلّ هذه المسائل كان يتوقف على الموقف المتشكل والواضح. لكن حول هذا كله لم تخرج الافكار خارج رؤوسنا، وخاصة بعد ان سلّمت الينا خريطة سايغون التي تم العثور عليها في مستودع الخرائط الواقع في بون ميت هوت.

ان المعلومات الثمينة اللازمة لاعداد خطة تحرير سايغون، حصلنا عليها من التقارير الاسبوعية والشهرية التي ارسلتها قيادة قوات الجنوب، واللجنة الحزبية لمدينة سايغون والتي جاء فيها وصف للحالة العسكرية والسياسية والاقتصادية داخل المدينة، ومعلومات عن النضال الذي يخوضه سكان المدينة من اجل تحسين ظروفهم الحياتية، ومن اجل الديموقراطية والسلام واعادة توحيد البلاد. كما اننا حصلنا على المعلومات الصحيحة من تقارير قادة التشكيلات التي اقتحمت سايغون في عام ١٩٦٨، ومن خطة قيادة قوات الجنوب لمرحلة الربيع - الصيف، والتي قدّمها الينا اثناء الاجتماع في تاين غوين ضابط من اركان قوات المقاومة الفيتنامية الشعبية، وهو العقيد فو لونغ.

في اثناء طريقي الى (ب-٢)، وبينما كنت افكر في الموقعة القادمة لتحرير سايغون، طرحت هذا الموضوع ثانية على الرفيق هوانغ زونغ، بغية الاستفسار عن بعض المسائل الغامضة عليّ مثل: ما هي الانهار الكبيرة التي تجري بالقرب من سايغون، وما هي اعماقها، وهل بلغ تعداد سكان المدينة اربعة ملايين، ومن يقود الفرقة الخامسة والعشرين. وعلى الفور امرت بارسال برقية لاسلكية الى المنطقة العسكرية السادسة، اطلب فيها الحصول، بالسرعة القصوى، على خرائط سايغون من معهد الخرائط الطبوغرافية في دالات، وارسال هذه الخرائط الينا - الى (ب-٢) - على جناح السرعة.

بعد عقد مؤتمر استمر ثلاثة ايام في (ب ـ٢)، بحضور جنرالات وضباط اركان قوات الجنوب، أبلغنا خلاله عن الوضع في سايغون وعن منطقة الفيلق الثالث المعادية، وخاصة بعد المؤتمر الذي ضم اعضاء مكتب اللجنة المركزية للحزب في فيتنام الجنوبية واللجنة العسكرية التابعة لهذا المكتب، حيث أُجري تحليل شامل وعميق للشروط والظروف المحيطة بمدينة سايغون وداخلها، بعد هذا كله اصبح بحوزتنا عدد كبير من المعطيات الفعلية اللازمة لاعداد خطة الاقتحام الشامل للمدينة.

في تلك الايام، وحيثما وجدنا، كانت تطاردنا الافكار المتعلقة بسايغون وحاولنا ان نتصوّر ونتفهم حقيقة تلك الانهار والأقنية والجسور والمستودعات ومواقع المؤسسات العسكرية والمدنية التابعة للنظام العميل. كما ان هذه المعلومات كانت تزداد رسوخاً وعمقاً في ذاكرتنا يوماً بعد يوم، مع العلم أنه لم يعرف احد منا قط مدينة سايغون من قبل. ولكن بعد تلقّي الكثير من التقارير والمذكرات، وبعد الدراسة المطوّلة والمفصّلة لمختلف خرائط سايغون ـ زادين، بما في ذلك مخططات الخرائط السياحية، استطعنا في نهاية المطاف ان نحفظ عن ظهر قلب اسماء العديد من الشوارع والجسور والاحياء التي تكثر فيها الابنية العالية والمستودعات، والأرصفة وغير ذلك. وعلى الرغم من اننا لم نكن نعرف شيئاً عن الشكل الخارجي لهذه الأهداف، ولا عن لونها، واشكالها الهندسية، فإننا كنّا نتذكّر بشكل جيد احجامها والمسافات فيما بينها. وخلال وقت قصير من وصولنا الى (ب ـ٢) كنّا نستطيع ان نتحدث مع بعضنا البعض عن مختلف الاغراض في سايغون، دون النظر الى الخريطة.

أثناء التعرّف ـ من خلال الخرائط ـ على نظام الدفاع عن سايغون، ترتّب علينا ان نصادف في المذكرات اليومية للأركان، وفي تقارير الاستطلاع عدداً من اسماء وارقام مختلف تشكيلات وقطعات العدو مثل فرق المشاة الخامسة، الخامسة والعشرين، السابعة، والثانية والعشرين (التي تم تشكيلها مجدداً بعد الهزيمة التي لحقت بالعدو في بين دين)، وألوية الانزال البحري ولواء مشاة البحرية الـ٤٦٨، ولواء الفرسان المدرع الثالث، مع اسماء اماكن توضح مختلف قيادات وقواعد العدو: الاركان العامة، قيادة المنطقة العسكرية الخاصة بالعاصمة، قاعدة تان شون يات الجوية وغيرها. ومنذ البدء كان هذا بالنسبة لنا مجرّد علامات سوداء وخضراء على الخرائط فقط، الا انها تحوّلت بالتدريج الى اغراض ذات مضامين واضحة ومحددة. والآن اصبحنا نعرف بالتفصيل

كل شيء عن قطعات وتشكيلات العدو، وحتى عن الروح المعنوية لجنوده وضباطه، واسماء قادة القطعات والتشكيلات، وحتى سجل اوصاف وتاريخ حياة كل من جنرالات الجيش العميل.

ان عملية دراسة واعداد الخطة للهجوم على سايغون، بصورة مفصّلة ونهائية تطلبت منّا جميعاً بذل الجهود وجميع الامكانيات الفكرية لأن دائرة الوقت اخذت تضيق، والاحداث بدأت تتطوّر بسرعة كبيرة، حتى ان العدو الذي كان يقاتلنا من قبل بعناد وشراسة، لم يعد اليوم عدواً بطابع عسكري، بل اصبح عدواً يخلق امامنا العوائق السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والثقافية والنفسية . . . الخ. ولذلك كان يجب علينا عند معالجة كل مشكلة ان ننطلق بحذر شديد وتحت شعار كل شيء «مع» او «ضد» الثورة، على ضوء الحسابات الدقيقة والمتقنة.

من بين المسائل التي شغلتنا اثناء اعداد خطة عملية سايغون، برزت مسألتان اساسيتان: طريقة خوض المعركة، واغراض الهجوم. ففي البرقيات اللاسلكية التي ارسلها المكتب السياسي اشارت القيادة العامة الى الأهمية الخاصة لهاتين المسألتين، اما نحن فقد اخذنا بدورنا نبحث عن الاجابات على هذه التساؤلات ليلاً ونهاراً ونحن على مشارف سايغون مسؤولون مسؤولية مباشرة تجاه المكتب السياسي عن نجاح العملية.

كنا ندرك تماماً، ان هناك اكثر من ثلاثة ملايين ونصف من ابنائنا المتعطّشين للتحرير، يقطنون في مدينة سايغون ـ زادين تحت نير الامبرياليين الاميركيين، وطغمة هيو العميل. وقد تعرّض هؤلاء بشكل أو بآخر لمختلف ألوان الاضطهاد الاستعماري الجديد. وعندما يصبح النظام السايغوني على شفير الهاوية فإن الكثير من هؤلاء، وخاصة الذين لهم اقارب في صفوف الجيش العميل أو جهاز الادارة الحكومي، سيعيشون في حالة من القلق والخوف على مصيرهم ومصير اقاربهم. اضف الى ذلك ان الكثير من سكان المدينة لم يتمكنوا من فهم حقائق الامور، نظراً لأن الدعاية الكاذبة والمغرضة التي تبثّها وسائط الاعلام الاميركية ـ السايغونية كانت توهم هؤلاء بأن «المذابح»، و«السلب والنهب»، و«الاختطاف وانتهاك الاعراض» هي الشرائع السائدة عند وصول الشيوعيين الى السلطة. كما ان هؤلاء لم يفهموا اهداف الثورة ولا سياستها العادلة والانسانية، ولم يتمكنوا من التمييز بين الصدق والكذب.

على ضوء ذلك، كان ينبغي تنظيم الهجوم على سايغون، بحيث يمكن تحقيق النصر الصاعق على العدو، واسقاط النظام الرجعي بسرعة، والقضاء على الجيش المأجور، والادارة من القمة الى القاعدة، وتحطيم آلة الحرب السايغونية ـ اداة الاضطهاد والقهر ـ، واحباط كافة المحاولات العدوانية من جانب الامبرياليين الاميركيين. وبالاضافة الى ذلك فإن الهجوم كان يجب ان ينظم بحيث تكون الخرائب، والاضرار المادية، والضحايا البشرية بين صفوف السكان دون حدّها الأدنى . وفي هذه الحالة فقط يمكن ان تعود حياة الملايين من ابناء الشعب المحرّر الى حالتها الطبيعية بسرعة.

وهناك مسألة اخرى ومعقدة كانت تنتظر الحلّ وهي: كيف يجب التعامل مع مئات الآلاف من جنود الجيش المأجور. فقبل دخول هؤلاء في الجيش كانوا طلاب جامعات ومدارس، وعمالاً، وفلاحين وحرفيين، اي انهم ـ بغالبيتهم ـ هم ابناء الشعب الكادح. وبنتيجة التضليل والقهر من جانب الطغمة الرجعية، انسلخ هؤلاء عن عائلاتهم وأُسرهم، وعن حياة السلم، وزجّ بهم في اتون الحرب ضد شعبهم بالذات وضد ثورتهم. لا شك في ان هؤلاء كانوا يتعطشون للسلام ويرغبون في التخلص من كونهم جنوداً مرتزقين، ويحلمون بالعودة الى اسرهم وعائلاتهم واقاربهم لمواصلة الدراسة وبدء العمل والحياة من جديد.

وفي حينه قال الرئيس هو شي منه: «ان جنود الجيش العميل، هم مثلنا، ابناء الشعب الفيتنامي. وهؤلاء حادوا عن الطريق القويمة بسبب الجهل وحلكة الظلام وعوامل التضليل. ان الدولة، وانا شخصياً مستعدون لأن نغفر لأُولئك الذين يعترفون باخطائهم في الوقت المناسب، ويعودون الى اسرة الشعب العظيمة، الشعب الذي يخوض حرب المقاومة ضد الغزاة المعتدين».

من خلال هذه المعطيات وعلى ضوئها، كان يجب شن الهجوم بحيث نحقق سقوط الجيش المأجور الجرار وتحطيمه الكامل، كي لا تستطيع قوات سايغون ان تتصدّى للقوى الثورية، وترفض الولاء والانصياع لأوامر قادتها. وبذلك تقرر تدمير قيادة الجيش المأجور التي تقاوم الثورة بوعي وادراك. غير اننا كنّا مستعدين للمحافظة على حياة الغالبية العظمى من جنود وضباط العدو بشرط ان يخرجوا على طاعة قياداتهم، ويلقوا باسلحتهم ويستسلموا. كما كنا على ثقة بأن هؤلاء الجنود والضباط

سيدركون في نهاية المطاف، عدالة قضيتنا، ويتكيّفون بسرعة مع الاجراءات الثورية والتربوية ـ التعليمية. وعن طريق الحزب والسلطة الثورية أخذ مئات الآلاف من عسكريي الجيش المأجور يحصلون على امكانيات العودة الى اماكن اقامتهم الدائمة (مساقط رؤوسهم)، والى اسرهم، واصبحوا يستطيعون، كبقية المواطنين في فيتنام الموحدة، تقديم جهودهم وامكانياتهم لصالح خير الوطن، الذي يضمن لهم ولعائلاتهم السعادة والحياة الآمنة.

ان قواتنا المسلحة التي اشتركت في الهجوم العام على سايغون ـ زادين كانت في الحقيقة، قوات لا تقهر. وفي هذه المرة وضعنا الخطة لشن الهجوم بقوى خمسة فيالق جيوش مدرّبة افضل تدريب لخوض الاعمال القتالية، وتضم مئات الآلاف من الجنود والضباط، دون حساب الاحتياطات الاستراتيجية والتشكيلات المحلية في نامبو. انني لا اقصد بذلك الآن، ان الفرق والألوية والأفواج من مختلف انواع وصنوف القوات المسلحة كانت مزودة بأنواع الاعتدة والاسلحة الحديثة، وتتمتع بقدرة قتالية عالية. ان هذه القطعات والتشكيلات كانت مسلّحة ببضعة آلاف من المدافع والهاونات ذات العيارات المختلفة، وبمئات المدافع والرشاشات المُضادة للطائرات، وآلاف الدبابات والعربات المدرعة، وعشرات الآلاف من أطنان الذخائر. اضف الى ذلك، عدداً غير قليل من قنابل وصواريخ قوات الدفاع الجوي والقوى الجوية والبحرية ايضاً التي كان يجب عليها الاشتراك في هذه العملية. ان جنودنا وضباطنا كانوا يدركون حق الادراك الرسالة الملقاة على عواتقهم، لأنهم ابناء الشعب المحبوبون الذين قطعوا آلاف الكيلومترات واشتركوا في عشرات ومئات المعارك، دون ان تخيفهم المصاعب او تثني عزائمهم العوائق الكثيرة. انهم الآن يشاركون في خوض العملية التاريخية التي تحمل اسم محبوب الجماهير العم «هو». فكل عسكري كان يعلم تماماً ان هذه العملية ستضع النهاية للحرب لتمكن جميع الجنود من العودة الى ديارهم، الى الحياة الحرة، حياة السلم والعمل والبناء. وكنّا جميعاً ـ من الجندي وحتى الجنرال ـ مستعدين للتضحية بأنفسنا في سبيل اعلاء شأن الثورة والعمل الثوري لشعبنا.

ان الروح المعنوية العالية للجيش، والامكانيات والوسائط المادية الكبيرة، لم تستطع ان تثنينا عن معالجة الكثير من المسائل مثل: اختيار اتجاه واغراض الهجوم، بحيث يمكن سحق العدو بالسرعة الممكنة، كيف يمكن استخدام القوات المقاتلة على

افضل وجه؟ كيف يمكن تنظيم قيادة القوات في المعركة؟ والتعاون بين مختلف القطعات والتشكيلات؟ وكيف يمكن تنظيم الاعمال بصورة عامة بحيث نستخدم طاقـاتنا المشتركة الى اقصى حد ممكن، ونحقق النصر الاكبر في اسرع وقت ممكن وبأقل ما يمكن من الخسائر في هذه الايام الاخيرة من الحرب.

لقد كانت مسألة تكتيك وأغراض الهجوم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع اختيار لحظة البدء ومع مدة العملية. فإذا لم يكن الهجوم مفاجئاً او حاسماً، واذا لم تكن طريقة خوض المعركة متوافقة مع الاهداف المحددة فإن العملية قد يطول امدها حتى بداية فصل الامطار التي تعيق تقدّم قواتنا الى حد كبير. وفي هذه الحالة فإن عملاء وزعماء النظام السايغوني (كما كنّا نعلم مسبقاً، ويعلم المراقبون السياسيون في انحاء العالم) سيلجؤ ون الى طلب المساعدة من سادتهم الاميركيين، وبذلك تتحرّك ما يسمّى بالمبادرات السلمية من اجل «وقف النزاع»، ويقومون بتوزيع الدولارات والمناصب محاولين بذلك تشكيل تجميعات رجعية جديدة من اجل التصدّي لهجومنا وانقاذ نظام نيغوين فان هيو من السقوط النهائي المحقق. اما في حال اتباع الطريقة الصحيحة لخوض الاعمال القتالية والاعداد الصحيح والدقيق لها، فإن الهجوم العام سيكون قوياً ومستمراً بحيث يؤدي الى احراز النصر السريع. وهذا لا يستجيب لمتطلبات الموقف العسكري فحسب، بل ولمتطلبات الموقف السياسي والدبلوماسي في هذه اللحظة التاريخية الراهنة.

اثناء الهجوم على مثل هذه المدينة الفيتنامية الكبيرة ـ سايغون زادين ـ حيث كان يدافع على خطوطها الدفاعية الخارجية والداخلية مئات الآلاف من جنود العدو، تقرر اختيار خمسة اغراض استراتيجية رئيسية فقط، كان ينبغي الاستيلاء عليها بأي ثمن، وهي: الاركان العامة للجيش المأجور، قصر الرئاسة، اركان المنطقة العسكرية الخاصة بالعاصمة سايغون، الادارة السياسية العامة، ومطار تان شون يات العسكري.

كانت تلك هي اهم مراكز الجيش المأجور والادارة المدنية في سايغـون، والحلقات الرئيسية في آلة الحرب الهائلة التي يشرف عليها الغزاة الاميركيون والتي تعكس بوضوح الطابع المعادي للشعب والمأجور لدى الطغمة السايغونية الحاكمة. فبين جدران هذه المراكز والقيادات قام خونة الشعب بعرض الخطط لمواصلة الحرب، وفكّروا بضغوط جديدة على الثوريين والوطنيين، وقرّروا الصراع حتى النهاية ضد

«الوباء الشيوعي». وقرّروا اتباع السياسة العدوانية وسياسة الاستعمار الجديد ضد ابناء جلدتهم وشعبهم. لقد كانت تان شون يات القاعدة الجوية العسكرية الكبيرة والأخيرة التي تؤمن اتصال العدو مع العالم الخارجي. كما ان هذه الاغراض كانت عبارة عن نقاط استناد متهالكة في جسم النظام السايغوني المريض. ففي حال سقوطها سيصبح الجيش السايغوني والادارة السايغونية في مهب الريح، التي ستعصف برأس العدو وبنظام دفاعه بالكامل، وبأجهزة القمع والقهر التي كان يستخدمها، وعندئذٍ سينقض الشعب الذي لا تستطيع قوة في العالم ان تقف في وجهه، اي ان سايغون ستكون محرّرة إذا ما تم خوض هذه الموقعة الاخيرة بسرعة. وعندما نوجّه الضربات المركّزة الى هذه الاغراض فقط، يمكن المحافظة على حياة ثلاثة ملايين ونصف من سكان سايغون ـ زادين، والحيلولة دون تهديم المنشآت الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

كان عدد هذه الاغراض خمسة في وسط سايغون وفي ضواحيها، والتي اختارتها قيادتنا وقررت احتلالها بأي ثمن. ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك اذا ما كان العدو يحشد على نطاق الدفاع الخارجي خمس فرق مشاة كانت مستعدة لمقارعة قواتنا، وفي حال تقهقرها ستنسحب هذه الفرق الى الخطوط الدفاعية داخل سايغون لتتمسك بها حتى آخر رجل؟

اثناء الهجوم على بون ميت هوت كانت القوات الرئيسية للعدو تركّز اهتمامها على منطقة كونتوم ـ بليكو، وكانت كافة الطرقات محاصرة، والمدينة ذاتها كانت معزولة عن المناطق الاخرى. وقامت قواتنا بتجاوز نقاط الاستناد على خط الدفاع الخارجي، والتي كانت تتمسك بها بشكل عام مفارز «الامن» و«الدفاع المدني»، بتوجيه الضربة المفاجئة الى غرضين اساسيين في وسط بون ميت هوت. وبعد تدمير قوات العدو الرئيسية في المدينة فقط، بدأت قواتنا بمهاجمة المواضع المتبقية حول المدينة.

وعند الهجوم على مدينة سايغون تشكّل موقف جديد آخر: فقوات العدو المختارة احتلت نقاط الاستناد على النطاق الخارجي للدفاع، وعلى مسافة تتراوح بين ٣٠ و٥٠ كيلومتراً عن سايغون، لتسد امامنا الطريق. كما ان قوات العدو العاملة على النطاقين الخارجي والداخلي للدفاع كانت موجودة في حالة الجاهزية القتالية الكاملة. وفي مثل هذا الموقف يصعب على قواتنا شن الهجوم الناجح. اذا ما قامت بتجاوز نقاط

استناد العدو على نطاق الدفاع الخارجي، ووجهت من ثم ضربة مفاجئة بقوى كبيرة الى المدينة، لأن خمس فرق من المشاة ستهب في هذه الحالة وعلى الفور لمساعدة القوات المعادية المدافعة على اطراف ومداخل المدينة. وبنتيجة ذلك فإن المعركة ستأخذ طابعاً قاسياً ويطول امدها. ومن ناحية ثانية، اذا ما حشدنا القوات لتدمير فرق العدو على النطاق الخارجي للدفاع عن سايغون، وبعد ذلك وجّهنا الضربة مباشرة الى الاغراض الخمسة في المدينة ذاتها فإن ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً. واستطالة امد الهجوم سيكلفنا خسائر فادحة في الارواح والمعدات. كما ان الاستخدام الواسع للمدفعية من قبل القوات المهاجمة سيسفر بالطبع عن وقوع خسائر بشرية بين السكان الآمنين وعن حدوث خرائب كثيرة. اما اذا انسحبت قوات العدو الى المواضع داخل المدينة بعد ان تخرّب جميع الجسور الكبيرة الواقعة على الطرقات وعلى نهري دونغاي وسايغون، وتحتل الابنية المتعددة الطوابق في تلك الاحياء المكتظة من المدينة، فإنه لا بد من وقوع الخسائر البشرية وحدوث التخريبات لدى السكان المحليين خلال هجوم قواتنا. ومن اجل تفادي سفك الدماء الغزيرة، والحدّ من التخريبات وتحقيق المفاجأة كان يجب ان نعمل بجرأة وحسم. وهذه الفكرة كان قد عبّر عنها احد رفاقنا بقوله «الحسم يلد المفاجأة». ومن المعلوم ان الحظ في تحقيق النصر يزداد احتمالا كلما ازدادات الاعمال القتالية مفاجأة.

غير ان الحسم وحده، الذي نبعت من افكار الهجوم الثوري الفعّال، والتحليل العلمي للاحداث والظواهر، والمعالجة السليمة لجميع المعضلات والمتناقضات على ارض الواقع العملي، هو وحده الذي تضمن تأثير المفاجأة والنصر المؤزر في الموقعة القادمة.

ان اشكال وطرق الصراع التي اخترناها لأنفسنا، واساليبنا في خوض المعركة كانت تتفق مع قوانين الحرب الثورية في فيتنام الجنوبية. فتاريخ الثورة الفيتنامية، التي قادها حزبنا طيلة خمسة واربعين عاماً، غنية الى حد كبير بأشكال وطرق النضال الثوري، وبأساليب استخدام القوى الثورية بشكل عام، والقوات المسلحة بشكل خاص. كما ان المواقع الكبرى والصغرى التي شهدتها السنوات الماضية اظهرت التنوع الكبير في الاساليب التكتيكية التي استخدمها جيشنا، والتي كانت على درجة عالية من النموذجية والمثالية، لأنها كانت تتبدّل من معركة الى اخرى ومن عملية الى اخرى ايضاً.

في تلك الأيام التي كنّا نستعدّ فيها للاستيلاء على سايغون، كانت لا تزال أشكال وطرق الصراع المسلح، وأساليب استخدام كافة القوى، وتكتيك الأعمال العسكرية، لا تزال غنيّة بمضمونها ومتنوّعة إلى درجة كبيرة كما أنها بلغت حداً من التطوّر الكبير خلال المرحلة الأخيرة والحاسمة من حرب المقاومة ضد الغزاة الأميركيين بهدف إنقاذ الوطن من شرورهم. ان هذه الأشكال والطرق كانت نتيجةً لاستيعاب وتطوير الخبرات القتالية الغنيّة، والتقاليد الوطنية الرائعة لآبائنا وأجدادنا، وتطويراً لخبرات وتقاليد ثورة آب عام ١٩٤٥، وحرب المقاومة المظفّرة ضد المحتلّين الفرنسيين والامبرياليين الأميركيين. كما أن ذلك كان في نفس الوقت نتيجةً للأعمال المشتركة لكافة القوى التي عبّأها شعبنا استعداداً للموقعة الأخيرة والحاسمة مع العدو وفي عقر داره. ان هذا العمل المشترك بالذات، الذي قامت وتقوم به هذه القوى حقّق لنا التفوّق المطلق والضروري لسحق العدو، وإحراز النصر الكامل.

وبنتيجة ذلك فإن الطريقة المثلى لخوض الهجوم ينبغي أن تكون تلك الطريقة التي من شأنها أن تؤمن الاستخدام الأكثر فعّالية لجميع القوى المتوافرة تحت تصرفنا، مع الأخذ بعين الاعتبار أن القوات المسلحة تلعب الدور الرئيسي في حسم الحرب الثورية.

في تلك الظروف المستجدّة، والتي شهدت تفوّقاً نوعياً وعددياً ومعنوياً في جانب قواتنا، وتفوّقاً في نوعية كوادرها القيادية، وانطلاقاً من مهام الموقعة الحاسمة، والتبدلات الكبيرة في الموقف، توصلت القيادة إلى اتخاذ القرار التكتيكي التالي: على كل اتجاه، يستخدم قسم مناسب من القوات، بحيث تستطيع تطويق وتمزيق وتثبيت قوى العدو، وعدم تمكينها من الانسحاب المنظّم نحو سايغون. وبالهجوم السريع نحو المدينة يتم تدمير وتشتيت فرق القوات النظامية المعادية التي تحتل مواضعها على النطاق الخارجي للدفاع. وفي الوقت نفسه يستخدم القسم الأكبر من القوى والوسائط للاستيلاء بسرعة على مواضع العدو الحسّاسة في أطراف المدينة، وفتح الطريق أمام التجميعات الضاربة التي شكلّت لشن الهجوم مباشرة على الأغراض المختارة داخل المدينة بالذات. ومن أجل خلق الشروط المناسبة لتقدّم هذه التجميعات الضاربة بسرعة نحو أغراضها المحددة لها، كان ينبغي على قطعات المهام الخاصة، ومفارز الفدائيين، ومفارز العمل السرّي، ومقاتلي الدفاع المحليّ، والجماهير الثورية في

سايغون ـ زادين أن تستولي مسبقاً على الجسور والأغراض الاستراتيجية الأخرى، واستئصال العناصر الأكثر رجعية وتحريض الجماهير الشعبية على الانتفاضة.

لقد تقرّر توجيه القوّة النارية لسرايا مدفعيتنا بكاملهـا إلى تلك الأغراض العسكرية المعادية، مثل مطار تان شون يات، والأركان العامة للجيش المأجور. وبغية شل عمل مطار تان شون يات بالكامل، تقرر استخدام الطيران عند الضرورة. أما القطعات الصاروخية، والقطعات المضادة للطائرات فقد طلب إليها تشكيل ستار كثيف حول سايغون، وتأمين تغطية قواتنا البريّة.

من الواضح أن هذا التكتيك الذي وقع عليه اختيارنا، كان التكتيك الأفضل في ذلك الموقف. فنحن لم نمكّن العدو من إحباط أو عرقلة زحف قواتنا نحو سايغون. كما أن العدو لم يستطع الانسحاب من خطوطه التي يحتلّها ولم يستطع استدعاء قواته إلى المدينة لكي يواصل المقاومة بالاشتراك مع حامية المدينة. وما دامت قواتنا ستحتشد لتوجيه الضربة إلى الأغراض الرئيسية في المدينة، ولتدمير الفرق المعادية على النطاق الخارجي للدفاع، فإن قوات العدو داخل وخارج حدود المدينة لن تستطيع التحرّك لتلتقي مع بعضها البعض. والأكثر من ذلك، هو أننا بفضل هذا التكتيك، حرمنا العدو من إمكانية فتح ترتيب اوضاعه القتالية في المدينة، واحتلال الدفاع في الأحياء المكتظّة بالسكان، كي لا يؤدي ذلك إلى وقوع ضحايا كثيرة بين صفوف السكان العزّل. غير أن أهم ناحية في هذا النوع من التكتيك، هو انه سمح بتحقيق الهدف الرئيسي والسامي للعملية ـ ألا وهو تحرير سايغون زادين في أقصر مدة ممكنة، وعلى أكمل وجه، وتمشياً مع المبدأ المتبّع، الذي طرحه المكتب السياسي وهو: الحسمية، المفاجأة، والحساب الدقيق. ومع تدمير القيادات المركزية التابعة للنظام العميـل ستتشكّل الشروط لتحرير فيتنام الجنوبية بالكامل وبسرعة خاطفة. وبذلك يمكن تنفيذ وصايا الرئيس هوشي منه حول طرد الغزاة الأميركيين وإسقاط النظام العميل وتحرير الجنوب وإعادة توحيد الوطن.

بالإضافة إلى تخطيط الهجوم العام على سايغون كانت القيادة قد وضعت خطة لانتفاضة سكان المدينَة بغية الربط المتين بين الأعمال الهجومية للقوات وانتفاضة القوى السياسية ـ الاجتماعية. وكان ينبغي تنظيم انتفاضة الجماهير الشعبية خلال وقت قصير وبدقة عالية ومع مراعاة السرّية التامة. وهذا ليس بالأمر السهل، إذ أنه يجب إيصال

الخطّة حتى مستوى التنظيمات الدنيا العاملة في مناطق وأحياء المدينة، وحتى مستوى كافة عناصرنا السرّية ودُعاتنا العاملين بين صفوف السكان. وكنّا ندرك أن الادارة السايغونية تمتلك جهازاً رهيباً ومتشعّباً للقمع والملاحقة والمراقبة. كما أن أجهـزة الاستخبارات والمصالح السرّية الأميركية، وأجهزة النظام العميل كانت تعتمد على خدمات عشرات الآلاف من العملاء المأجورين، الذين كانوا منتشرين في كل مكان ليساعدوا في إلقاء القبض على الوطنيين وزجّهم في غياهب السجون وتعذيبهم حتى الموت. وبالإضافة إلى ذلك فإن سايغون كانت تعجّ بمجموعات من الشرطة المدنية والعسكرية التي بلغ قوامها عشرات الآلاف من الرجال. كما أن بين هؤلاء عدداً غير قليل ممن أُرغموا، لسبب من الأسباب، على حمل السلاح، والانخراط، بأوامر من قادتهم، في الوحدات المقاتلة للصراع ضد الثورة وضد الشعب.

ان سكان سايغون الذين عاشوا تلك السنوات الطويلة في مثل هذا الجو الخانق والمقيت، كانوا يترقّبون باهتمام شديد تطوّر الأحداث في البلاد، كما أن مشاعرهم كان من الصعب إخفاؤها إزاء التبدلات المستمرّة، التي ظهرت نتائجها في ضمير كل شخص وكل أسرة، وفي المادية والروحية لأبناء الجيلين الحاضر والمستقبلي. ولم نشك لحظة واحدة في أن التقاليد الثورية خبت في قلوب سكان سايغون، لأن هذه التقاليد ولدت خلال السنين الطويلة وأُفعمت بالحقد على نظام هيو المأجور والمضاد للشعب. ولذلك فإن هؤلاء الوطنيين الأشراف كانوا ينتظرون بفارغ الصبر الجو المناسب للقيام بالانتفاضة السياسية الشعبية الحاسمة لجميع أبناء الشعب. كما أن قواتنا التي اقتحمت سايغون استطاعت أن تعتمد على دعم السكان المحليين. وفي خططنا أخذنا بعين الاعتبار أيضاً وجود مئات الآلاف من اللاجئين في سايغون. وهؤلاء اللاجئون الذين فرّوا من المقاطعات الأخرى كانوا ينتظرون بفارغ الصبر انتهاء الحرب ليعودوا إلى قراهم ومنازلهم المحرّرة.

ان النظام العميل الذي رأى بأم عينيه أجله المحتوم، سيزداد ضراوةً وشراسةً في كل ساعة تُقرِّبه من النهاية. كما أن نظام القمع وأجهزة الحرب النفسية التابعة للادارة السايغونية كانت لا تزال تعمل بكامل قواها في تلك الأيام. وكذلك فإن الطغمة الحاكمة من الخونة والرجعيين وعملائهم لم يتورّعوا عن ارتكاب أفظع الجرائم من أجل إنقاذ جمهوريتهم العميلة والمحافظة على مصالحهم الفردية.

كان يجب أخذ هذه المعطيات والشروط بعين الاعتبار أثناء اختيار الشكل المناسب للصراع، ولحظة بدء الانتفاضات الشعبية، التي كان يجب أن تنفّذ تحت رحمة رشاشات وبنادق جنود الأمن والبوليس الذين لا يعرفون الشفقة ولا الرحمة في قتل الأبرياء العزّل. ان قواتنا هي بالطبع القوة الحاسمة في تحقيق النصر، إلا أن الأعمال العسكرية في خطتنا كانت بمثابة عامل لخلق الشروط المناسبة من أجل قيام السكان بالانتفاضة التي يجب أن تبدأ بعد هجوم قواتنا بوقت قصير. فهجوم القوات الذي تدعمه في الوقت المناسب، إنتفاضة شعبية قويّة، من شأنه أن يؤمن تحقيق النجاح بسرعة. وقد ألقيت المسؤولية عن تنظيم الانتفاضات الشعبية في سايغون على عاتق الرفيق نيغوين فان لين الذي أشرف على هذه الأعمال جميعها بالاشتراك مع اللجنة الحزبية في المدينة والمؤسسات الأخرى ذات العلاقة.

قبل الهجوم على سايغون نشطت دعايتنا بين صفوف جنود العدو، والموظفين في الادارة السايغونية. كما أن رفاقنا قاموا بأعمال التوضيح في سايغون وضواحيها بمهارة وصبر كبيرين، مع العلم أن هؤلاء عانوا الكثير من المشاق والحرمان، وتغلّبوا على الكثير من الصعاب والعقبات. وكلّما اقترب موعد بدء الهجوم كانت تزداد أهمية هذه الأعمال، وتتطلّب رصّ الجهود والتفاني والتضحية. لقد حاول دُعاتنا الاتصال مباشرةً وبسرعة مع عسكريي الجيش العميل وفتحوا لهم عيونهم على حقيقة الوضع، وحددوا لهم طريق الخلاص، ولأسرهم التي كانت تعاني الكثير من الويلات، ودعوا هؤلاء «الابناء الضالين» للعودة إلى أحضان الشعب، والانضمام إلى صفوف الذين يناضلون من أجل الحق والعدالة. غير أن عدداً لا يستهان به من الدعاة سقط في أيدي العدو، وكان مصيرهم القتل أو التعذيب. غير أن موتهم البطولي، وولاءهم المطلق للثورة زعزع مواقف الكثيرين في صفوف العدو، وساعدهم على رؤية الحقيقة الناصعة. ان هؤلاء الوطنيين ينتظرون الآن اللحظة الحاسمة، كي ينضموا إلى صفوفنا، ولذلك ينبغي علينا أثناء الهجوم على سايغون ان نشجّع ونؤيّد انتفاضة جماهير الجنود ورجال الشرطة، والموظفين والعاملين في النظام المأجور، الموجّهين ضد القادة والرؤساء العملاء، وخلق الشروط المناسبة لانتقال الأعداء السابقين إلى صفوف الثورة. كما كان يجب علينا أن نروّج قبل بدء وأثناء العملية، لسياسة السلطة الثورية بصورة خاصة، ولموقفها من أسرى الحرب، ومن الذين يلقون السلاح طواعيةً.

ان الاستعداد لتوليّ زمام الادارة في مثل هذه المدينة الكبيرة يعتبر مهمة معقّدة لا تحتمل التأجيل، وتتطلب عدداً كبيراً من العاملين. وللإشراف على هذا العمل عين مكتب الحزب في فيتنام الجنوبية أحد أعضائه. كما أن اللجنة المركزية للحزب أرسلت بدورها إلى الجنوب سكرتير اللجنة المركزية الرفيق نغوين فان شان ومجموعة كبيرة من الاختصاصيين الذين اختيروا من وزارات وإدارات فيتنام الشمالية. كان يجب الاسراع في تحضير كل شيء وإعداده قبل بدء الهجوم على سايغون ـ زادين، غير أن هذه المهمة لم تكن من حيث طبيعتها مهمة إدارية أو فنيّة صرفة، بل كانت مرتبطة بصورة عامة مع النشاط العسكري، والسياسي، والدبلوماسي، والاقتصادي، والثقافي، والاجتماعي. ولتنفيذ هذا العمل كان يجب القيام بعمل دقيق وسريع من جانب العناصر والهيئات المسؤولة والقيام بعمل تربوي وتوجيهي واسع بين صفوف المشاركين في الهجوم، بحيث يعرف كل منهم واجباته، ويستوعب بوضوح سياسة الحزب والسلطة الثورية تجاه مختلف طبقات السكان في المناطق المحررة ـ السكان الذين يعتنقون مختلف الأديان، والبورجوازيين، والأجانب، وعسكريي الجيش العميل وغيرهم. وعشية تحرير سايغون كان يجب أن نطلع الجماهير العريضة على هذه السياسة.

بفضل الاهتمام المتواصل من جانب المكتب السياسي، والقيادة المباشرة والمراقبة من جانب الرفيقين لي ديك تهو، وفام هونغ، وبفضل العمل المتوتّر لمجموعة كبيرة من الناس، سرعان ما تمّ التحضير لتنظيم إدارة سايغون على أكمل وجه.

قبل بدء العملية بوقت قصير وصلت إلينا، بناءً على أوامر القيادة العامة، مجموعة كبيرة من الاختصاصيين العسكريين من أجل استلام الأغراض العسكرية المعادية. وكان على رأس هذه المجموعة نائب رئيس الأركان العامة العميد جياب فان كيونغ.

وفي هذه الأيام بالذات، وبالاشتراك مع الرفاق شان فان شا، ودونغ فان كونغ، ولي نفوك هين ركّزنا كافة جهودنا على تنظيم التعاون بين مختلف القوى في العملية، ودرسنا وصدّقنا على خطط الأعمال القتالية، وإمداد القوات على مختلف الاتجاهات، كما أشرفنا على سير التحضيرات للعملية. ودبّت الحياة غير الطبيعية من جديد في مقر القيادة، الذي أخذت تتوافد عليه الضيوف من كل جانب ـ فهذا قادم

لتقديم تقريره، وذلك لتلقّي مهمة، وذاك لتنسيق الخطط إلى آخره.

ان جميع الذين تمكنوا من مراقبة أعمال القيادة في تلك الأيام، أدركوا تلك السرعة الكبيرة في حل جميع المسائل، ولمسوا الوحدة المعنوية والسياسية المتينة، والفهم المتبادل بين الرؤساء والمرؤوسين، وبين ممثّلي مختلف أنواع القوات المسلحة وصنوفها، والتصميم على إزالة كافة الصعاب وتحقيق النصر في هذه الملحمة التاريخية. وكان القادة يهتمون في أن تكون قطعاتهم وتشكيلاتهم العسكرية أول من يدخل المدينة أو أن تكون ذات تأثير فعّال في تحرير المدينة. حتى أننا كنا نضطر أحياناً لتهدئة أعصابهم الثائرة. وهنا لا بد لنا من سرد الحادثة التالية: أسندت إلى وحدات المدفعية التابعة إلى المنطقة العسكرية السابعة مهمة قصف مطار تان شون يات وعدد من الأغراض في سايغون ذاتها بواسطة المدافع من عيار ١٣٠ مم. غير أن جنود المدفعية لم يستطيعوا لمدة طويلة أن يعثروا على مربض مناسب قريب من المدينة. عندئذٍ اقترح عليّ قائد المدفعية في عملية سايغون الجنرال زوان توي، ورئيس مدفعية المنطقة العسكرية السابعة العقيد نغوين تام، أن تقوم فرقة مشاة باحتلال رأس جسر منطقة بين زيونغ كي ترابض هناك المدافع من عيار ١٣٠ مم. كان رأس الجسر هذا فكرة جيدة، والخطة نفّذها بدون شك، غير أن هناك شروطاً يجب أن تتوافر في العملية، وهي - الحسم والمفاجأة والحساب الدقيق. وعلى ضوء ذلك، ومن أجل نجاح العملية برمّتها، قررنا الإعراض عن هذا المشروع الجريء والمثالي، الذي قدّمه رجال المدفعية.

وعند تفقّد حالة طرق المواصلات، التي كان يجب على قواتنا أن تتحرّك عليها نحو سايغون من جميع الاتجاهات، تبين أن جميع الجسور التي خرّبها العدو على الطريقين رقم - ١ ورقم - ٢٠ قد أُصلحت ورمِّت، إلا أنه بقي جسر واحد بدون إصلاح هو جسر نابيت الواقع على الطريق رقم - ١٤ بين دونغ سواي وتونت هان. وعبر هذا الجسر كان يجب أن تمر جميع القوات التي تتحرّك من الشمال نحو سايغون وإلى المنطقة الواقعة شرقي المدينة. كما أن التأمين الاداري للعملية كان يتأثّر إلى حد كبير بحالة هذا الجسر. وفي أثناء تقديم مذكرته إلينا قال نائب قائد المجموعة «٥٥٩» فان هاك هي، بأن النهر عميق جداً في منطقة نابيت، وضفافه منحدرة، وطيران العدو لا يسمح بإمكانية ترميم الجسر. وبذلك ظهرت صعوبة جديدة أمامنا. غير أنه، بعد أن استمعنا إلى التقرير، أصدرنا التوجيهات بتعزيز الدفاع الجوي في منطقة نابيت،

وأمرنا الرفيق فان هاك هي بالعودة إلى مقر عمله للإشراف مباشرةً على إصلاح الجسر.

لقد راعينا في خططنا احتمال تخريب العدو لكافة الجسور على نهري سايغون ودونغ ناي، والجسور الأخرى الواقعة في سايغون نفسها. ولذلك فقد قمنا بالاشتراك مع المفوّض السياسي لقوات الهندسة في نامبو العقيد شان باتونغ، بتنسيق الخطة التي بموجبها تقرر استخدام الزوارق والقوارب والبوارج العائدة إلى السكان، بالإضافة إلى ترميم الجسور المخرّبة وإقامة الجسور الجديدة والمؤقتة واستخدام الأطواف من أجل عبور القطعات والعتاد القتالي. كما تقرّر أن تعبر قوات أخرى بهذه الوسائط عن طريق الطرق النهرية والوصول مباشرةً إلى سايغون. هذا وقد شارك في إعداد هذه الخطط مشاركة فعّالة أعضاء مكتب الحزب في فيتنام الجنوبية، وخاصة الرفيق نغوين فان سو.

ان اشتراك وحدات الدفاع الجوي الصاروخية في عملية «هوشي منه» كان نتيجة من نتائج الجهود الكبيرة التي بذلتها قيادة هذا النوع من القوات المسلحة. فالصواريخ كانت تحرس السماء في أثناء عملية تحرير تاين غوين. والآن توفّر الحيطة والأمن لقواتنا المهاجمة على سايغون، كما أن نقلها في حد ذاته على طريق شيونغ شون الاستراتيجية المؤدية إلى نامبو، كان يعتبر إنجازاً كبيراً، لأنه كان يتطلب التغلّب على مصاعب كبيرة. وفي نهاية أحد الاجتماعات وبينما كنّا نودّع الرفيق كونغ هونغ ونائب المفوض السياسي لقوات الدفاع الجوي في الجنوب العقيد فام سا، تذكّرنا أن طيران العدو قد استنفذ جميع إمكانياته، وأن مدافعنا المضادة للطائرات حول سايغون تنتظر العمل بفارغ الصبر. ولا بد لنا من إيجاد عمل لها في حال وصول هذه الصواريخ، وإلّا فإنها ستبقى «عاطلة عن العمل».

في أثناء دراستنا لخطة أعمال القوات الخاصة بالاشتراك مع الرفيق شان فان زان (با شان) لم ننس إسناد المهمة الصعبة التالية إلى هذه القوات: أثناء مهاجمة قاعدة تان شون يات الجوية، ترسل مفرزة خاصة لاحتلال ما يسمّى بمنطقة ديفيس بأقصى سرعة ممكنة، حيث كان يوجد وفدنا العسكري، لكي يتم نقل هؤلاء الرفاق إلى مكان أمين بأقصى سرعة ممكنة.

لقد كانت الأيام الأخيرة التي سبقت اقتحام سايغون أياماً عصبيةً ومتوترةً إلى حد كبير. فقد أرسلنا إلى جميع التشكيلات والقطعات، وقيادات كافة أنواع وصنوف القوات مجموعات تفتيشية لتفقّد سير التحضيرات الأخيرة للعملية. وبفضل تفاني جنود

سلاح الاشارة وعملهم المتواصل والدؤوب أصبح بإمكاننا الحصول على المعلومات في حينها وبسرعة، من قطاعات الجبهة، والاتصال يومياً مع هانوي. وتحت قيادة قائد قوات إشارة الجنوب ومفوضها السياسي العقيد نيغوين فوان هانغ، والرفيق هوانغ نيم استطاع جنود الاشارة، خلال مدة وجيزة، القيام بجميع التحضيرات الضرورية لتأمين الاتصالات في العملية المكرّسة لتحرير سايغون.

لقد كان إمداد القوات، على الدوام، أحد أهم المهام في الحرب، إذ أنه يشكل عصب الحياة والاستمرارية في كافة العمليات. لقد بدأت مصالح المؤخرة بالاستعداد لآخر عملية حاسمة، من شأنها أن تريح المؤخرة من أعباء العمل بصورة نهائية. غير أن مصالح المؤخرة تُفرض عليها متطلبات جديدة على الدوام، ويطلب إليها لأن تكون مدربة ومستعدة لمواجهة جميع الحالات الطارئة. إلا أنه في ملحمة تحرير فيتنام الجنوبية استطاعت مؤخرتنا الكبيرة ـ فيتنام الشمالية الاشتراكية ـ أن تلبي جميع الاحتياجات المادية للجبهة. كما أن جميع مصالح المؤخرة نفذت مهامها كاملة وعلى أفضل وجه أثناء تنفيذ عملية «هوشي منه». وعشية الهجوم العام أبلغتنا قيادة المؤخرة عن إنجاز كافة الأعمال التحضيرية، وعندها قال رفاقنا ممازحين: «في نامبو لم تتوافر لنا مثل هذه البشاشة، والكثرة العددية، ولم نعرف هناك مثل هذا الغنى والثروة. ويبدو أننا لا نزال نحظى بشرف استقبال مثل هذا العدد الكبير من (الضيوف). الجميع وصلوا إلينا بسياراتهم أو قدموا بواسطة الطائرات والبواخر حاملين معهم كل ما هو ضروري، بحيث لا يرهقون كاهل أهل (المضافة) بالأعباء».

في تلك الأيام قدم إلينا الكثير من أبناء الشمال، ومن هانوي بالذات. وساعدتنا أحاديثهم وأقوالهم على تفهّم الموقف بشكل واضح في مؤخرتنا الاشتراكية، التي كانت، في الوقت ذاته، تبني الاشتراكية وتعمل للجبهة. ومن أجل التغلّب على الآثار القاسية للحرب المدمرة الطويلة، التي أشعلت نارها الولايات المتحدة الأميركية طيلة الفترة ما بين ١٩٦٥ و١٩٧٢، عبّأ الشمال الموارد البشرية والمادية الهائلة لتقديم المساعدة إلى الجبهة العظيمة ـ الجنوب ـ في نضالها المظفّر.

ومنذ لحظة تأسيسها عملت لجنة مساعدة الجبهة بجهد لا مثيل له، من أجل تنفيذ أهم وأعقد المهام التي لا تنقطع. كما قدّم المساعدة المتواصلة إلى هذه اللجنة أعضاء المكتب السياسي، وأمانة اللجنة المركزية للحزب. وقد علمنا بأن قادة ورؤساء

المنظمات الحزبية والحكومية في المقاطعات ومدن الشمال عملوا ليلاً ونهاراً، وأن شعب فيتنام الشمالية بأسره التفت ببصره وبصيرته نحو سايغون من أجل تأمين النصر في عملية «هوشي منه» محاولاً بذلك تأمين جميع احتياجات الجبهة على أكمل وجه وبأسرع ما يمكن. وتلقّينا ببالغ السعادة والسرور خبراً مفاده أن أبناء مناطق تيباك، وفيت باك يقترحون إرسال رتل الآليات المخصص لهم والمحمّل بالأرز والملح، إلى نامبو لسد احتياجات الجيش هناك. كما أن الكثير من مؤسسات البناء والمعامل والمصانع خصصت حوالي ٣٠ ـ ٥٠ ٪ من عمالها ومستخدميها للمشاركة في تحضيرات عملية «هوشي منه».

كما عمل جاهداً وبدون كلل أو ملل، لسد احتياجات جبهة سايغون، الرفاق في المنطقة العسكرية الخامسة، حيث شكّلوا لجنة خاصة بهم لتقديم المساعدات إلى الجبهة، برئاسة الرفيق فوكي كونغ. كما أن قيادة المنطقة رفعت شعار: «كل شيء لجبهة سايغون، كل شيء للنصر في عملية التحرير». وفي المنطقة العسكرية الخامسة، تشكلّت إدارة جبهوية لتأمين احتياجات القوات العاملة على الاتجاهين الشرقي، والغربي. وقد ضمت هذه الادارة في عضويتها كلاً من اللواء هوانغ مين تهاو، والعميد فوتهي، والعميد لي زانغ. وبنتيجة تعبئة قسم كبير من القوى العاملة ووسائط النقل التابعة لقوات المنطقة أو لدوائر المقاطعات على حد سواء، فقد تمكنت قيادة المنطقة أن تنظّم ـ لصالح الجبهة ـ ألفي رحلة سيارة لنقل القوات، وإرسال أربعة آلاف طن من مختلف المواد إلى منطقة سايغون.

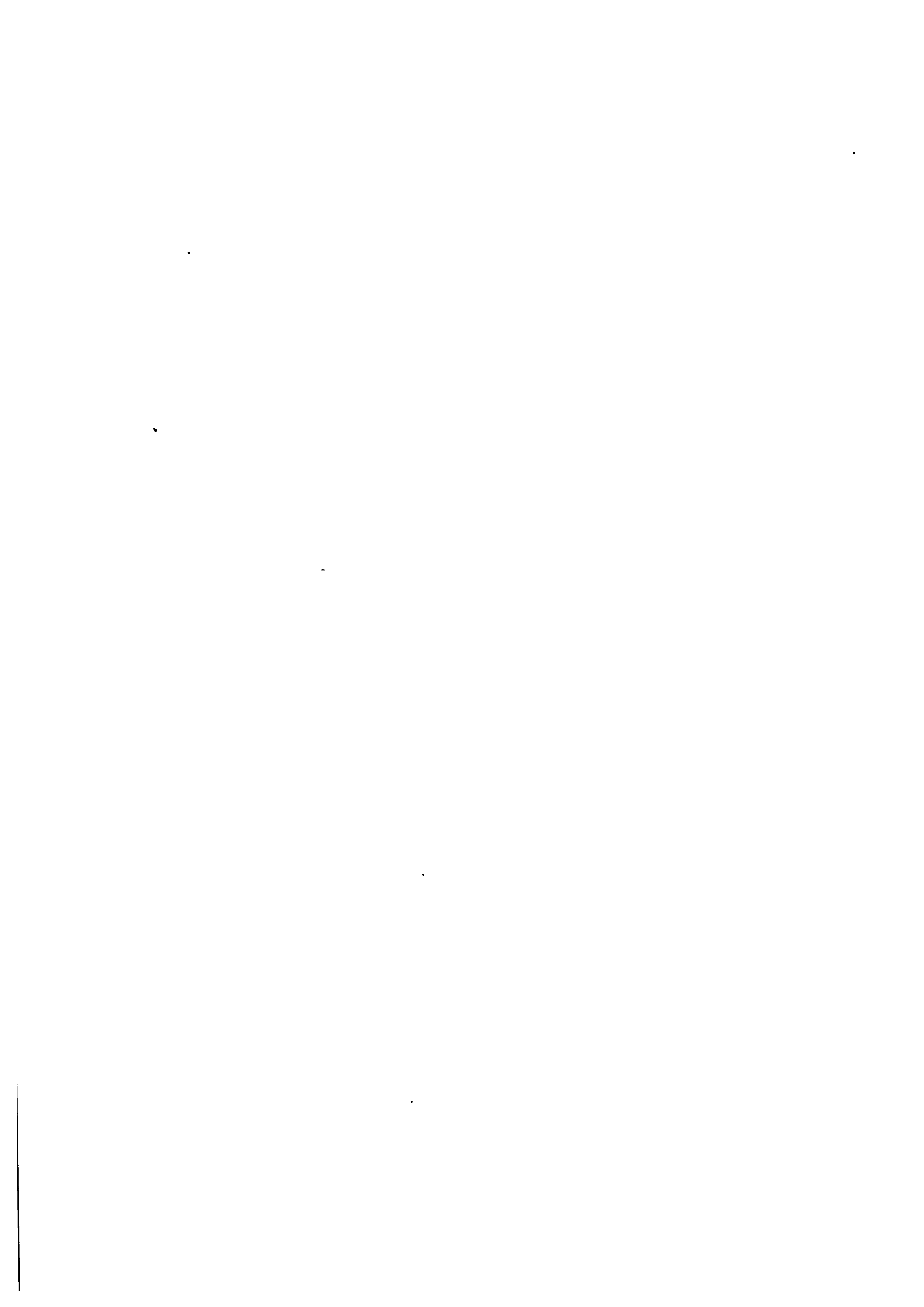
عادت الحياة إلى حالتها الطبيعية تدريجياً في المنطقة المحررة والممتدة ما بين شي ـ تهين، وفان تهيت. كما أن سكان المقاطعات في هذه المنطقة أخذوا يساهمون بقسطهم الفعّال في تأمين عملية «هوشي منه». ومن أجل تقديم المساعدات إلى السكان في التخلّص من الصعوبات التي خلّفتها الحرب (الصعوبات المادية والمعنوية)، وصلت إلى هذه المنطقة من فيتنام الشمالية مجموعات خاصة من الكوادر العاملة، ومن وزارات الصحة، والتجارة، والثقافة، والتثقيف الشعبي، ومن أجهزة الدعاية والاعلام. وفي هذا الوقت كان الوزير شان كوك هوان في طريقه من فيتنام الشمالية إلى فيتنام الجنوبية على رأس مجموعات كثيرة تضم عدداً من العاملين في أجهزة أمن الدولة. وكان يجب على هذه المجموعات العمل بالتعاون مع تشكيلات الجيش،

وقوات أمن الدولة المحلية على استعادة النظام الاجتماعي، والقضاء في حينه على المجموعات المسلحة المضادة للشعب، وتأمين الحياة السلمية للسكان، والمؤخرة الأمينة والمحمية لقواتنا التي ستقتحم سايغون. وهكذا فإن المؤخرة أصبحت في ذلك الحين أكثر اتساعاً وأكبر حجمًا مما كانت عليه. وقد اتّحد مع الشمال الاشتراكي تلك الأراضي الواسعة المحرّرة من فيتنام الجنوبية. ان هذا كله كان له أثر كبير وإيجابي ونتائج عظيمة في مساعدة قواتنا العاملة على خطوط الجبهة وخلق الروح الهجومية في صفوف هذه القوات.

لقد أجبنا على أنفسنا إجابة صادقة بأن رفاقنا العاملين في المؤخرة خلال تلك الفترة، ما كانوا ليعملوا في سبيل صالح اثنين ـ صالحهم، وصالح ابناء الجنوب فحسب، بل وصالحنا نحن أيضاً، الذين كان لنا الشرف بأن نعمل على تلك الخطوط الأمامية. وكنا نعلم حق العلم بأن مقاتلي وعمال الشمال كانوا يهرعون في تلك اللحظات التاريخية نحو الجبهة بكل حماس وصدق.

إنني أستطيع القول جازماً بأنني لم أشهد مثل هذا التوتر في العمل طيلة مدة خدمتي في الأركان العامة، حيث أمضيت هناك أكثر من عشرين سنةً، وخلال حربين من حروب المقاومة. ولا شك في أن كافة رفاقي من مختلف الفروع ـ العمليات، والاستطلاع، والشيفرة، والاشارة. . . . .إلخ ـ لم يعرفوا في تلك الأيام دقيقةً واحدة من الراحة. لأن أعمالهم كانت تغمرهم حتى رؤوسهم منذ الصباح وحتى المساء، وطيلة ساعات الليل، وهي مع ذلك تتطلب الانتباه والدقّة والحزم. كما أن الأركان العامة كان يجب أن تعرف كل شيء يجري في الجبهة، لكي تبلّغ ذلك إلى المكتب السياسي واللجنة العسكرية التابعة إلى اللجنة المركزية للحزب، ولتصدر التوصيات الضرورية بشأن خوض الأعمال القتالية.

ان شعبنا وقواتنا المسلحة كانا في سباق مع الزمن، فقد عملا بكل جهد مستطاع وضمن آلة حرب عظيمة ومتناسقة، تعمل بأعلى مردود لها وبكامل استطاعتها، وتقدّم أفضل نوعية من إنتاجها. كل ذلك بغية تحضير وتنفيذ العملية المسماة «هوشي منه»، تحت قيادة حزبنا صانع جميع الانتصارات.



ساعة الموت للأعداء

في اثناء الهجوم الاستراتيجي العام كان حزبنا يراقب باهتمام شديد نقاط ضعف العدو، ويكتشف في حينه دلائل انهياره من أجل ايجاد اللحظة المناسبة، واستخدامها في الوقت المناسب. ومن المعلوم ان قوة صغيرة يمكن ان تتفوّق في الحرب على قوة كبيرة، وان قوة كبيرة قد تتفوق على قوة اكبر منها، اما السبب في ذلك فإنه يعود الى اللحظة المناسبة، لأنها القوة بحد ذاتها والامكانية.

لقد ادّت التبدلات في ميزان القوى العسكرية، وفي الموقف السياسي الى حدوث انقلاب في الاحداث، غير مناسب للعدو على الاطلاق. ففي الثاني من نيسان اعترف نائب الرئيس الاميركي روكفيلر بما يلي: «يبدو انه فات الاوان لكي نتخذ الاجراءات من اجل تغيير الوضع القائم». غير ان الامبرياليين الاميركيين ظلوا يتمسكون بسياسة العنف والخبث وسفك الدماء. كما ان تجار الحروب أخذوا يتشدّقون في هذه الايام بالاكاذيب والافتراءات محاولين إنقاذ الوضع وتفادي وقوع كارثة «واترلو الثانية»، التي ستطيح بأمجاد زعيمة الامبريالية العالمية.

كانت الجبهة تزداد ضيقاً مع الزمن، في حين كان يزداد عدد جنود وضباط العدو

الذين يفرّون نحو سايغون، مما يؤدي الى تأزم الموقف داخل صفوف العدووإتساع رقعة الذعر والخوف حتى تشمل كافة المواقع. وقال فورد وكيسينجر وهما يواسيان هيو: «اننا نقاسمكم الحزن والأسف لما يجري من انسحاب اضطراري»، ثم اردفا قائلين: «ان الولايات المتحدة الاميركية ستظل تقف باصرار وقوة الى جانب جمهورية فيتنام».

أخذ البيت الأبيض يضغط بكل قواه على الكونغرس الاميركي، لكي يسرع في منح سايغون مبلغ /٧٢٢/ مليون دولار كمساعدات مستعجلة، والحصول على اذن باستخدام القوى العسكرية من اجل ما يسمى بالاجلاء، وتأمين الاجلاء.

وبتأثير دعم وتشجيع اسياده من وراء البحار، اصدر هيو اوامره بتعزيز الدفاع عن المناطق المتبقية لديه جنوبي فان رانغ. وحتى الساعة الاخيرة كان زعماء النظام العميل لا يزالون يعيشون بأوهامهم معتقدين بأن الامبرياليين الاميركيين اصدقاء مخلصون، ومستعدون لمدّ يد المساعدة وانتشالهم من غمرة الزلزال. كما أن مارتين السفير الاميركي في سايغون كان يشبه الطبيب الجالس قرب سرير مُصاب بمرض شديد ـ هيو، لكي يبعث في نفسه الحياة من جديد بواسطة هذه الاوهام والاضاليل.

غير انه لم يبق لدى الجيش المأجور «الوقت الكافي من اجل تنفيذ الفكرة القائلة بالصمود حتى الموت، وليس هناك متسع من الوقت حتى لتعزيز نطاق الدفاع الذي يجب ان يحمي الثلث المتبقّي من فيتنام الجنوبية». هكذا كان يفكّر العدو داخل معسكره المتداعي. وهكذا كان هجومنا الاستراتيجي العام يتطوّر بسرعة خاطفة ويبلغ القمم الجديدة للمجد والفخار.

في كمبوتشيا كان جيش التحرير يزحف نحو بنوم بينه. وفرّ لون نول في اعقاب اسياده الاميركيين، حاملاً معه كيس نقوده فقط. وعندئذ اضطر البنتاغون لتنظيم ما يسمىّ بعملية الرَّخَمْ، اي البدء بالاخلاء. كما ان سفير الولايات المتحدة الاميركية في كنوم بين جون دين استقل الطائرة بصعوبة واقلعت به الى تايلاند. ولم يستطع هذا الأخير ان يحمل معه الا رزمة السيلوفان التي تحتوي على علم الولايات المتحدة الاميركية، الذي أُنزل من على بناء السفارة. اضف الى ذلك ان المستشارين الاميركيين وزعماء الطغمة العميلة غادروا كنوم بين على عجل. وفي السابع عشر من نيسان دخلت قوات التحرير الفيتنامية المدينة، واستسلم النظام الكمبوتشي العميل بدون قيد او شرط. واظهرت الولايات المتحدة الاميركية عدم قدرتها نهائياً، على

التدخّل من جديد في الحرب لانقاذ عملائها. اما السبب فليس يكمن في عدم توفر القوة اللازمة لذلك لدى الولايات المتحدة، بل يكمن في ان حكام الولايات المتحدة الاميركية ايقنوا بأنهم مهما ارسلوا من الاسلحة، وانفقوا من الدولارات، او حتى لو خاطروا بالتدخل من جديد في كمبوتشيا وفيتنام الجنوبية، فإنهم لن يستطيعوا ابداً تغيير الوضع، ولن يستفيدوا من ذلك الا الهزائم الكبيرة والنكسات. وقد رأى المجتمع الدولي في انسحاب الولايات المتحدة الاميركية من كمبوتشيا مقدمة (بروفة) لانسحابها من فيتنام الجنوبية.

لقد كان تحرير كنوم بين وجميع اراضي كمبوتشيا انتصارا عظيمًا ومأثرة بطولية للجيش الكمبوتشي وللشعب. وإن هذه الاحداث كانت تظهر للعيان ضعف وانهيار الامبرياليين الاميركيين في شبه الجزيرة الهندية الصينية. إذ ان القوات الكمبوتشية الشعبية الحقت الهزيمة الكاملة بالمستعمرين الجدد وعملائهم وانذرتهم بهزيمتهم القادمة في فيتنام الجنوبية. لأن السلطات السايغونية المأجورة كانت تراقب الوضع في كمبوتشيا بخوف وارتباك ظاهرين، وبشك في نوايا اسيادها الاميركيين.

في هذا الوقت بالذات كانت الثورة في لاووس تتسع وتمتد رقعتها بنجاح كبير، الامر الذي زاد من رفع الروح المعنوية لجنودنا وضباطنا في الجبهة. وفي مناطق كثيرة تم اعتقال العناصر الرجعية اللاووسية، التي قُدّمت الى المحاكمة وفرضت بحقها العقوبات الصارمة. وهبّت الجماهير الشعبية لتقف بحزم الى جانب الثورة، وسارت وراء حزب الشعب الثوري وجبهة لاووس الوطنية، مطالبة بإقامة السلطة الديموقراطية الشعبية.

ان الامبرياليين الاميركيين والطغمة العميلة واصلوا الدعوة جهاراً «الى الدفاع حتى آخر رجل»، على الرغم من حرج الموقف الذي ينذر بسقوطهم ولكن دعوتهم هذه كانت دعوة خائفة ومرتعدة. لأن هيو حوّل «قصر الاستقلال» الى نقطة دفاعية معززة اضعاف ما كانت عليه سابقاً. وحول القصر اقيمت مساند الرشاشات وحفر الآليات التي تمركزت فيها الآليات المدرعة بمسافة ٣٠ـ٤٠ متراً فيما بينها. وفي الروضة الخضراء وامام منصة العرض كانت احدى الحوامات تقوم بأعمال الدورية طيلة الوقت. كما ان الدبابات كانت تقف في ظلال الاشجار المحيطة بالقصر,

بعد جولة تفتيشية على بعض نقاط الاستناد، قال وزير دفاع الحكومة العميلة

شان فان دون في تقريره الذي قدّمه في الثامن عشر من نيسان ما يلي: «ان الدولة في وضع خطير فعلا، والمصير قد لا يتقرر خلال شهور بل خلال اسابيع او ايام».

في التاسع عشر من شهر نيسان قدّم مارتين السفير الاميركي تقريراً سرّياً الى واشنطن شرح فيه الوضع المخزي للجمهورية العميلة: «قوات العدو ذات امكانيات اكبر من امكانيات قوات الحكومة، وهي تزحف نحو سايغون من جميع الاتجاهات، ولديها الامكانية لتطويق وعزل المدينة خلال اسبوع او اسبوعين. ومع ان الحكومة (!) تستطيع تعزيز تجميع ,قواتها على اتجاه واحد او اتجاهين، عن طريق استدعاء قوات اضافية من مناطق كانت تهو او ميت هو في دلتا الميكونغ، فإن ذلك لا يجدي نفعاً، سوى انه يطيل من عمر سايغون اسبوعاً واحداً تقريباً، لأن العدو يستطيع، على الفور تدمير هذه التعزيزات بقواته المتفوقة جداً».

كان الاميركيون يفرّون من دانانغ، كوي نون، نيا تشانغ والمدُن الاخرى بشكل مبكر وبسرعة اكبر من فرار العملاء السايغونيين. ففي تلك الايام السوداء كان الدخلاء الاميركيون يستعرضون امكانياتهم في الادبار على اكمل وجه. ان مثل هذه الخطط والاحداث كانت عبئاً ثقيلاً على ادارة الرئيس فورد ـ وكيسينجر، التي لم تستطع ان تفعل شيئا حيال ذلك، ولانها ادركت عدم جدوى حتى المخاطرة لانقاذ نظام هيو. ولذلك فإن الفرار كان الحالة الأفضل، والوسيلة الممكنة ايضاً.

في الثامن عشر من شهر نيسان، اصدرت ادارة فورد ـ كيسينجر اوامرها لاجلاء الاميركيين من سايغون بسرعة. وللقيام بهذه المهمة خصصت قوات لهذه الغاية، تابعة مباشرة لحكومة الولايات المتحدة الاميركية، وتحت قيادة دين براون. وفي الحادي والعشرين من شهر نيسان، وفي موقف عصيب جداً بدأت قوات بحرية وجوية كبيرة، يقدر قوامها بخمس وثلاثين سفينة، من بينها اربع حاملات طائرات (اي ثلث مجموع الحاملات تقريباً)، ومئات الطائرات من مختلف الانواع، بإخلاء الاميركيين العسكريين والمدنيين من فيتنام الجنوبية. وفي تلك العاصفة الهوجاء من اعمال الفرار والاخلاء، والتي اطلق عليها في اليوم الاخير اسم «عملية المجاذفين» كانت الحوامات الاميركية تحلق في سماء سايغون بدون انتظام، وتحوم فوق سطح بناء السفارة الاميركية وسطوح المباني الاخرى، كي تلتقط الاميركيين الذين كانوا يتدافعون ويتشاجرون اثناء انتظارهم لهبوط الحوامات. وعندما شاهد جنود الجيش السايغوني العميل فرار

الاميركيين فقدوا آخر امل لهم في الانقاذ. وتذكّروا الماضي وتلك العمليات الرهيبه «عمليات البحث والتدمير» لقد لعنوا حظهم، ولعنوا حلفاءهم الذين تخلوا عنهم في الشدائد. لقد كان العالم شاهد عيان على عملية الفرار التاريخية «عملية المجاذفين» التي قام بها الامبرياليون الاميركيون.

في اثناء مغادرة الاراضي الفيتنامية، كان المعتدون يـواصلون الحاق الأذى والضرر بأبناء شعبنا. فقد حملوا معهم قسراً، الى الولايات المتحدة الاميركية والبلدان الاخرى، بضعة آلاف من اطفالنا، محاولين بذلك اللعب بمشاعر وعواطف الرأي العام العالمي، وخلق انطباع بضرورة تقديم المساعدات الاضافية الى النظام السايغوني، وبالتالي ـ تحويل هؤلاء الاطفال الفيتناميين الى خونة لوطنهم بعد ان ينسوا هويتهم ووطنهم. ان هؤلاء الاطفال الصغار ـ ضحايا الخداع الاميركي الامبريالي والعملاء السايغونيين ـ كانوا يغادرون منازلهم ووطنهم وآباءهم وامهاتهم وهم يذرفون الدموع ويجهشون في البكاء. وقد مات منهم اكثر من مائة طفل في حادث وقع لاحدى الطائرات. ان وحشية الامبرياليين الاميركيين زادت من حقدنا وغضبنا عليهم، وملأت قلوبنا نقمة على الامبرياليين، ودفعتنا للعمل بحسمية اكبر لتحقيق النصر الكامل والعاجل.

في اثناء عملية الاجلاء والفرار، كان المعتدون لا يتورّعون عن استخدام كافة اساليب الحرب النفسية: الخداع، والتضليل، والارهاب، وذلك لكي يجذبوا اليهم عشرات الآلاف ممن يسمون بالمهاجرين. ان هذا في حد ذاته جريمة خبيثة تساعد على تشتت وتمزيق العائلات الكثيرة. والجدير بالذكر ان عملية الاخلاء التي نفذتها الولايات المتحدة الاميركية كانت تهدف الى ما يلي: اقناع الرأي العالمي والمحليّ بأن سكان الجنوب لا يؤيدون الثورة، وترحيل قسم كبير من المثقفين والاختصاصيين الفنيين للاستفادة منهم في الولايات المتحدة والبلدان الاخرى، ولتسخيرهم للعمل ضد بلادنا المحررة. ولكن كم كانت المرارة كبيرة في قلوب ابناء الشعب الفيتنامي من مهجّرين ومنتصرين ازاء تلك الاعمال الخبيثة، وكم كان حقد ابنائنا كبيراً على الغزاة، وعلى اولئك الذين غدروا بشعبهم وبوطنهم.

لقد نشرت صحيفة الجيش السايغوني العميل «تين توين» ـ اي الجبهة ـ مقالة مطوّلة تحت عنوان «جمهورية فيتنام لن تستسلم للشيوعيين ابداً». غير ان أُوياند قال في

الحادي والعشرين من نيسان: «الوضع العسكري لا امل يرجى منه على الاطلاق». وفي خلال الحديث الذي القاه فورد في جامعة نيو أورليانز في الثالث والعشرين من نيسان، اشار بحماس وسخط: «الحرب انتهت بالنسبة للاميركيين. وليس لدينا اية امكانيات لتقديم المساعدة الى الفيتناميين. ويجب ان يكونوا مستعدين لأي مصير ينتظرهم».

بين صفوف «الاسياد» كان يسود المزاج القاتم حول فقدان الامل، وعدم امكانية المساعدة، بينما كانت تشتد الازمة حدة في معسكر «العملاء السايغونيين». ومن المعلوم ان الاستعمار الاميركي الجديد كان يتبع سياسة الرّهان على عدة احصنة في آن واحد. وفي الموقف العادي تلعب هذه السياسة دور البداية المعرقلة للعملاء، موحية بذلك بانتهاج طريق الديموقراطية لخداع السكان، ولافساح المجال في ذات الوقت امام الدور المهيمن للولايات المتحدة الاميركية. غير ان هذه السياسة تؤدي الى نتائج عكسية في لحظات الخطر. فالأقطاب المختلفة في حكومة النظام العميل لا تتآمر على بعضها البعض فحسب بهدف «الصراع ضد الخطر الشيوعي» وتفادي الهزيمة، بل انها تحوّل الهزيمة الى اداة للصراع المتبادل فيما بينها وللمنافسة. وكل عميل من هؤلاء يريد ان يكون الحصان الاخير الذي ستركبه الولايات المتحدة الاميركية الى ان ينهار نظام السلطة العميلة بصورة نهائية. وعندما رأى شان تهين هيم ضعف هيو الذي اختلف معه منذ وقت طويل، طلب من «مجلس الجنرالات» إجبار «الرئيس» على التخلي عن السلطة والاستقالة. كما ان نيغوين كاو كي ـ «الجنرال الكاوبوي» قرر بالتعاون مع كاو فان فين القيام بانقلاب حكومي بعد عزل هيو، والاستيلاء على السلطة. ان تلك الخلافات التي ظهرت بين صفوف الطغمة الحاكمة كان لها عواقب معنوية وخيمة على ضباط وجنود الجيش العميل المنهار. فقد قام هؤلاء الضباط والجنود بقتل بعضهم البعض. اذ قام قائد منطقة الفيلق الثالث اللواء نيغوين فان توان بإطلاق النار على نائبه العميد نيغوين فان هيو، لأن هذا الاخير «لم يعترف بأي امر آخر غير امر الاخلاء».

كنّا نراقب باهتمام شديد الموقف في معسكر العدو، وخاصة مسألة اجلاء الاميركيين. وأوعز المكتب السياسي الينا بضرورة الاسراع في تحضير واعداد القوات للهجوم، بحيث يمكن توجيه الضربة الى سايغون فوراً وفي اللحظة المناسبة.

في النصف الثاني من الحادي والعشرين من شهر نيسان، وفي الوقت الذي كنّا نتفقد سير التحضير لعملية «هوشي منه» للمرة الاخيرة مع الرفيقين لي ديك تهو، وفام هونغ، اعلن نيغوين فام هيو، والدموع تسيل من عينيه عن استقالته من منصب «رئيس جمهورية فيتنام».

وهكذا انتهت المهزلة السياسية للخائن الفيتنامي الكبير، الذي اصبح ذيلاً اميركياً، لتنفيذ الكثير من الجرائم الدامية ضد شعب بلاده. لقد ندب مصيره، ورثى لحاله ولحال اسياده ومرؤوسيه، وأخذ يكيل الشتائم واللعنات كالسكير الهائج. كما انه صبّ غضبه على الاميركيين، قائلا بأن الولايات المتحدة الاميركية لا تريد مواصلة الحرب، وأنها لا تقدم المساعدات، وحرّضهم قائلاً: إذا كنتم اقوياء بالفعل، ادخلوا اللعبة من جديد، ووجهوا ضرباتكم الى الفيتكونغ. ان تنازل هيو عن السلطة وضع حداً لأوهام الولايات المتحدة الاميركية، التي كانت تحاول استخدام مجموعة هيو كأداة لمواصلة سياسة «فتنمة الحرب». وكان يجب على هذا الرئيس العميل ان ينتهي، ليس لأن ذلك قد حدث في عام القط (وهو من مواليد عام الفأر)، بل لأن الصاعقة ضربت الأرض، كالصخرة الجبارة (صخرة زاو، او داتيونغ في فان رانغ)، حيث كانت تقيم والدته المتنسكة في صومعة «لتطهير نفسها من الخطايا والآثام»، رغم رداءة الطقس ووعورة الأرض، وكانت تحرس تلك الصومعة سرية من قوات الامن وكتيبة هندسة. ولا شك في ان هيو سقط بسبب السياسة العدوانية التي انتهجها الامبرياليون الاميركيون والتي كانت تتناقض تماماً مع آمال شعبنا في الاستقلال والحرية.

عيّنت الولايات المتحدة الاميركية عميلاً آخر بدلاً عن هيو، هو شان فان هيونغ. والفرق بينهما كان ينحصر في كون احدهما (الأول) عسكرياً خائناً عديم الانسانية، وكون الثاني موظفاً خائناً خبيثاً. لأن الاثنين كانا يحاولان مواصلة الحرب ضد الوطن والشعب. وادارة هيونغ هي ادارة هيو نفسها ولكن بدون هيو.

لم يكن هناك شخص واحد لا يعلم بذلك السرّ، هو ان هيو، الذي أُقصي عن الحكم كان يسيرّ السَلطة في سايغون، اي انه كان قابعاً في منزله، ويدير الامور من وراء ظهر هيونغ. حتى ان كلاً منهما كان يصرّح بما يلي: «ان الاشاعات حول عشرات الفرق من الفيتكونغ حول سايغون يعتبر بدعة من بدع المعارضة»، او: «لا يمكن ان نصدّق بأن اكثر من عشر فرق من الفيتكونغ قد وصلت الى سايغون، وحتى لو كان

ذلك صحيحاً، فإن طيراننا يستطيع ان يتصدى لها. والآن نحن نمتلك قنابل من نوع CBU، التي تستطيع بلحظة واحدة تدمير فرقة كاملة». وقد اقسم احد انصار هيو في البرلمان بقوله: «نحن لن نسلّم السلطة ابداً للحكومة الاستسلامية المتخاذلة».

في السادس والعشرين من نيسان فرّ هيو مع عائلته الى تايوان بعد ان حمل معه ستة عشر طناً من الذهب والفضة والاوراق الثمينة وغيرها. وعندئذ أخذ العملاء يتداعون الواحد بعد الآخر محاولين اللحاق برئيسهم السابق.

ان الكثير من الخونة الذين لطخّت ايديهم بدماء الشعب، أخذوا يجمعون حقائبهم ويفرّون، دون ان ينسوا اخذ الشهادات والأوسمة التي منحهم إياها الاميركيون. اما فروع البنوك في سايغون، فكانت تغصّ بهؤلاء الذين جاءوا يطلبون سحب ودائعهم المالية. وخلال ثمان واربعين ساعة تم سحب اربعين مليار قرش فيتنامي، اي ما يساوي ستين مليون دولار. واوقفت جميع شركات الطيران الدولية تقريباً رحلاتها الى سايغون، كما ان محطة هاتف سايغون كانت تعاني من جهود مضنية بسبب كثرة الاسئلة عن الوضع في المدينة، وقام بعض طياري سلاح الجو السايغوني بالفرار بطائراتهم الى تايلاند او الى المناطق الفيتنامية المحررة.

من وراء كواليس الحلبة السياسية السايغونية، كان مارتين السفير الاميركي، والدوبلوماسيون الغربيون الآخرون، يقومون بنشاط حثيث. فالضغوط تتوالى من جميع الجهات على الرئيس الجديد شان فان هيونغ، كي يتنحّى عن السلطة ويسلّم زمام الامور لرجل آخر «يستطيع بسهولة ان يدخل في حوار مع جبهة التحرير الوطنية». كما ان هيونغ وافق على تسليم السلطة لشخصية من حزب هيو فقط. والحقيقة انه كان يتمسّك بكرسي الرئاسة، حتى يفسح الوقت امام انصاره لبيع جوازات السفر الى خارج البلاد، وبيع ثروات الوطن بأسعار باهظة. اما نحن فكنّا ندرك تماماً ان معسكر العدو اختار مرشحاً جديداً للرئاسة، كان ينتظر عزل هيونغ بفارغ الصبر. كما ان الكثير من الحملات الدبلوماسية المعقدة قد نفذت من مختلف الجهات في آن واحد. فالامبرياليون الاميركيون وأذنابهم لجأوا الى جميع المناورات الممكنة بما في ذلك المناورات الدوبلوماسية، بغية ايقاف هجوم جيشنا وانقاذ النظام المضاد للشعب من الهزيمة المحقّقة.

كان عملاء الاستخبارات المركزية الاميركية يسرحون ويمرحون في سايغون

كـالافاعي السـامة، يتسللون الى كـل حفرة او زاويـة، حيث يتنصتون ويبثـون الاشاعات: «هيونغ ليس سوى رئيس مؤقت، ومستعد لتوقيع الاتفاقية، الولايات المتحدة الاميركية تنتظر الرد. . .». كما ان الجنرال الفرنسي فانوسين، الذي كان احد اصدقاء هيو، وصديقاً للعملاء الفيتناميين الآخرين الذين عملوا كضباط صغار في فيلق الحملة الفرنسية (خدم هؤلاء لصالح الاميركيين في الجيش السايغوني)، وصل على جناح السرعة من فرنسا قادماً الى سايغون بالطائرة. كان هذا الجنرال ابان حرب الهند الصينية قائداً للفيلق المتحرك الثالث واستطاع ان ينجو من الموت في العديد من المعارك. واليوم يأتي الى سايغون ليقدم المساعدة الى تلاميذه القدامى في محنتهم السوداء، لأنه كان يرغب في تحقيق بعض النجاح في آخر حياته. وهل يصل الغباء الى هذا الحد لهؤلاء الغزاة المتغطرسين؟

كان الموقف يتطوّر وفقاً لمقترحات المكتب السياسي تماماً، والتي قدّمت في كانون الثاني من عام ١٩٧٥. فالولايات المتحدة الاميركية اصبحت ضعيفة جداً ولا تستطيع انقاذ النظام السايغوني من السقوط الكامل.

لقد تبين من المعلومات التي تم الحصول عليها ان الولايات المتحدة الاميركية تقوم بإخلاء الاميركيين علانية، تاركة عملاءها الفيتناميين الجنوبيين امام مصيرهم المحتوم، كما حدث للعملاء الكمبوتشيين من قبل. ان هذه الظروف قلبت الحسابات الاستراتيجية للانظمة العميلة وأجبرتها على العمـل بنهج جـديد. لكن الـطغمة العسكرية الحاكمة درست كل الاحتمالات: حشد القوات للدفاع عن سايغون ـ أولاً، واذا لم يتسنّ التمسك بسايغون، تسحب جميع القوى الى منطق الفيلق الرابع حيث يجب الصمود حتى الرمق الاخير ـ ثانياً.

تسرّبت معلومات من معسكر العدو تفيد بأنه يستعد للانسحاب الى كانت هو (منطقة الفيلق الرابع). وإذا حررنا سايغون كما كان يتوقّع العدو، فإن هناك انهاراً واقنية كثيرة في كانت هو، تمنعنا من استخدام الدبابات والعربات المدرعة والمدفعية الثقيلة، اي تعترضنا صعوبات في الامداد.

في الحادي والعشرين من نيسان وصل الملحق العسكري الاميركي في سايغون الجنرال ويلسون مع المستشارين الاميركيين لشؤون الطيران، الى مطار بين هوي من اجل دراسة الموقف مع قائد الفرقة الجوية الرابعة، على الطبيعة والتأكّد من امكانية

اخلاء الطائرات من بين هوي، وتان شون يات، وتحديد مهام الفرقة الجوية في المعارك الدفاعية لحماية سايغون، في حال توقّف مطار بين هوي عن العمل. كما ان هؤلاء درسوا امكانية نقل قيادة الطيران الحربي الى بينت هوي، اذا لزم الامر للانسحاب الى كانت هو.

غير اننا متأكدون من انه بعد توجيه الضربة الجاسمة وتحرير سايغون زادين، ستسلّم جميع قطعات ووحدات العدو في دلتا الميكونغ وتلقي بأسلحتها. وبعد يوم العمل، واثناء عودتنا الى مقراتنا، واطلاعنا على آخر الانباء عن الوضع في معسكر العدو، اخذت ترتسم في اذهاننا بالتدريج صورة الاحداث الماضية والحاضرة. فقد تذكرنا عضو المكتب السياسي الرفيق نيغوين تي تهان الذي كان منذ اكثر من عشر سنوات قد أرسل من قبل الرئيس هو شي منه والمكتب السياسي، الى الجنوب لكي يشرف بالتعاون مع الرفاق في مكتب الحزب الفيتنامي الجنوبي، على حرب المقاومة ضد المعتدين الاميركيين.

في هذا الوقت قام الامبرياليون الاميركيون بإدخال قواتهم وقوات البلدان التي تسير في فلكهم الى فيتنام الجنوبية بعد ان احدق بهم خطر الهزيمة في «الحرب الخاصة» وبعد ان شاهدوا الارتباك الذي وقع به عملاؤهم، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فقد دخلوا الحرب من جديد لتدمير الشمال مستخدمين لذلك الطيران وسلاح البحرية، ومن اجل وضع ذلك موضع التنفيذ اخذ الامبرياليون الاميركيون يبحثون عن المنفذين المطيعين والامناء. واستمرت عملية استبدال العملاء، وتنصيب خونة جدد بصورة مستمرة داخل القوات المسلحة في سايغون.

لقد درس نيغوين تي تهان الموقف عن كثب في فيتنام الجنوبية، كما انه تفهّم بعمق وبدقّة جميع عناصر الموقف، وحدّد بمهارة طرق الصراع ضد الامبرياليين الاميركيين.

بعد ان وصل الى هانوي لتقديم مذكّرته عن الوضع العام في فيتنام الجنوبية، عاهد نيغوين تي تهان، باسم التنظيم الحزبي، والقوات المسلحة، وجميع ابناء الجنوب، العم هو واللجنة المركزية للحزب على العمل الحاسم لقمع «الحرب المحلية» التي تشنّها الولايات المتحدة الاميركية. وقد قدّم بفكره الحاد والواسع والعميق، الى المكتب السياسي مشروع الخطة الاستراتيجية، مؤمناً بالحركة الهجومية للثورة، وبالامكانيات

التي لا تنضب للجماهير الثورية، وبالمساعدات الكبيرة من الشمال الاشتراكي.

لقد جاء في قرارات المؤتمر التاسع للجنة المركزية للحزب (الفقرة المكرّسة للموقف داخل البلاد)، التي اتخذت منذ احد عشر عاماً خلت، بأنه مهما بلغ عدد الجنود الاميركيين الذين يغزون وطننا، ومهما بلغت شراسة وقذارة الحرب العدوانية التي يخوضونها، فإن الهزيمة لهم بالمرصاد في نهاية المطاف.

وفي اثناء حديثه امام طلاب الدورات المعقودة لدراسة مقررات المؤتمر التاسع للجنة المركزية في المدرسة الحزبية، التي تحمل اسم نيغوين آي كوكا، قال الرفيق تهان في شهر ايلول من عام ١٩٦٤:

«هناك مثل شعبي معروف: «اذا مرض حصان واحد في القطيع، فإن القطيع كلّه يمتنع عن اكل العشب». انهم احصنة، فكيف بالاحصنة البشرية التي تسرح وتمرح في فيتنام الجنوبية هذه الايام. فكلّما اغدق عليهم اسيادهم الاميركيون بالدولارات (وليس بالحشائش)، كلّما اصبحوا اكثر قوة وضراوة. انظروا فتروا: ان الولايات المتحدة الاميركية ما ان غزت بلادنا، حتى هرعت اليها هذه الاحصنة البشرية وهي تتخاصم فيما بينها على اللقمة القذرة، حتى حدث اكثر من عشرة انقلابات خلال عام واحد. فعندما نوجّه اليهم الضربات القوية، فإننا سنحقق الانتصارات الاكبر وسوف يوليّ هؤلاء الأدبار، حيث لا يعضّون بعضهم البعض في هذه الاثناء، بل يعضّون اسيادهم، ويتحوّلون الى احصنة هائجة تثور وتهيج وتخرّب وتهدّم وتقفز وتندفع مسرعة هنا وهناك كي تختبىء من ضربات الثورة التي تروّضها او تهلكها.

عندما كنا نعمل بصحبة الرفيق نيغوين تي تهان، كان يقول دوماً من أعماق قلبه: «ان الرغبة الأولى للعم«هو» ووصيّته أيضاً، هي نفس رغبتنا، نحن الجنوبيين - تحرير الجنوب، وتوحيد البلاد، كي يستطيع العم السفر إلى النصف الجنوبي من البلاد ويلتقي هناك مع الوطنيين الأعزاء والرفاق. لقد أراد العم مراراً، السفر إلى الجنوب. كما أنه تمرّن واستعد للسفر إلى هناك سيراً على الأقدام. غير أن المكتب السياسي كان يرى أنه لا يجوز السماح له بذلك في الوقت الراهن، ويؤجل العم«هو» رحلته ثانية وثالثة وهكذا... ولذلك فإننا يجب أن نعمل معكم جنباً إلى جنب ونقارع الأميركيين الامبرياليين حتى ننتصر عليهم ونحقق السعادة للعم«هو».

العم«هو» يحنّ إلى الجنوب، كما يحنّ الناس إلى منازلهم.
الجنوب ينتظره كما ينتظر الأطفال أباهم.

اليوم لم يعد العم«هو» والرفيق نيغوين تي تهان على قيد الحياة. غير أن وديعة ووصايا العم«هو»، والكلمات الحارة والمؤثرة التي تفوّه بها نيغوين تي تهان وإرادة أكثر من عشرين مليوناً من أبناء فيتنام الجنوبية، تحوّلت الآن إلى حقيقة واقعة بكل عزم وإصرار.

لقد نفذنا رغبة العم «هو» وعبرنا قرى ومزارع مسقط رأس نيغوين تي تهان ـ وعبر أدغال شي تهيد، وتاين غوين، ومزارع الكاوشوك في لوك نين، وزاوتينغ، وتونت هان.

وعلى الطريق المؤدية الى الجنوب، كنّا نسير ونزحف متفكّرين في تلك الغابات كلمات نيغوين تي تهان، ونسمع همساته وكلماته حول طرق النضال ضد الاميركيين. كنا نزحف آنذاك بالقرب من ضريحه، ونحن على مقربة من سايغون ولا يفصلنا عنها سوى بضعة ايام. ومن ذلك المكان انطلق العم هو في عام ١٩١١ للبحث عن طرق لانقاذ الوطن، ومنذ احد عشر عاماً لحق به الرفيق نيغوين تي تهان بثيابه البسيطة وحذائه القديم، وقبّعته الجنوبية المصنوعة من اوراق النخيل، انطلق تهان على قارب صغير للالتقاء مع اعضاء لجنة الحزب في سايغون وتم اختيار المكان بالقرب من قاعدة عسكرية للعدو محاطة بشبكة كثيفة من مراكز الشرطة والمكاتب السرّية.

منذ الايام الاولى، كان حزبنا يعمل في عقر دار المعتدي الاميركي، ليقدّر ويقيّم بشكل صحيح افكار وطبيعة وامكانيات العدو، ويصرّح علانية بضرورة حسمية توجيه الضربات القاضية اليه في تلك الحرب التي اشعلها بنفسه.

لقد استطاع حزبنا ان يحوّل الحرب الى حرب عادلة، حرب من اجل الاستقلال وحريّة الوطن والشعب، ومن اجل السلام والاشتراكية، ومن أجلنا، ومن اجل الاشقاء والاصدقاء المجاورين لنا. وفي احلك الاوقات واقساها لم نفقد الامل بالنصر.

استطاع حزبنا ان يخوض الحرب بمهارة، ويحقق الانتصارات خطوة خطوة على اقوى واغنى عدو رأسمالي في العالم، وان يعبىء قوى الشعب بأسره معتمداً على هذه القوى، ومستخدماً جميع الموارد والطاقات، والقوى الحاقدة على الغزاة الاميركيين،

والتي ناضلت ضدهم الى جانبنا وقدّمت الدعم لنا. لقد سرنا من نصر الى نصر بينما سار الامبرياليون الاميركيون وعملاؤهم من هزيمة الى اخرى.

والآن أنجز حزبنا بمهارة وشرف تلك الحرب الثورية الطويلة. ومع خروج الامبرياليين الاميركيين سقط النظام العميل ولقي حتفه. اما وطننا فكان يجب عليه الالتفات نحو الاستقلال الكامل والحريّة، كما كان ينبغي عليه ان يعود موحداً كما كان في السابق. فالشمال والجنوب يجب ان يعودا من جديد اسرة واحدة. فقد حصل شعبنا على الامكانية الكاملة لبناء الاشتراكية على كامل تراب وطننا.

في الثاني والعشرين من نيسان ابرق الينا الرفيق لي زوان باسم المكتب السياسي ما يلي: «حلّت اللحظة المواتية عسكريا وسياسياً لبدء الهجوم الشامل على سايغون. يجب ان لا نضيّع يوماً واحداً، بل يجب شن الهجوم على العدو في حينه ودون تأخير، وعلى جميع الاتجاهات. فالتأخير ليس لصالحنا لا عسكرياً ولا سياسياً. كما ان الاعمال الحينيّة هي في اللحظة الراهنة الضمانة الوحيدة والاكيدة للنصر الكامل.

اصدروا اوامركم فوراً الى القوات للعمل على كافة الاتجاهات حسب الخطة وبكل دقة، والعمل على تنسيق الأعمال بين القوات المهاجمة من جهة وانتفاضة الجماهير الشعبية من جهة اخرى. ان تعاون القوات على مختلف الاتجاهات، شأنه في ذلك شأن تنسيق الهجوم مع انتفاضة الجماهير، سيتحقق بصورة نهائية وكاملة في اثناء المعارك. اما الآن فإن اللحظة المواتية ترغمنا على العمل بالسرعة الممكنة. ونحن سنحقق النصر الكامل بدون شك اذا ما استخدمنا هذه اللحظة المواتية».

في الثاني والعشرين من نيسان صدّقت قيادتنا على الخطة النهائية لعملية هو شي منه. كما ان الخريطة الحربية التي تحمل الخطوط الحمراء الساطعة التي تشير الى اتجاهات هجوم القوات على سايغون كانت تغطي الطاولة الكبيرة بكاملها.

وبحضور رئيس المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الرفيق لي ديك تهو والرفاق الآخرين، وضع المفوض فام هونغ، وانا كقائد للقوات في هذه العملية، تواقيعنا على الخريطة.

لقد كان ذلك شرفاً كبيراً لنا، لأننا باسم كافة الوطنيين والرفاق الآخرين وباسم مئات الآلاف من ضباط وجنود جبهة سايغون نأخذ على عاتقنا مسؤولية تنفيذ

العملية، تلك المسؤولية التي يلقيها على عاتقنا المكتب السياسي للجنة المركزية بالذات.

واصبحت حسميتنا حسمية الشعب الفيتنامي البطل بأسره، وحسمية حزب كادحي فيتنام المجيد، والجيش الفيتنامي الشعبي المظفّر، ان هذه الحسمية قررت مصير الغزاة الاميركيين الامبرياليين، ونظام نيغوين فان هيو الرجعي والمأجور.

طيلة اربعة آلاف سنة من البناء وحماية الوطن، وخاصة تحت قيادة حزبنا في الوقت الراهن، والشعب الفيتنامي يجمع الخبرات والمهارات ويطوّر قدراته على التمييز الدقيق بين نوعين من الاعداء، والتصدّي لهما على ضوء ذلك.

مهما اختلفت طرق اساليب وقوى النوع الاول، ومهما تميّز بالقسوة والشدّة، ومهما واتته شروط العمل، فإنه لن يستطيع ان ينتصر ابداً على ارادة الشعب الفيتنامي. فالامبرياليون الاميركيون هم اغنى الناس قاطبة والاقوى في العالم الامبريالي الحديث، ومع ذلك فإنهم يتجرّعون الآن مرارة الهزيمة على تراب ارضنا. فبعد عشرين عاماً من التفوّق والسيطرة، وبعد استخدام مختلف الافكار والعقائد، وبعد تصعيد الحرب وزج تعزيزات هائلة في بلادنا، ارغموا اخيراً على نزع رايتهم خلسة والفرار بسرعة محاولين الحصول على ما يسمّى بالسلام المشرّف. ودون ان تحصل الولايات المتحدة الاميركية على اي مكسب في تلك الحرب العدوانية ضد فيتنام، فقد تكبّدت خسائر فادحة ستظل جرحاً راعفاً في جسد الدولة الاميركية والشعب الاميركي لفترة طويلة.

وتقرر مصير المعتدين بدقة وعدل. ولكن ما أَمَرّ وما اتعس ذلك المصير! اما النوع الثاني للعدو فهم خونة الوطن، الذين باعوا انفسهم لقاء حفنة من الدولارات، وباعوا ارواحهم الى الغرباء عن ارضهم. ففي الماضي ظهر عملاء مأجورون امثال شان ايك تاك، ولي تيو هونغ، واليوم نغودين ديم، ونيغوين فام هيو ونيغوين كاو كي وغيرهم. الا ان مصير هؤلاء كان اسوأ واكثر مرارة. وكان هناك عملاء وخونة آخرون بدّلو اسيادهم ثلاث مرات وفي نهاية المطاف قضى عليهم اسيادهم. وكان من بينهم خونة قتلوا بعضهم البعض او دبّروا لبعضهم البعض المكائد والدسائس بسبب النزاع على السلطة والدولارات. كما عرف شعبنا خونة آخرين قاتلوا بضراوة وعنف

ضد الثورة الا انهم استسلموا أخيراً او فرّوا من البلاد خوفاً من غضب الشعب عليهم.

ان هؤلاء ليس لهم وطن في الدنيا. فهم لا يعيشون في سبيل الوطن، ولا في سبيل اي مثل أعلى آخر، بل في سبيل الدولار فقط. وان ما فعلوه حتى الآن ليس سوى اجرام بإجرام ضد الوطن والامة. فهم الذين مهّدوا الطريق امام الاميركيين لدخول بلادنا، وباعوا الجنوب العزيز علينا الى الامبرياليين القادمين من وراء البحار. وخدمة لمصالح اسيادهم حوّلوا الملايين من الفتيان والفتيات الى وقود لمدافع الغزاة، كما حوّلوا عشرات الآلاف من النساء الى متهتّكات في احضان الجنود الاميركيين، والحقوا بالمجتمع الفيتنامي الجنوبي كله اذى لا حدود له، مع العلم ان هذا المجتمع يتمتّع بتقاليد وطنية رائعة، وهو ذو ثقافة عريقة وتاريخ مجيد.

امّا ما قالوه فليس سوى خداع وكذب وديماغوجية، وجهل سياسي مطبق. انهم مجرمون، وليسوا ضحايا. والآن حلّت ساعة الموت لنظام هؤلاء.



ملحمة سايغون

بعد ان تم انجاز تنظيم التعاون بين القوات على مختلف اتجاهات الهجوم، وكذلك بين انواع القوات المسلّحة وصنوف القوات، قسّمنا القيادة والاركان الى قسمين. فتوجّهت مع الرفيق شان فان شا على رأس مجموعة من ضباط الاركان، الى مقر القيادة المتقدّم، لكي نظلّ ضمن اطار الموقف بتفاصيله على ارض المعركة، ونقود القوات عملياتياً عن كثب. اما الرفيقان لي ديك تهو وفام هونغ فقد بقيا في مقر القيادة الرئيسي لدراسة المهام العسكرية والسياسية والدبلوماسية المتعلقة بتحرير سايغون، ومعالجة المسائل العامة للحرب في نامبو بكاملها.

وفي نفس الوقت كانت هناك مسألة مدوّنة في المذكّرة اليومية، يتطلّب حلّها جهوداً كبيرة منا جميعاً. لقد كانت هذه المسألة محصورة في نشر مواضع المدفعية في نون شات من اجل تعطيل مطار تان شون يات. فقد قامت سرايا مدفعيتنا من مرابضها في هيوليم بقصف مطار بين هوا قصفاً شديداً مما أرغم العدو على نقل جميع طائراته من بين هوا الى مطاري تان شون يات وبين هيو (كانت هو). وبذلك استطعنا دفع قواعد طيران العدو لمسافة/ ١٥٠/ كيلومتر الى الوراء. غير ان العدو كان لا يزال يمتلك في تان شون يات عدداً كبيراً من الطائرات القتالية من مختلف الانواع ولذلك فإنه كان

يستطيع ارتكاب جرائم جديدة. وبالاضافة الى ذلك فإن طائرات النقل كانت تقلع من هذا المطار لتنقل باستمرار زعماء النظام العميل الى خارج البلاد.

لقد تضمّن الامر المعطى الى قوات الاتجاه الشرقي، مهمة لاحتلال نون شات في السابع والعشرين من نيسان او في الثامن والعشرين منه كحد اقصى، ووضع سرايا المدفعية من عيار ١٣٠مم في هذه المنطقة من اجل الرمي على مطار تان شون يات. لكن نون شات كانت تقع في مؤخرة العدو العميقة الى الجنوب الشرقي من سايغون، وعلى مسافة اكثر من عشرين كيلومتر عن تان شون يات. ومن اجل الوصول الى نون شات وتجهيز مرابض المدفعية هناك، كان يجب احتلال قاعدة نيوك شونغ العسكرية ومركز قضاء لونغ هان. واذا نحن استطعنا تحقيق هذه الفكرة، فإنه لن يشلّ عمل المطار فحسب، بل ستقطع طرق انسحاب العدو نحو البحر عن طريق نهر لونغ تاو. غير انه في حال حدوث خلل او تأخير في نشر المدفعية فإن خطة التعاون القتالي للقوات ستصبح مهددة بالخطر.

في مساء الخامس والعشرين من نيسان، وبعد الاستماع الى تقرير نائب قائد قوات الدفاع الجوي والقوى الجوية العقيد هوانغ نفوك زيو عن الوضع في مطارات العدو التي استولينا عليها والواقعة الى الشمال من فان رانغ، وبعد ان علمنا بأن طيارينا وفنيّينا في قاعدة دانانغ الجوية استوعبوا بقيادة نائب رئيس اركان قوات الدفاع الجوي والقوى الجوية العقيد شان مان استخدام وصيانة الطائرات المعادية المغنومة من نوع آ-٣٧، بعد هذا كله قرّرنا استخدام هذه الطائرات لتوجيه الضربات الى مطار تان شون يات. لقد كانت هذه الطائرات بدون شك الواسطة القويّة والفعّالة لتعطيل المطار عن العمل، واضعاف الروح القتالية في الجيش العميل حتى الدرك الاسفل، كما انها سدّت الطريق امام انسحاب العدو بسهولة وحرمته من نقل الطائرات الى خارج الحدود، من مطار تان شون يات. وعندما تعرّض العدو لضربات طيراننا، ادرك اننا مسيطرون في سماء فيتنام الجنوبية ايضاً. وبذلك من شأن قواتنا الجوية ان تحصل على امكانية المشاركة المباشرة في هذه العملية التاريخية، الامر الذي يكسبها خبرات وتجارب اضافية تفيدها في النشاط التدريبي والتنظيمي والقتالي في المستقبل.

قبل ذلك كنّا قد التقينا مع قائد قوات الدفاع الجوي والقوى الجويّة العقيد داو دين لوين، واستمعنا الى تقريره الشامل عن الوضع في سلاحنا الجوي وبحثنا

مسألة استخدام المطارات الثلاثة الكبرى المتبقية في نامبو بعد تحريرها. وعندئذ اسندنا الى الطيران مهمة الاستعداد بسرعة وبشكل منظّم، من اجل نشر القوى في حينه وكسب السيطرة الجوية في جميع مناطق البلاد بما في ذلك المياه الاقليمية وسلسلة الجزر الواقعة في البحر المكشوف.

ان مسألة تدريب طيارينا على قيادة الطائرات المغنومة، كانت قد طرحت فوراً بعد الاستيلاء على عدد قليل من الطائرات والمطارات في منطقتي الفيلقين الاول والثاني. وحول هذه المسألة تبادلنا الرأي مراراً مع الاركان العامة وقيادة قوات الدفاع الجوي والقوى الجوية. واصدرت الاركان العامة الى هذه القيادة توجيهاتها لمعالجة هذه المسألة وحلّها فوراً وبصورة ايجابية.

طرحت السؤال التالي على هوانغ نفوك زيو: «الوقت اللازم للتحضير اصبح قصيراً جداً. وبعد يومين او ثلاثة يجب توجيه الضربات الى تان شون يات فهل تعتقدون بأن ذلك ممكن؟» فأجابني بقوله: «اننا سننفذ الامر مهما كانت الظروف والاسباب. واسمحوا لي ان اتوجه مساء اليوم الى فان رانغ، وارجوكم ان تبرقوا الى قائدنا الرفيق لي فان شي، الموجود الآن في هانوي، لكي يأمر على الفور بنقل الطيارين والفنيين والطائرات من دانانغ الى مطار تهان شون».

بدأ هطول الامطار الاولى في نامبو الشرقية، وهبت الرياح القويّة وفي هذه اللحظات نهض الرفيق هوانغ نفوك زيو واقفاً ليودعني. فقلت له وانا اشدّ على يده: «استعجلوا، وابذلوا كل جهودكم بسرعة فلم يبق لدينا سوى ثلاثة ايام، واذا لم تستطيعوا تنفيذ ذلك حتى ٢٨ نيسان فإنكم تخسرون الفرصة النادرة. ولم يبق امام طيرانكم القتالي سوى يوم واحد، وانها الامكانية الاخيرة والوحيدة لتحقيق المأثرة والبطولة».

كان ينبغي تحديد اليوم بدقة لأنه حسب خطة العملية، يجب على مدفعيتنا البعيدة المدى ان تبدأ الرمي في الثامن والعشرين من نيسان على مطار تان شون يات من مرابضها في نون شات. وفي هذا اليوم ايضاً يجب على قواتنا ان تزحف من جميع الاتجاهات نحو حدود مدينة سايغون، اي ان بعض وحداتنا ستدخل مطار تان شون يات بالتأكيد. وإذا ما حددنا لطيراننا التوقيت المبكّر اي قبل الثامن والعشرين من نيسان، فإنه على الارجح لن يستطيع الاستعداد والتحضير للمهمة.

في صبيحة السادس والعشرين من نيسان توجهنا نحو مقر القيادة المتقدّم الواقع الى الشمال الغربي من بين كات، وفي احدى القواعد السابقة لاحدى مفارز الانصار الخاصة التي كانت تعمل في سايغون. فمن هذه القاعدة بالذات كان انصارنا يشنون الهجمات المتلاحقة على الأهداف المعادية في قلب مدينة سايغون مكبدين الامبرياليين الاميركيين والطغمة العميلة خسائر فادحة. كان مقر القيادة يقع في كوخ متواضع مسقوف بأغصان النخيل النادرة. وكان الكوخ مثقوباً من جميع الاتجاهات ويمكن من داخله رؤية السماء الزرقاء عبر السقف. وبعد يومين أي في الثامن والعشرين من نيسان قدم الينا في مقر القيادة الرفيقان لي ديك تهو، وفام هونغ. ونظراً لأن عملية «هو شي منه» كانت قد بدأت في مساء السادس والعشرين من نيسان وفي نهاية التوقيت المحدد لها، فإن هذين الرفيقين الموجودين على مسافة ثلاث ساعات بالسيارة من مكان وجودنا، لم يتمكنّا من تقييم التبدلات في الموقف في الوقت المناسب واتخاذ القرارات المناسبة، لاعتقادنا بضرورة وجود القيادة بكاملها في مكان واحد، لكي يمكنها ان تستوعب تفاصيل الاحداث برمّتها.

لقد مضى بذلك اربعة وعشرون يوماً على انتقالنا من تاين غوين الى اركان قيادة ب ـ٢، عندما بدأت عملية «هوشي منه» في الساعة ١٧٠٠ من يوم ٢٦ نيسان عام ١٩٧٥ بصبائب المدفعية المدوّية. والجدير بالذكر هنا انه حسب الخطة كان يجب على قواتنا ان تتحرّك منذ صباح السابع والعشرين من نيسان نحو ضواحي سايغون من كافة الاتجاهات. وفي الجنوب الغربي تقرّر قطع الطريق رقم ـ٤ في عدة اماكن بين جسر بين َليك وحتى معبر ميت هوات، وفي التاسع والعشرين من نيسان، ينبغي على قواتنا ان تبدأ بافتحام المدينة في كل مكان.

ومن اجل تأمين التنفيذ الحازم لخطة الهجوم كان يترتّب على قواتنا العاملة على خمسة اتجاهات اجتياز موانع مختلفة. فعلى الاتجاهين الشمالي الغربي، والشمالي، وعلى الاتجاه الجنوبي ايضاً كان يجب عليها ان تعبر نهري بي و فام كو دونغ بقوى كبيرة مع عتادها الثقيل، لتطوّق وتدمّر او تأسر حاميات العدو في هاون غيا، كوتي، فولوي، وبذلك تؤمن الزحف السريع نحو المدينة من قبل التشكيلات التي تنفذ مهمتها لاحتلال الاغراض الرئيسية في وسط المدينة. وعلى الاتجاهين الشرقي والجنوبي الشرقي كان يجب احتلال بين هوا، باريّا، فونغ تاو، لونغ تهان، ونشر مرابض المدفعية في

نون شات، الامر الذي يساعد على احكام الطوق وتمزيق قوى العدو قبل بدء الاقتحام الحاسم للمدينة والمقرر في التاسع والعشرين من نيسان.

من الجدير بالذكر اننا تلقينا في الرابع والعشرين من نيسان، وبينما كنا موجودين في مقر القيادة الرئيسي، برقية من نائبي، قائد قوات الاتجاه الشرقي الجنرال لي شونغ تان (على هذا الاتجاه كان يعمل فيلقان من القوات). وقد جاء في هذه البرقية ان قيادة قوات الاتجاه الشرقي توافق بالكامل على رأي اركان المستوى الاعلى حول المهام الملقاة على عاتق القوات وطرق الأعمال، وهي تبذل كل ما في وسعها لتنفيذ الامر بحذافيره. اما بخصوص وقت بدء الهجوم، فإن قوات الاتجاه الشرقي لا تستطيع ان تشارك في اقتحام سايغون في التاسع والعشرين من نيسان، اذا ما بدأت في السابع والعشرين منه الهجوم في آن واحد مع قوات الاتجاهات الاخرى، لانها في التاسع والعشرين من نيسان ستكون موجودة على مسافة ١٥-٢٠ كيلومتراً عن المدينة. كما ان العدو حشد على الاتجاه الشرقي قوات كبيرة واصبح لا بد من عبور النهرين الكبيرين - دونغ ناي وسايغون. وانطلاقا من ذلك فقد طلب لي شونغ تان السماح لقواته ببدء الهجوم مبكّراً، اي في الساعة ١٧٠٠ من تاريخ ٢٦ نيسان. ومن اجل تقديم التفصيلات حول هذه المسألة وصل الينا، بتكليف من قائد قوات الاتجاه الشرقي، العقيد لي في لونغ في الخامس والعشرين من نيسان. وبعد الاستماع الى تقرير هذا العقيد، والاقتناع بأن تلبية هذا الطلب لا تؤثر ابداً على الخطة العامة للهجوم، بل انها تؤمن امكانية توجيه الضربة القوية والمشتركة الى المدينة، ارسلنا الى لي شونغ تان برقية بالموافقة على طلبه. ومع ذلك فقد ذكّرنا القوات العاملة على الاتجاهات الاخرى، بضرورة التقيّد بالخطة الموّحدة للاعمال القتالية وابلغناها ثانية بموعد بدء الهجوم من قبل قوات الاتجاه الشرقي.

طيلة ليلة السادس والعشرين من نيسان ونهار السابع والعشرين منه كنا نراقب وننسّق اعمال تحرك قواتنا على الاتجاه الشرقي، وفي الوقت ذاته نحثّ القوات العاملة على الاتجاهين الشمالي والشمالي الغربي للاسراع في حشد القوة النارية وتركيزها لتدمير مرابض مدفعية العدو، واستكمال المجموعة الضاربة للاستيلاء على الاغراض في سايغون. اما على الاتجاه الجنوبي الغربي فقد تركّز اهتمامنا على تأمين عبور الدبابات

والمدافع الثقيلة من عيار ١٣٠مم لنهر فام كو، وتنظيم حصار الطريق رقم ـ٤ بصورة نهائية.

وفي ليلة الثامن والعشرين من نيسان، اي بعد يوم واحد من بدء العملية، وصلتنا نشرة الاعمال القتالية الى مقر القيادة، والتي تضمنت ما يلي:

على الاتجاه الشرقي انتقل فيلق الجيش الثاني الى الهجوم في الساعة ١٧٠٠ من يوم ٢٦ نيسان. وحوالي عشر كتائب مدفعية صبّت نيرانها على العدو. وبعد التمهيد المدفعي تحركت قطعاتنا ووحداتنا من غابات المطاط وانقضّت على مواضع العدو. وخلال ساعتين استطاعت الفرقة ٣٠٤ الاستيلاء على مبنى كلية القوات المدرعة، وعلى جزء من اراضي قاعدة نيوك شونغ العسكرية. حيث كان يجري في هذا الوقت تدريب الطلاب الضباط، ومجموعة من ضباط الدبابات. لقد قاوم هؤلاء بعنف وضراوة، ولم يتمكنوا من شنّ الهجمات المعاكسة طيلة يوم ٢٧ نيسان. غير ان قطعاتنا ووحداتنا لم تستطع التقدم، كما اضطّرت الى صد غارات طيران العدو الذي كان يدعم اعمال قواته البريّة. وفي هذه الاثناء عمّ العطش، نظراً لارتفاع درجات الحرارة واصبح لزاماً علينا نقل مياة الشرب مباشرة الى الخطوط الامامية.

استولت الفرقة ٣٢٥ بالتعاون مع الفرقة ٣٠٤ على قاعدة لونغ تهان العسكرية، وقطعت الطريق رقم ـ١٥ وحرّرت فيوك تهيونغ وطوّقت لونغ تان. امّا الفرقة الثالثة من المنطقة العسكرية الخامسة، التي أُلحقت اثناء العملية على فيلق الجيش الثاني، فقد تمكّنت بدعم من المدفعية الثقيلة والدبابات، وبعد معركة ضارية استمرت ثلاث ساعات، من الاستيلاء على مركز قضاء ديك تهان، وفي السابع والعشرين من نيسان وفي الساعة ١٥٠٠ بالذات حرّرت مدينة باريّا برمتها، ثم شنت هجومها باتجاه فونغ تاو. وفي هذه اللحظة نسف العدو جسر كوماي واضطرت الفرقة الى التوقف عن الهجوم حتى الانتهاء من ترميم الجسر. وبالتعاون مع الجيش النظامي، قامت التشكيلات المحلية والميليشيات الشعبية في مقاطعة باريا بمهاجمة مخافر العدو العسكرية، ومراكز المناطق، والقواعد العسكرية، وحررت جزءاً كبيراً من اراضي المقاطعة.

استطاع فيلق الجيش الرابع العامل على الطريق رقم ـ١ ان يستولي، بالجهود المشتركة لقطعات مختلف صنوف القوات، على منطقة شانغ بوم العسكرية الصغيرة،

ومن ثم شن هجومه على بي هوا، إلا انه اوقف امام مقاومة العدو، الذي اقام في تلك المنطقة موضعاً دفاعياً محصّناً تحصيناً جيداً، وهنا اقيمت ايضاً الخنادق المضادة للدبابات لأول مرة في تاريخ حرب الهند الصينية.

في هذه الفترة تمكنت وحدات القوات الخاصة من الاستيلاء على جسور: راتيتيك، رات كات، غين، والجسر الواقع على نهر سايغون. كما ان العدو شنّ هجمات معادية شرسة. وخلال المعارك الضارية انتقلت بعض الجسور من سيطرة طرف الى سيطرة طرف آخر اكثر من مرّة، مثل جسر رات كو، او الجسر الواقع على نهر دانغ ناي، وفي النهاية استطاعت وحدات القوات الخاصة ان تتمسّك بهذه الاغراض الهامة. لقد كان لوحدات القوات الخاصة ومآثرها البطولية اسهام كبير في الاستيلاء على طرق الزحف نحو سايغون، وفي تلك الايام ابطلت مدفعيتنا البعيدة المدى مطار بين هوا من مرابضها في هيوليم. واضطر العدو الى إخلاء طائراته الى تان شون يات، وفرّت قيادة منطقة الفيلق الثالث في الثامن والعشرين من نيسان الى غواب.

على الاتجاه الجنوبي الغربي والى الشمال من معبر ميت هوان، حاصرت قواتنا الطريق رقم ـ٤ في القطاع بين جسر بين ليك وتقاطع طرق تشونغ ليونغ، ومن كاي لاو حتى انخيو، وثبّتت الفرق السابعة والتاسعة والثانية والعشرين وعزلتها عن تجميع قوات سايغون. وبذلك خلقت الشروط المواتية لهجوم قواتنا على الاتجاهات الاخرى. ومن اجل احتلال جسر آنين الواقع على نهر فانكو وتأمين عبور القوات الرئيسية لذلك النهر (فرقة المشاة التاسعة المعززة بقطعات مدرعة ومدفعية)، استخدمت مجموعة القوات الـ٢٣٢ احدى فرقها العاملة. لا بد هنا من الاشارة الى ان الصعوبة الرئيسية التي واجهتنا على هذا الاتجاه كانت تتمثل في ان عبور العتاد القتالي للنهر كان يجري ببطء اكبر مما هو مقرر في الخطة. ومع ذلك فإن الفوجين المستقلين الرابع والعشرين والثامن والثمانين استطاعا الوصول الى المنطقة الثامنة من سايغون.

على الاتجاه الشمالي دمرت قوات فيلق الجيش الاول عدداً من مرابض مدفعية العدو، وسيطرت بالكامل على قطاع من الطريق رقم ـ ١٦، انطلقت منه القوى الضاربة الموجهة لاحتلال اغراض في قلب المدينة. وفي هذه الساعة اصبحت هذه القوات على مسافة سبعة كيلومترات الى الشمال من تهوزاوموت.

وعلى الاتجاه الشمالي الغربي استطاع فيلق الجيش الثالث خلال يوم واحد ان يقضي تماماً على احد عشر مربضاً لمدفعية العدو من اصل مجموع ثمانية عشر مربضاً، ويقطع الطريقين رقم -٢٢ ورقم -١، وبذلك قطع الطريق امام انسحاب الفرقة الخامسة والعشرين المعادية من تينين الى دونغ زو، وأجبر احدى كتائب فوج المشاة الخمسين على الاستسلام.

استطاعت احدى وحداتنا الخاصة بالتعاون مع فوج زادين، احتلال قطاع من الطريق الدائري حول سايغون، والممتد بين جسر بين فيوك وكوانشي، وازالة الحواجز التي اقامها العدو شمالي مطار تان شون يات، وتطهير طريق الهجوم امام القوات النظامية.

حسب تقديراتنا العامة، كانت كافة تجميعات القوات قد نفذت الخطة المحددة بصورة عامة، إلا انه على الاتجاهين الشرقي، والجنوبي الشرقي كانت لا تزال بعض الصعوبات التي يجب ازالتها مهما كلّف الامر، خلال الثامن والعشرين من نيسان. وكان من المهم بشكل خاص نشر مرابض المدفعية في نون شات. وعلى الاتجاه الشرقي، والاتجاه الشمالي الغربي أبدى العدو مقاومة ضارية، وشن عدداً من الهجمات المعاكسة، محاولا عدم تمكيننا من الاستيلاء على القاعدتين العسكريتين نيوك شونغ وهوناي من اجل زج القوات الضاربة في المعركة، والمخصصة لاحتلال الاغراض داخل المدينة، وعزل الفرقة الخامسة والعشرين عن سايغون. ولكن حلّت الساعة، التي لا تنفع فيها جميع التدابير لانقاذ النظام الدفاعي للجيش العميل من الانهيار الكامل. فقد قام احد ضباط فرع العمليات في قيادتنا بإجراء هذه المقارنة الشيّقة: «ان الثامن والعشرين من نيسان هو بالنسبة للعدو في سايغون مشابه تماماً للتاسع من آذار في بون ميت هوت».

في النصف الثاني من يوم الثامن والعشرين من نيسان عرضت الحلقة الاخيرة من كوميديا الجمهورية السايغونية العميلة: فبعد مناقشات ومشادّات حادة، وتحت ضغط الاسياد الاجانب، اعلن شان فان هيونغ عن استقالته من السلطة. اما «الرئيس الجديد» فقد دعا الجيش العميل على الفور «للدفاع عن الأرض»، و«عدم القاء السلاح». وقد وصلتنا معلومات عن ذلك الى مقر القيادة في حين كنّا نسمع بالهاتف تقرير نائب قائد فيلق الجيش الثالث كيم توان حول نتائج التحضير للمعارك

في دونغ زو. وفي هذه اللحظة بالذات وصل الى مكان وجودنا ضابط من الاركان وابلغنا وهو يقهقه فرحاً وسعادة: في الساعة ١٥٤٠ اقلع من مطار تان شون سرب مؤلف من خمس طائرات من نوع أ ـ٣٧ يقودها طيارونا البواسل بقيادة نيغوين تهان شونغ لقصف تان شون يات.

لقد كان ذلك هجوماً عظيماً ومشتركاً، تحقق فيه التعاون الكامل بين جميع انواع وصنوف القوات المسلحة في جيشنا. ونظراً لأن هذا الهجوم شنّ في اللحظة المناسبة والخطيرة، فقد أحدث تأثيراً كبيراً على سير العملية. وتذكرنا الحديث مع هوانغ نفوك زيو في مساء الخامس والعشرين من نيسان، وكلماته الصارمة قبيل الوداع: «لم يبق سوى يوم واحد، والامكانية الاخيرة الوحيدة». ان قيادة قوات الدفاع الجوي والقوى الجوية حققت بأعمالها تلك الحسمية، وطبّقتها بفعالية كبيرة على ارض الواقع. فقد قام قائد هذه القوات لي فان شي بنفسه؛ بالتوجه الى مطار تهان شون مع الرفاق الآخرين، وتفقّد سير التحضيرات، ووجّه الطيارين قبل اقلاعهم لتنفيذ المهمة القتالية.

عندما ظهرت طائراتنا فوق تان شون يات، أخذ جنودنا يتساءلون من المركز الأرضي لقيادة الطيران: «لمن تعود هذه الطائرات نوع أ ـ٣٧؟ ابلغونا لمن تعود؟»، فيجيبهم طيارونا: «نحن طائرات اميركية الصنع».

وفي اعقاب ذلك انهمرت القنابل من مختلف الانواع على عدد من الطائرات المعادية الجاثمة على ارض المطار لتدمرها نهائياً. كما ان الانفجارات هزّت سايغون بأسرها، وغطّت المدينة سحب سوداء قاتمة. وقد اسفرت هذه الغارة الجريئة عن تدمير عدد من طائرات العدو، بما في ذلك الطائرات الاميركية التي ساهمت في عمليات الاخلاء، الأمر الذي زاد من حدّة الذعر والخوف في معسكر العدو. إذ لم يبق لدى العدو مكان امين واحد، وليس لديه منفذ واحد للهروب من ضرباتنا الساحقة.

كان هناك بين صفوف العدو من ظنّ بأننا قصفنا المطار بواسطة طائرات استولينا عليها، ومن ظنّ ان ذلك من عمل احد التشكيلات الجوية السايغونية، الذي انضم الى صفوفنا. حتى ان، في مقر قيادتنا، ظنّ بعض الرفاق، الذين لم يطّلعوا على تفاصيل العملية، بأن ذلك هو «نيغوين تهان شونغ آخر».

في هذا الوقت تلقينا معلومات عن نتائج جيدة لأعمال قواتنا المسلحة في البحر.

فبعد تحرير الجزء القاريّ من المنطقة العسكرية الخامسة، على ضوء التوجيهات التي اصدرها المكتب السياسي للجنة المركزية واللجنة العسكرية للحزب، اسندت اللجنة الحزبية في تلك المنطقة، وقيادة المنطقة العسكرية الخامسة الى قوات المنطقة مهمة ذات افضلية اولى، وهي: تطوير الهجوم باتجاه الجزر الواقعة ضمن حدود مياهنا الاقليمية. ان هذه المناطق البحرية من بلادنا، والمناظر الجميلة والمقدّسة كانت في الماضي مصدر الهام لشعرائنا، كما انها كانت شاهداً على المآثر المجيدة التي قام بها مقاتلونا وابناء شعبنا خلال سنوات حرب المقاومة. فهنا كانت تمر طرق سفننا وزوارقنا التي تنقل الذخائر والمواد الغذائية والقوات من الشمال الى الجنوب، ومن الجزء الجنوبي من البلاد الى الجزء الاوسط. واستخدمت تلك الجزر الصغيرة الخضراء كنقاط استراحة وكمساتر ومخابىء ايضاً. كما انها كانت غنيّة بالشواطىء التي تكثر فيها الاسماك، وتعتبر جزءاً من «ممر هوشي منه في بحر الصين الجنوبي».

تنفيذاً لاوامر لجنة المنطقة الحزبية وقيادة المنطقة العسكرية الخامسة، قامت وحدات التشكيلات الاقليمية، وانصار قضاءهويان بتحرير جزيرة كولاوتام في الثلاثين من آذار وبدعم من الانتفاضة الشعبية هناك. وفي هذا اليوم بالذات انتفض سكان جزيرة كونغ شون (كولاوري)، بقيادة الخليّة الحزبية المحلية، للنضال ضد الخونة، واستولوا على السلطة، ثم سلّموا قيادة الجزيرة الى مقاتلينا باحتفال مهيب. وفي الاول من نيسان انتفض سكان كولاوسان وحرّروا جزيرتهم. وفي العاشر من نيسان ايضاً، قامت وحدات من القوات الخاصة في مقاطعة كهان هوا بتحرير جزيرة هونشي بالتعاون مع احدى كتائب الفرقة ٩٦٨.

في التاسع من شهر نيسان، وعلى ضوء التطور الناجح للاحداث، اصدرت القيادة العامة اوامرها الى قيادة المنطقة العسكرية الخامسة بمهاجمة وتحرير ارخبيل شيونغ شا (سبراتلي)، الذي كانت تستولي عليه القوات العملية، وذلك بالتعاون مع الاسطول البحري والقوى المناسبة الاخرى. وتنفيذاً لهذا الامر، طهّرت قواتنا من العدو جزر شونغ تي تي، شونكا، ناميت، شين تون، آن بانغ، وشيونغ شا. وفي السابع والعشرين من نيسان حررت وحدات القوات الخاصة ووحدات المشاة التابعة للفرقة ٩٦٨، جزيرة كولاوتهو. ثم تم تحرير الجزر القريبة من الشاطىء والجزر

الواقعة في البحر المكشوف على خط عرض واحد مع فيتنام الوسطى.

لقد كان تحرير هذه الجزر مأثرة رائعة لمقاتلي قوات المنطقة العسكرية الخامسة والاسطول البحري. فباستخدامها للاساليب الماهرة والجريئة، التي تؤمن المفاجأة الكاملة في خوض المعركة، وباستفادتها من اللحظة الحاسمة والمواتية، استطاعت هذه القوات العاملة تحت القيادة البارعة، ان تهاجم العدو بسرعة حاسمة وتحرز النصر المؤزر.

بعد تحليل للموقف العام توصّلنا في مساء الثامن والعشرين من نيسان الى استنتاج مفاده ان العدو واقع في حالة من الارتباك الشديد، وان قيادة القوات العميلة اصيبت بالشلل التام، كما ان قيادة منطقة الفيلق الثالث المعادية اخذت تغادر بين هوا. وخلال اليومين الاولين من المعارك نفذت تجميعات قواتنا على الاتجاهات الخمسة المهام القتالية الواردة في الخطة، ولذلك فإن قيادة عملية هو شي منه اصدرت اوامرها ببدء الهجوم العام على سايغون في صباح التاسع والعشرين من نيسان.

في الساعة الخامسة من صباح التاسع والعشرين من نيسان، عندما كانت قواتنا قد انتقلت الى الهجوم على جميع الاتجاهات، تلقينا من المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب برقية لاسلكية جاء فيها:

«١ـ المكتب السياسي يحيّي بحرارة كافة الوحدات والقطعات العسكرية التي حقّقت النجاحات القتالية الكبيرة في الايام الاخيرة. تولى الأهمية الخاصة للقضاء على التجميعات المعادية التي تدافع عن المشارف الشرقية والشمالية، والشمالية الغربية، والجنوبية الغربية لمدينة سايغون. ولحصار وقطع الطريق رقم ـ٤، وللضربات الموجهّة الى مطارات العدو الكبيرة، وللاعمال النشطة والمؤثرة على ضواحي سايغون وداخلها.

ان المكتب السياسي يدعو كافة ضباط وجنود واعضاء الحزب واتحاد الشبيبة الشيوعية لتوجيه الضربة بحسم وفي الوقت المناسب الى القلعة الاخيرة للعدو، وتحطيم مقاومته، والربط بين هجوم القوات واعمال الانتفاضة الشعبية، لتحرير سايغون ـ زادين بالكامل.

وفي ذات الوقت، ينبغي التقيُّد بالانضباط الصارم وتنفيذ كافة التوجيهات والاوامر الصادرة عن القيادة بحذافيرها، والمحافظة على حياة وممتلكات المواطنين، بغية ترسيخ

الايمان بالافكار والمعتقدات الثورية الخيّرة، والتقاليد العريقة لجيشنا، كما يجب تنفيذ المهام على خير ما يرام وتحقيق النصر الكامل في هذه العملية التاريخية التي تحمل اسم هوشي منه العظيم.

٢ـ مع تركيز الاهتمام على قيادة اعمال تحرير سايغون ـ زادين، يجب في الوقت ذاته مراقبة سير التدابير التحضيرية التي تهدف الى الاستفادة السريعة من خصائص موقفنا، لتدمير او تمزيق فلول قوات العدو في المناطق الاخرى وخاصة في دلتا الميكونغ وكذلك في جزيرتي بولو ـ كوندور، وفوكوك، وتحرير فيتنام الجنوبية بكاملها.

كما يجب القتال حتى النصر النهائي، وتعبئة الروح الثورية على اوسع نطاق، للصراع الحاسم والشامل ضد اية ظاهرة من مظاهر التخاذل او التقصير.

٣ـ عند دخول المدينة، يجب على الكوادر الادارية من مختلف المستويات والفئات، ان تهتم قبل كل شيء بحياة الجماهير الكادحة. لأنه بنتيجة سياسة الاستغلال التي اتّبعها النظام القديم، واضطهاد البورجوازية المأجورة اصبحت اسر كثيرة من العمال والكادحين بدون مؤونة الأرز ولا تمتلك المال اللازم لشرائه. لذلك يجب الحصول على الأرز فوراً من مستودعات العدو، وتوزيعه على الاسر المحتاجة. وعند الضرورة يجب على الجنود اقتسام مخصصاتهم (جعالتهم) مع السكان».

لقد ادركنا بأن تلك التعليمات والاوامر التي اصدرها المكتب السياسي للحزب، كانت قد نفذت بالفعل على ارض الواقع من قبل كافة القطعات والتشكيلات ومن قبل جميع مقاتلينا.

كما علمنا ايضاً بأنه نظراً للتبدل السريع في الموقف، اولت اللجنة المركزية للحزب اهتمامها بصورة خاصة الى تعزيز وتقوية الكوادر الثورية في الجنوب عن طريق تطعيم هذه الكوادر بعدد كبير من العاملين في مختلف القطاعات والاختصاصات، وبأن رئيس فرع التنظيم في اللجنة المركزية لي فان ليونغ قدّم وبذل كل ما في وسعه بالتعاون مع رفاقه الآخرين، من اجل ارسال الكوادر العمالية الضرورية الى الجنوب على جناح السرعة.

كان ضباطنا ومقاتلونا في جميع التشكيلات والقطعات يدركون حق الادراك بأنهم شاركوا، ويشاركون في اقسى وأهمّ موقعة من مواقع المرحلة الاخيرة للهجوم

العام والانتفاضة الشعبية، اللذين يهدفان الى إنهاء حرب المقاومة المظفّرة ضد المعتدين الاميركيين، وانقاذ الوطن من شرورهم. ولم يبق امام هؤلاء سوى الحصن الأخير لعصابة المجرمين والخونة، وأعوان الرجعية والغزاة الامبرياليين. وليس امامهم سوى العدو الذي يجب تدميره. كما ان صعوبات ومخاطر وضحايا الايام الاخيرة لم توقف جنودنا، ولم تؤثر على وتائر الهجوم لأن العملية نفذت بنجاح حتى الدقائق الاخيرة.

كان العمل السياسي ـ التربوي، والعقائدي ينفّذ، كما كان شأنه على الدوام في قواتنا المسلحة دون انقطاع وعلى أعلى مستوى من الوعي والادراك، مع اتباع مختلف اشكال العمل العقائدي الحديثة والمطوّرة. وبفضل ذلك استطاع ضباطنا وجنودنا ان يخلقوا بين صفوف الشعب والقوات المسلحة تلك الصفات والطباع التقدمية، والجسمانية والمعنوية والقتالية العالية، والمعارف والعلوم الراسخة والمقنعة. فعند تنفيذ عملية هوشي منه، كان لأعمال التربية السياسية أهمية عظيمة. وفي هذه الفترة كان قد استدعي الى اركان قيادة العملية نائب رئيس الادارة السياسية العامة الرفيق لي كوانغ هوا من قيادة قوات الاتجاه الشرقي، من اجل تقديم المساعدة الى الرفيق فام هونغ في مجال التربية السياسية للجنود. كان لي كوانغ هوا شخصاً عملياً مرتبطاً بالقوات على الدوام. ولذلك بدأ منذ اليوم الاول وبالاشتراك مع العاملين في الادارة السياسية بإعداد توجيه حول العمل السياسي خلال فترة العملية. وبعد ان صدّقت القيادة على هذه التوجيهات، توجه مع العاملين في الادارة السياسية العامة الى مختلف تشكيلات وقطعات القوات المهاجمة من اجل الاشراف على تطبيق هذه التوجيهات عملياً.

وعلى الرغم من كثرة القطعات والتشكيلات العسكرية المشتركة في العملية هذه المرة، واتساع رقعة الأعمال القتالية، واختلاف طبيعة المهام، وحجم نجاحات القوات، فإن الجنود والضباط كانوا يعيشون حلمًا واحداً وتملأ صدورهم رغبة واحدة، ويسعون الى هدف واحد، ألا وهو تحرير سايغون وتحرير الجنوب، وذلك بفضل الاعداد المعنوي الجيّد، المعزّز بالتدابير التربوية والتنظيمية السريعة.

بالاضافة الى الاشكال المختلفة للعمل السياسي الذي قامت به اللجان الحزبية واعضاء الحزب واتحاد الشبيبة الشيوعية والمفوضون، والموجهون السياسيون، كانت

القيادة تصدر الى جميع المشتركين في العملية «امر التعبئة» منذ لحظة استلام المهمة وحتى بدء المعركة. وقد أُعدّ هذا الامر من قبل العاملين في الادارة السياسية، وهُذّب بمهارة من قبل قيادة قوات عملية سايغون، وصدّق عليه نهائياً من قبل الرفيق فام هونغ. كما ان هذا الامر طبع في حينه ووزّع على القوات. ان دعوات المكتب السياسي للجنة المركزية؛ «وامر التعبئة» الذي اصدرته قيادتنا اثلجت صدور المقاتلين وبعثت في نفوسهم طاقات جديدة ودوافع قويّة للمضيّ في المعركة حتى اللحظة الاخيرة وبأعلى حسمية قتالية ممكنة.

ظلّ جنودنا وضباطنا مدة تزيد على ثلاثة ايام يتغلبون على الكثير من الصعاب والمخاطر، ويقارعون العدو بشراسة وضراوة، ويهاجمونه بجرأة واصرار. ومنذ لحظة رشقات المدفعية الاولى التي افتتحت معركة تاين غوين وحتى بدء عملية تحرير سايغون استشهد الكثير من ابناء الوطن الاعزاء في سبيل هذا النصر العظيم. والآن يتساقط الكثير من المقاتلين على مشارف سايغون في سبيل الهدف الاسمى للثورة.

اثناء لقاءاتنا مع القادة المحليين وخلال عملنا مع قيادات المناطق العسكرية وفيالق الجيوش والتشكيلات والقطعات كنّا لا ننسى ان نذكّر بضرورة تطبيق سياسة الحزب تطبيقاً عملياً وبإصرار، فيما يتعلّق بشهداء الوطن واسرهم وعائلاتهم، وبضرورة احاطة مشوّهي الحرب بالعناية والرعاية والاهتمام.

لا بد لنا هنا من الاشارة الى الدور الكبير الذي لعبه الاطباء العسكريون العاملون في حقل الخدمات الطبية، لتطبيق سياسة الحزب عملياً على ارض الواقع. ففي الحملات والمعارك كان هؤلاء موجودين بالقرب من الجنود، متمسكين بكلمات واقوال الرئيس هو شي منه: «ان الطبيب الحقيقي شبيه بالام الرؤوم». هذا وقد حقق العاملون في الخدمات الطبية العسكرية نجاحات كبيرة خلال السنوات المنصرمة، وذلك في مجال المعالجة والمداواة، والابحاث والدراسات العلمية.

خلال وجودنا في مقر القيادة كنّا نرقب باهتمام بالغ المعارك «العقديّة» على مختلف الاتجاهات.

فعلى الاتجاه الشرقي استولت الفرقة **٣٢٥** على مركز قضاء نون شات، وقضاء تهان توي ها، ووصلت الى معبر كاتلاي، وهي في حالة استعداد لاقتحام النهر

ومهاجمة المنطقة التاسعة من سايغون. ومن مرابضها الواقعة في نون شات صبت مدفعيتنا البعيدة المدى حممها، في الدقائق المحددة، على مطار تان شون يات، الذي قصفته بأكثر من ثلاثمائة قذيفة. كانت الانفجارات تهزّ سايغون بأسرها، مؤذنة بحلول ساعة الموت للنظام العميل. ان رمايات المدفعية كانت تنفّذ بدقة متناهية، وبتنسيق كامل مع اعمال الوحدات الخاصة، التي وجهت الضربة الصاروخية الكثيفة الى المطار ايضاً. فنحن لم نستخدم طائرات الاستطلاع لتصحيح رمايات المدفعية، الا اننا استطعنا بمساعدة السكان المحليين اقامة مراكز الرصد قرب المطار مباشرة. وقام رصادنا هناك بتدقيق المعطيات اللازمة لفتح النار.

ما ان خمدت انفجارات القذائف التي تزيد على ثلاثمائة قذيفة ثقيلة، حتى اندفعت ارتال قوات فيلق الجيش الثاني نحو مركز المدينة من الشمال الشرقي ووصلت الى الجسر الواقع على نهر دونغ ناي حيث التقت مع المفرزة (١١٦) من قواتنا الخاصة، والتي تمسّكت بالجسر وصدت هجمات معاكسة متعددة قامت بهما احدى كتائب مشاة العدو.

وعلى المجنبة اليمنى لفيلق الجيش الثاني شنّت الفرقة ٣٠٤ منذ الصباح هجومها الحاسم على العدو المتخندق في ارض الكلية العسكرية ضمن قاعدة نيوك شونغ. وعند الظهيرة حطّمت هذه الفرقة العدو بالكامل، ووصلت الى الطريق رقم ـ١٥، وعند المساء وصلت الى قاعدة لونغ بين العسكرية من جهة الجنوب. وفي مساء التاسع والعشرين من نيسان استولت قواتنا على جزء كبير من مدينة فونغ تاو.

وفي الوقت ذاته كانت احدى مجموعات احتلال الاغراض في المدينة، العاملة بقوام لواء دبابات وفوج مشاة، قد احتشدت سراً في غابة الكاوشوك الواقعة الى الجنوب من زاوزي وانتظرت أمراً بالهجوم على سايغون. كان مقاتلونا في ثياب جديدة وفي حالة التأهب القتالية الكاملة، يجلسون في آلياتهم المموهة بأغصان الاشجار والحشائش وشباك التمويه. وقد عُصبت اكمامهم جميعاً بشريط احمر، كي يستطيعوا التعرف على بعضهم البعض اثناء دخول المدينة والعمل داخلها. وفي الساعة ١٥٠٠، وبأمر من قائد فيلق الجيش انطلق الرتل بآلياته الهادرة الى الامام. اندفعت هذه الآليات بسرعة كبيرة حتى اقتربت من سايغون بالذات. وكان لهذا العمل اثر كبير وفعّال في سير الحرب.

جرت في نطاق هجوم فيلق الجيش الرابع معارك ضارية. فبعد الاستيلاء على عدد من الاغراض بمحاذاة الطريق رقم -١، شنت قوات الفيلق هجومها من ثلاثة اتجاهات على هوناي (ضاحية من ضواحي بين هوا)، بمهمة الاستيلاء على منطقة توضع اركان منطقة الفيلق الثالث ومطار بين هوا، الا ان هذه القوات أُوقف هجومها من قبل العدو. كانت توجد هنا اهم عقدة في دفاع العدو على المشارف الشرقية لمدينة سايغون، وهي مرتبطة بخط الدفاع في المدينة ذاتها ولذلك فقد تمسّك العدو بهذه العقدة بشراسة واصرار، كما تميّزت المعارك في هذا القطاع بالضراوة والشدّة.

نقل اللواء الثاني والخمسون التابع لقوات المنطقة العسكرية الخامسة، على جناح السرعة، من كوي نون الى منطقة الاعمال القتالية حيث شكّل احتياط فيلق الجيش الرابع وقوات الاتجاه الشرقي. كان هذا اللواء قطعة ذات مقدرة قتالية عالية، كما انه قام بمآثر كثيرة وبطولات رائعة في تاين غوين وفي منطقته العسكرية: في باتو، وشوي زو، وتين فيوك، وفيوك لام وكوانغين واماكن اخرى. وعلى احرّ من الجمر كان مقاتلو هذا اللواء ينتظرون الهجوم على سايغون، وهم جالسون في مائة باص كبير من باصات النقل بين المدن تنتظر على الطريق رقم -١.

وعلى الاتجاهين الشمالي، والشمالي الغربي، طوّقت قوات فيلق الجيش الاول قاعدة فولوي العسكرية، وشنت هجومها على لايت هيو واحتلّت مركز قضاء تانوين. والاستيلاء على تاوين خلال الهجوم خلق الظروف المواتية لتحرك مجموعة احتلال اغراض المدينة نحو مكان توضّع الاركان العامة للعدو، والى منطقة تحشّد قواته في غواب.

بعد هجوم حاسم وصد لهجمات العدو المعاكسة، استولى فيلق الجيش الثالث في الساعة ١٤٠٠ من يوم ٢٩ نيسان على القاعدتين العسكريتين دونغ زو وشانغ بوم. كما ان الفرقة الخامسة والعشرين المعادية دمّرت بكاملها بين قتيل واسير. وقد وقع قائد الفرقة اللواء لي تون با في اسر قواتنا.

وفي ليلة التاسع والعشرين من نيسان استولى مقاتلو الوحدات الخاصة على جسري بونغ وشانغ الواقعين على الطريق رقم -١، وبفضل ذلك تقدمت مجموعة احتلال أغراض المدينة على هذا الاتجاه وزحفت عبر هوكمون وطوّقت العدو وأجبرته على الاستسلام، حيث كان يدافع عن مركز التدريب في كوانغ شونغ. ومن ثم

تحرّكت هذه المجموعة الى باكويو. وعلى الطريق الى الشمال من كوتا وقرب جسر بونغ وفي هوكمون بالذات دمّر مقاتلونا الكثير من دبابات ومدرعات، وجنود مشاة العدو. وعند سماع انفجارات قذائف المدفعية في مطار تان شون يات، توقف رتل المجموعة مؤقتاً وفقاً لخطة تعاون القوات وبدأ التحضير لمعركة مطار تان شون يات.

على الاتجاه الجنوبي الغربي احتلت قواتنا مدينة كاونغ يا ومركز قضاء ديك هوا وارغمت العدو على الانسحاب من ديك هوي وشاكو، واستولت على قطاع كبير من ضفة نهر فام كودونغ. اما فلول حامية هوانغ يا فقد فرّت الى كودا، وعندما التقت بقواتنا أُسر منها اكثر من الف جندي.

عبرت احدى مجموعات احتلال الأهداف في سايغون، المؤلفة من قوات الاتجاه الجنوبي الغربي، والمزوّدة بأعتدة ثقيلة، نهر فام كودونغ ووصلت الى منطقة التحشّد في ميهان. كما ان أحد أفواجها وصل الى منطقة باهوم.

استولت التشكيلات المحلية ومفارز الانصار ووحدات القوات الخاصة على الجسور وهاجمت القاعدة الرادارية في فولام، وقصفت بالقذائف الصاروخية مطار تانْ شون يات لتهيئة الظروف المناسبة لهجوم القوات النظامية على سايغون.

على الكثير من الاتجاهات تحرّكت قوات الامن مع السكان المحليين وعملت معها جنباً الى جنب للقضاء على الخونة، كما أنها طاردت بالتعاون مع التشكيلات المحلية فلول قطعات العدو المهزومة وأسرت العديد من جنود العدو، كما انهااقتحمت الأهداف المعادية وحضّرت القوى والوسائط لتأمين تقدّم قواتنا النظامية الى مركز المدينة. وبعد ان حاصرنا الطريق رقم ـ٤ صدّت قواتنا العديد من هجمات العدو المعاكسة التي شنّت بهدف استعادت السيطرة على هذا الطريق الاستراتيجي الهام.

بعد دراسة نشرة نتائج الأعمال القتالية عن يوم التاسع والعشرين من نيسان توصّلنا معاً إلى استنتاج مفاده أن ظرفاً مناسباً للغاية ومتفقاً تماماً مع خططنا قد نشأ على طول امتداد الجبهة بنتيجة أعمال اليوم الأول للهجوم العام. وعلى جميع الاتجاهات زحفت قواتنا لمسافات كبيرة واستولت على القواعد العسكرية ومواقع العدو على النطاق الخارجي للدفاع عن سايغون. كما أننا عزلنا وطوّقنا ودمّرنا ومزّقنا القوات الرئيسية

لفرق مشاة العدو: الخامسة، والخامسة والعشرين، والثامنة عشرة، والثانية والعشرين، والسابعة، وحرمناها من إمكانية الانسحاب، وأنجزنا التحضيرات لرؤوس الجسور على المشارف القريبة من سايغون، واستولينا على جميع الجسور الهامة في المنطقة المحيطة بالمدينة.

بعد أن وقّع رئيس الأركان العامة للجيش العميل جنرال الجيش كاوفان فين الأمر حول «القتال لا للحياة، بل للموت في سبيل الأراضي المتبقيّة»؛ غادر البلاد بالطائرة. وقد خلفه في هذا المنصب اللواء غين لوك. ومساء التاسع والعشرين من نيسان وفي أثناء المؤتمر الذي عقدته الأركان العامة للجيش العميل تقرّر استدعاء عدد من الضباط والجنرالات لاسلكياً بسبب تمرّدهم وقيامهم بأعمال الشغب. ورداً على ذلك قال قائد الفرقة الثامنة عشرة بأن تشكيله تكبّد خسائر فادحة، فساد الهرج والمرج في الوحدات ولذلك فإن الفرقة من غير المحتمل أن تصمد حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي. كما أن قائد لواء الفرسان المدرع الثالث قال بأن قطعته تفتقر إلى الذخائر والوقود لخوض الأعمال القتالية. كما أن قائد منطقة الفيلق الثالث وقائد الفرقة الثانية والعشرين فرّا تاركين وراءهما القوات أمام مصيرها المحتوم. أما قوات منطقة الفيلق الرابع فكانت خالية من الخسائر الفادحة حتى ذلك الحين ولا تزال تحافظ على نظام القيادة. وفي سايغون لم يبق سوى كتيبتين مظليتين قادرتين على العمل وتتمسكان بتقاطع الطرق قرب باي هين. كما أن الرئيس العميل أمر القوات بالدفاع عن مركزي الاذاعة في فولام وكوان شي، غير أن هذه المهمة لم يعد بالإمكان تنفيذها الآن.

طيلة ليلة الثلاثين من نيسان كان العمل في أركان قيادة عملية هوشي منه يجري على قدم وساق. وكانت المصابيح الكهربائية، ومصابيح الكاز (الكيروسين) ومصابيح السيارات تضيء الطرقات والساحات. كما أن الضوء الكهربائي الساطع ظهر في فرع العمليات حيث كان الضباط مكبّين على خرائطهم التي تحمل السهام الحمراء، التي يمدّدها الرسامون والضباط تباعاً نحو أهم الأغراض في سايغون. كما أن أجراس الهاتف الميداني كانت تقرع باستمرار في شبكة الاتصال القريبة من فرع العمليات.

وأرسلت المحطات اللاسلكية عبر الأثير الأمر اللاحق إلى كافة التشكيلات والقطعات، وقد جاء فيه:

ـ على كافة سرايا المدفعية في نون شات إيقاف الرمي وقصف مطار

تان شون يات بالقذائف من عيار ١٣٠ مم.

ـ إطلاع الجنود ثانية على نظام التعرّف على إشارات التعاون أثناء الهجوم داخل المدينة وإجراء التفقّد المطلوب حول هذا الموضوع.

ـ على فيلق الجيش الثالث، أثناء مهاجمة مطار تان شون يات ان يخصص القوى والوسائط لمساعدة فيلق الجيش الأول في الاستيلاء على مبنى الأركان العامة للعدو.

ـ على جميع مجموعات الخرق والاحتلال أن تتقدّم فوراً وبدون توقف نحو أغراضها المحددة، دون الاهتمام بالأغراض الأخرى لعدم تمكين العدو من تنظيم المقاومة وخفض وتيرة هجوم قواتنا.

في التاسع والعشرين من نيسان عام ١٩٧٥ وفي الساعة ٢٤٠٠ من ذلك اليوم كانت جميع القوات المشاركة في الهجوم على سايغون تشبه السيف المجرّد. والعدو ينتظر حتفه وهو ينظر بهلع وخوف إلى ذلك السيف الصارم.



النصر الكامل

ان التاريخ قد يعيد نفسه مع تطوّر الزمن. فكما قاتل أجدادنا وآباؤنا ضد المحتلين الغرباء من قبل، ها هم مقاتلونا الآن الذين قاتلوا على جبهة سايغون يستعدون في ليلة الثلاثين من نيسان للقيام بالمأثرة التاريخية العظيمة وكلهم حميّة واندفاع لتحقيق النصر. وفي تلك الدقائق الخالدة على عتبة اليوم الأخير من الفاصل الزمني الذي كان لا يزال تحت تصرف المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب لتحرير سايغون، كتب جنودنا على خوذهم، وأكمامهم، وأخمص بنادقهم، نداء الرئيس هوشي منه للمعركة: «إلى الأمام... من أجل النصر - من أجل النصر الكامل إلى الأمام».

في الساعة المحددة وعلى كامل امتداد الجبهة دوّت قنابل المدفعية. وشبّت النيران والحرائق في كل مكان وخاصة حول القواعد العسكرية ومواقع العدو في سايغون وحولها، بحيث شعر كل واحد منا أن أمامه ناراً تشرق كضوء الصباح، ضوء النصر.

في تلك الليلة أُبلغ الجنرال لي نفوك هين، الذي كان مناوباً في مقر القيادة، بما

يلي هاتفياً: وصلت قوات فيلق الجيش الثالث إلى باكويو، وقوات فيلق الجيش الثاني وصلت إلى الجسر الواقع على نهر دونغ ناي، وقوات فيلق الجيش الرابع - إلى ضواحي بين هوا، وقوات المجموعة ٢٣٢ - إلى منطقة باهوم. وبذلك فإن قواتنا الضاربة أصبحت الآن على مسافة تتراوح بين ١٠ و ٢٠ كيلو متراً عن مركز مدينة سايغون. وبقي أمامنا الكيلو مترات الأخيرة من الطريق الواصلة بين جزأي الوطن، «ممر هوشي منه» الذي يصل المدينة، والذي يحمل اسمه منذ الآن وإلى الأبد. وعلى كافة الاتجاهات نفّذ الهجوم طبقاً لخطة العملية - الخطة التي اشتملت على عنصر الجرأة في الأساليب التكتيكية التي فوجىء بها العدو حتى أيامه الأخيرة.

وهذه حقيقة ثابتة، لأن العدو في الأيام الأخيرة كان لا يزال يأمل في إيقاف هجوم قواتنا بما لديه من فلول الفرق المتبقية. ومما يضحك حقاً هو أن السياسيين - العملاء الجدد حاولوا إرغامنا على دخول المفاوضات بهدف إطالة عمر النظام المأجور والجيش العميل. كما أن بعض الجنرالات الذين أحيلوا على التقاعد منذ زمن بعيد ظهروا الآن في الساحة السياسية داخل سايغون، وكل منهم يتأبط مشروعاً يتضمن تدابير الانقاذ. وفي الساعة الثانية ليلاً أبرق إلينا وفدنا العسكري من «ديغيس» في تان شون يات ما يلي: «أرسل إلينا حكام سايغون ثلاثة مندوبين عنهم بهدف بحث المسألة المتعلقة بإمكانية وقف إطلاق النار. استقبلهم الرفيق فودونغ زانغ وأوضح لهم موقفنا من هذه المسألة، والذي أكّد عليه بيان الحكومة الصادر في السادس والعشرين من نيسان. وبعد أن استمعوا إلينا نهضوا وهّموا بتوديعنا. فقلنا لهم بأنه من الخطر عليهم الخروج الآن، لأن مدفعيتنا تقصف المطار، اقترحنا عليهم البقاء. وفي النهاية بقي الجميع لدينا. والآن موجودون معنا في الملجأ الواقي من قصف القنابل». وفي ذلك الحين كان زعماء النظام المأجور ينتظرون بفارغ الصبر عودة «رُسلهم»، وعندما لم يعودوا إليهم زادهم الموقف حيرة وارتباكاً. وقبل أن يصل هؤلاء الثلاثة إلينا في تان شون يات ببضع ساعات، كان قد وصل إلينا وفد آخر إلى هناك مؤلف من أربعة أشخاص، وحاول هذا الوفد أيضاً طرح مسألة وقف إطلاق النار. غير أن رفاقنا قدّموا إلى ضيوفهم الموز، وذكّروهم ببيان حكومتنا الصادر في السادس والعشرين من نيسان.

في تلك الأيام الأخيرة من شهر نيسان أصبح بإمكان وفدنا العسكري أن يرى حجم الفوضى والذعر واليأس، الذي كان يسيطر على الطغمة الأميركية - السايغونية

هناك. فمنذ وقت غير بعيد أعلن العملاء السايغونيون الحصار على أفراد وفدنا، كما قاموا بأعمال عدوانية ضدهم، وحرموهم من المياه والإنارة وغير ذلك. والآن جاؤ وا يطلبون مقابلتهم ويتملّقون إليهم. حتى أن السفير الأميركي مارتين نفسه طلب مقابلة وفدنا أيضاً لكن طلبه رُفض في حينه. كما أن الادارة المأجورة اقترحت إرسال الوفد إلى هانوي بطائرة خاصة لإجراء المحادثات، وهذه المقترحات رفضناها أيضاً.

علمنا من البرقية اللاسلكية المرسلة من قبل الرفيق نيغوين زوي شين، أن هناك مناورات ديبلوماسية مريبة يقوم بها العدو، وتهدف إلى إيقاف هجومنا العام على سايغون. وكانت هذه المناورات مرتبطة مع التهديدات التي بعثت بها إلينا واشنطن عن طريق الوسطاء. وهذا كله دفعنا إلى المضي في زيادة وتيرة الهجوم دون أن نضيّع دقيقة واحدة، وإلى بذل كل المستطاع لتحقيق النصر الكامل بأقصى سرعة.

قبل بزوغ الفجر ذكرت وكالات الأنباء الأميركية، أن السفير الأميركي مارتين استقل إحدى الحوامات وغادر سايغون المحاصرة. كما أن المحافظ العام للمدينة غادر فيتنام الجنوبية على عجل وبدون أية مراسم تليق «بمقامه الرفيع». والحقيقة أن مارتين توصّل إلى قناعة في ذلك اليوم الأخير، بأن الجمهورية العميلة التابعة له يمكن أن تعيش ما دام «الصراع قائماً»، وفي حال التوّصل إلى صلح. ولذلك فإنه لم يستعجل في الفرار من قبل، منتظراً تحوّلاً مفاجئاً في الأحداث يستجيب لرغبته هذه. والجدير بالذكر أن هذا المسؤول الأميركي بالذات تألّم من الوضع القائم في مطار تان شون يات، فقد رأى بنفسه أن القاعدة الجوية الهامة قد شلّت تماماً بنتيجة ضربات مدفعيتنا، وأن الطائرات المخصصة لإخلاء الأفراد كانت قد دمرت أيضاً. وأن طوق الحصار يضيق شيئاً فشيئاً حول عنق سايغون. والآن جاء دور زيونغ فان مين ـ الورقة السياسية الأخيرة في يد الامبرياليين العاملين من وراء البحار. لقد أدخل هذا العميل الأخير إلى حلبة الصراع الفيتنامي ولكنه بعد فوات الأوان، لأنه لم يعد في استطاعته أن يغيرّ شيئاً في الوضع القائم. وهذا ما تحدث عنه مارتين في واشنطن. ولذلك فقد أصدر الرئيس الأميركي فورد أوامره على الفور بإخلاء أكثر من ألف مواطن أميركي وأكثر من خمسة آلاف عميلٍ مع أسرهم من فيتنام الجنوبية خلال ثماني عشرة ساعة. كما أن مارتين أُبلغ بمغادرة سايغون «دون أن يتأخر دقيقة واحدة».

لقد انتشل الأميركيون مواطنيهم من على سطوح ثلاث عشرة بناية عالية كانت

قد اختيرت كساحات لهبوط الحوامات. ومع اقتراب أرتالنا الضاربة كان عدد هذه الساحات يتقلّص بالتدريج. وكانت السفارة الأميركية من بين الأمكنة التي تم الاخلاء منها، والتي تحوّلت في تلك الليلة إلى مشهد من مشاهد الفوضى والذعر الهمجي الذي لا مثيل له. فالخونة في عجالة من أمرهم وخائفون على أرواحهم، وهم الآن يتزاحمون ويتدافعون عبر الجدران والنوافذ والأسوار، ويقتحمون الأبواب بالمعاول وربما بالسكاكين كي يجدوا سبيلاً أو مدخلاً يوصلهم إلى تلك الحوامات. حتى أن السفير مارتين نفسه أجبر أيضاً على القيام بهذه المسيرة السوداء كي يستطيع أخذ حقائبه معه.

غادر كوتو (الاسم السري لمارتين) السفارة الأميركية في سايغون على ظهر الحوامة «ليدي ٩.» (اسم الحوامة). وهكذا انتهى التاريخ الأسود لثلاثين عاماً من التدخّل والمغامرة العسكرية الاميركية في فيتنام. فعندما بلغت الحرب العدوانية ذروتها ضد فيتنام استخدمت الولايات المتحدة الاميركية ٦٠٪ من مشاتها، و٥٨٪ من قوات مشاتها البحرية، و٣٢٪ من الطيران التكتيكي، و٥٠٪ من الطيران الاستراتيجي، وخمس عشرة حاملة طائرات من مجموع ثماني عشرة، و٨٠٠ الف جندي (بما في ذلك القوات المرابطة في البلدان الحليفة، والتي اشتركت في الحرب الفيتنامية)، واكثر من مليون جندي في الجيش إلسايغوني العميل، وستة ملايين اميركي عبئوا للحرب، واسقاط اكثر من عشرة ملايين طن من القنابل، وانفاق اكثر من ثلاثمائة مليار دولار من اجل قمع ارادة الشعب الفيتنامي. غير ان ذلك كلّه لم ينج السفير الاميركي في نهاية المطاف من التسلق الى سطح السفارة والفرار طلباً للنجاة. وعندما نتذكر اليوم تلك القوى الجرارة التي عبأها العدو ضدنا، والافكار السوداء التي وضعها لقهرنا، والظروف والشدائد والتجارب القاسية التي اجتازتها سفينة الثورة الفيتنامية، عندما نتذكّر ذلك كله، ندرك بكل وضوح عظمة انتصارنا في ملحمة سايغون وفي تحرير جنوب فيتنام بأسره.

بزغ الفجر، ولكنه فجر جديد لم نألفه منذ زمن بعيد، انه فجر ساطع ورائع. وبدأت اذاعة «صوت فيتنام» بالبث في يومها الاول، حيث بثّت عبر الاثير نص المقالة الافتتاحية لجريدة «نيان زان» الصادرة في الثلاثين من نيسان. وقد جاء في هذه المقالة ما يلي: «ان جيشنا وابناء سايغون ـ زادين ينفذون بشرف رسالتهم التاريخية القاسية والمجيدة. انهم يطوّرون وتائر الهجوم وينتفضون في كل مكان، ويضيقون الخناق على

مركز المدينة والحصن الاخير للنظام المأجور الخادم لمصالح الولايات المتحدة الاميركية، انهم ينجزون الآن تحرير البلاد.

المواطنون في جميع انحاء البلاد يتوجهون بأفكارهم وقلوبهم نحو سايغون زادين، وينتظرون الانباء عن النصر المجيد، ويعبرون عن ثقتهم الاكيدة بأن مقاتلينا وسكان هذه المدينة البطلة سينفذون حتماً المهمة المشرّفة التي القاها الوطن على اكتافهم».

لقد عقد الاجتماع الصباحي لقيادة العملية في ذلك اليوم قبل الموعد المحدد له. وحمل البعض أجهزة الراديو معهم الى الاجتماع. كان الجميع ينظرون الى خريطة العمليات في وسط من الحديث المتشابك والمتهافت احياناً. كنا ننظر الى تلك الخطوط ذات الاسهم الحمراء والنجوم التي تشير الى اتجاهات هجوم قواتنا. فوجدنا نقطة تصل اليها هذه السهام،انها المدينة التي تحمل اسم العم هو. لقد تأكدنا بأنفسنا الآن بأن فيالق جيوشنا الخمسة المهاجمة لم تكن لتشكّل حجماً كبيراً من القوات فحسب، بل كانت تشكّل نوعية جديدة وقوة جديدة لا تقهر. كما علمنا بأن رفاقنا من المكتب السياسي واللجنة العسكرية للحزب، ظلّوا طيلة خمسة عشر يوماً خلت يتابعون في هانوي سير الاعمال بكل اهتمام وزحف قواتنا نحو سايغون، وانهم الآن لا يفارقون خارطة سايغون، انهم يتابعون بحماس وتوتّر شديدين الاعمال القتالية والاحداث في منطقة هذه المدينة. وقد علمنا جيداً بأن ابناء وطننا في جميع ارجاء فيتنام ينظرون الآن الى خريطة الوطن منتظرين بفارغ الصبر النبأ السار عن النصر، ولكي يحمل معه الصباغ الاحمر - صباغ الثورة - ليطلوا به مباني المدينة الخالدة التي تحمل اسم زعيمهم العظيم.

ارسل رفاقنا الينا مضمون المعلومات والتقارير التي التقطت من شبكات اتصال العدو. فمن المنطقة العسكرية الخاصة بالعاصمة مثلا، أُصدرت الى القطعات المتمركزة في لونغان التعليمات القتالية: «انتقل توديك الى صفوف الشيوعيين. وان قواتهم المدعومة بالدبابات تقترب من سايغون من اتجاه هوكمون. لا نعلم لماذا لم نستلم حتى الآن اوامر من المستوى الاعلى».

ان هؤلاء الجنود المأجورين البسطاء لم يعرفوا حتى الآن بأن رئيس الاركان العامة فرّ منذ الصباح الى خارج البلاد. وان التعليمات الواردة الى سفن الاسطول تفيد بأن قيادة القوى البحرية فرّت هي ايضاً الى خارج الحدود، ولذلك لم يتلق هؤلاء

اية تعليمات او أوامر، والأفضل لهم اقامة الاتصال المباشر مع الاسطول في البحر المكشوف.

ان سير الاحداث على ارض المعركة كان يؤكد لنا في كل ساعة وبكل وضوح ان خطة العملية أُعدت من قبلنا بحسابات دقيقة، غير ان وضع العدو كان منهاراً للغاية وان العدو كان يعلم بأن اتجاهات هجومنا الرئيسية على سايغون هي الاتجاه الشمالي والشمالي الغربي، ولذلك كانت لديه هناك الفرقتان الخامسة والخامسة والعشرون. غير انه لم يستطع اتخاذ القرار للدفاع عن سايغون على المشارف البعيدة، او لسحب القوات الى النطاق الداخلي للدفاع عن المدينة. فإذا هو حشد القوات على النطاق الخارجي، فإنه لم يعد لديه القوات اللازمة للدفاع عن المدينة ذاتها. واذا ما سحب القوات من الخطوط المتقدمة الى حزام المدينة فإن هذا يزيد من حدة الذعر والفوضى والتفكك في صفوف القوات (لأن الدروس المستفادة من معارك تاين غوين) هي خير دليل على ذلك. فكيفما فعل العدو كانت نتيجته واحدة وهي الموت والتدمير.

في صباح الثلاثين من نيسان، كان الموقف قد تشكّل بحيث لا تستطيع الفرقتان الخامسة والخامسة والعشرون المعاديتان العودة الى سايغون: لأن قواتنا ضربت حصاراً قوياً حولهما على النطاق الخارجي للدفاع، واندفعت بسرعة نحو المدينة.

كانت الفرقة الخامسة والعشرون تتمركز في منطقة قاعدة كوثي العسكرية، وفي قاعدة دونغ زو، التي كانت قد اقيمت في عام ١٩٦٦ من قبل الفرقة الاميركية «الصاعقة الاستوائية»، التي نقلت من جزر هاواي بهدف سد الطريق امام قواتنا ومنعها من التحرك نحو سايغون وحرماننا من رؤوس الجسور في هذه المنطقة المحيطة بالمدينة. وقد قررت قيادة هذه الفرقة عدم السماح لجنودها بالفرار فرفعت شعار «الصمود حتى الموت»، واغلقت المداخل الى القاعدة بالاسلاك الشائكة. وفي التاسع والعشرين من نيسان كانت وحدات الدبابات من قوات فيلق الجيش الثالث قد بدأت باقتحام القاعدتين، وزحفت بسرعة نحو مقر قيادة هذه الفرقة. ولم يبق امام القيادة المعادية إلّا الاستسلام.

وفتحت الابواب العريضة، واندفع الجنود والضباط نحو المخارج وهم يقفزون ويزحفون عبر الحواجز المختلفة دون ان يتوقفوا حتى امام حقول الالغام. وطُلب الى قواتنا فتح نيران الرشاشات في الهواء فقط لاجبار العدو على الاستسلام. كما ان قائد

الفرقة القي القبض عليه عندما حاول الفرار ايضاً.

بعد سقوط دونغ زو اشتدت موجة الذعر والخوف في صفوف العدو. ولم تتوفّر طرق الانسحاب لدى القوات المدافعة عن المداخل الشمالية الغربية لسايغون. وعلى ضوء ذلك قامت فرقتنا الـ٣١٦ العاملة في قوام فيلق الجيش الثالث والتي كانت حتى هذا الوقت تطوّق طرقات وبعض وحدات العدو، بالانتقال الى الهجوم واستولت على مرابض المدفعية بسرعة في باك تاو وأخذت تزحف نحو فيوك هيب وشوي شاو، وشافو، وبين ميونغ، وباوناو، وكام زانغ. وبنتيجة ذلك تم تدمير الفوج السادس والاربعين بكامله وأسر ستمائة جندي.

قامت الفرقة العاشرة المعززة التي تشكل مجموعة الخرق في فيلق الجيش الثالث باحتلال هوكمون في التاسع والعشرين من نيسان، كما احتلت معسكر كوانغ شونغ وباكويو، وفي صباح الثلاثين من نيسان استولت على تقاطع طرق في باي هين ثم احتلت بسرعة المدخل رقم ـ ٥ في مطار تان شون يات واركان قوات الانزال الجوي للجيش العميل.

وفي صباح الثلاثين من نيسان بدأت الفرقة العاشرة هجومها على مطار تان شون يات كما ان قسمًا من قوات هذه الفرقة اشترك مع قوات فيلق الجيش الاول في احتلال منطقة توضع الاركان العامة للعدو.

وفي الساعة ٨٠٠ بدأ تمهيد مدفعي لمدة ثلاثين دقيقة، وملأت السماء اعمدة النار والدخان.

بعد التمهيد المدفعي هاجم مقاتلو الفوج الرابع والعشرين التابع للفرقة العاشرة، العدو بدباباتهم وعرباتهم المدرعة، واستولوا بسرعة على تقاطع طرق باي هين، ثم انعطفوا باتجاه المطار. وامام المدخل رقم ـ٥ ابدى العدو مقاومة شديدة حتى انه دفع بطيرانه القاذف للعمل ضد قواتنا، غير ان قواتنا التي واصلت الهجوم استطاعت في الساعة ٩٣٠ احتلال المدخل. وفي هذا الوقت بالذات قامت وحدة اخرى من الفرقة العاشرة باقتحام اركان قوات الانزال الجوي والتقت هناك مع وفدنا العسكري. اما الوحدة الثالثة فقد هاجمت مركز الاذاعة واركان الفرقة الجوية الخامسة واركان القوى الجوية للجيش العميل.

في الساعة ٩٣٠ بدأ الفوج الثامن والعشرون بالتعاون مع الفوج الرابع والعشرين باقتحام الاركان العامة للجيش العميل.

وتعرّضت لهجمات قوات فيلق الجيش الاول الفرقة المعادية الخامسة التي كانت تدافع عن قاعدة لايك هي الواقعة على الطريق رقم ـ١ وعلى بعد خمسين كيلومتراً الى الشمال من سايغون (بنيت هذه القاعدة عام ١٩٦٥ من قبل الفرقة الاميركية الاولى. وبعد ان قطع الاتصال مع اركان منطقة الفيلق الثالث وتزعزع الوضع في سايغون امر قائد هذه الفرقة اللواء لي نيغوين في بجمع كافة الآليات ونقل وحدات الفرقة الى سايغون. غير ان الطريق الى سايغون كانت مقطوعة، ولم تستطع الفرقة مع قائدها ان تتحرّك من مكانها.

قام احد تشكيلات فيلق الجيش الاول بتوجيه ضربته الى قاعدة لايك هي. كما انتحر لي نغوين في وفرّ معاونه، وتم اسر اركان الفرقة المعادية الخامسة بالكامل.

في هذا اليوم بالذات وبين الساعة ٥,٠٠ و١٠,٠٠ حطمت الفرقة ٣١٢ التابعة لفيلق الجيش الاول حامية قاعدة فولوي العسكرية واجبرتها على الاستسلام. بعد ان حددت قواتنا مسبقاً طرق انسحاب العدو المحتملة قامت بمحاصرة الطريق رقم ـ١٤ في منطقة آن لوي واستولت على ٣٦ سيارة واجبرت ١٢٠٠ جندي على الاستسلام. وعلى الطريق رقم ـ١٣ وبمنطقة بونغ اسر مقاتلونا سبعة آلاف جندي للعدو كانوا يحاولون دخول لايت هيو.

في نفس الوقت اقتحمت الفرقة ٣٢٠ لايت هيو وبدعم من الدبابات ومدفعية فيلق الجيش الاول بدأت بالزحف نحو جسر بين فيوك، الذي كانت وحدات قواتنا الخاصة قد استولت عليه منذ الصباح الباكر. وفي طريقها دمّرت قطعات الفرقة واعطبت واستولت على ١٨٠ آلية مختلفة تابعة للواء الفرسان المدرع الثالث، وشنت الهجوم باتجاه موقع اركانات صنوف القوات التابعة للجيش العميل في غواب. وهاجمت القطعات الاخرى من هذه الفرقة العدو في منطقة الجسرين بين فيوك وبين شيو، وفرّقت فلول اللواء المدرع الثالث وفتحت الطريق امام تجميعنا الضارب نحو منطقة توضع الاركان العامة للجيش العميل.

بعد ذلك عثر على خريطة عمليات في الاركان العامة للعدو، فقرأنا عليها

السؤال الغبيّ التالي: «اين الفرقة ٣٠٨؟» كانت تلك الفرقة واحدة من بين فرقنا القوية والمدربة، والتي لم يشاهدها العدو حتى ذلك الوقت على ارض المعركة حول سايغون.

دبّ الذعر والفوضى في صفوف الفرقة الثامنة عشرة المعادية عندما انسحبت نحو توديك ووجدت فجأة ان الطريق محاصرة من قبل محاربي الفيتكونغ. ولم يجد قائد الفرقة وضباط اركانه مفرا افضل من تغيير الملابس والفرار الى سايغون مع بقايا فلول القوات المتقهقرة.

بين الساعة ٧٠٠ و٩٠٠ استولت قوات فيلق الجيش الرابع على اركان منطقة الفيلق الثالث ومواقع العدو في بين هوا، ثم سحقت الدفاع في هوناي وتام هيب واستعدت لتوجيه الضربة الى سايغون،

وبعد اعمال الاستكمال واعادة تجميع القوات زج فيلق الجيش الثاني مجموعة احتلال الاغراض في سايغون في صباح الثلاثين من نيسان. وتحت دعم من ثلاثة مرابض نارية، تابعة لوحدات القوات الخاصة ومفارز الانصار، تحركت هذه المجموعة بسرعة وعبرت الجسر الواقع على نهر دونغ ناي ووجهت الضربة باتجاه مركز سايغون وفي طريقها ابطلت بوسائطها النارية نقاط مقاومة العدو في توديك، والى الشمال من جسر راك تيك.

في الساعة ٩٣٠ اقتربت المجموعة الامامية من جسر راك تيك الذي احتلته من قبل وحدات قواتنا الخاصة.

وفي الوقت ذاته كانت الوحدات الامامية التابعة للمجموعة ٢٣٢ المهاجمة من الجنوب الغربي والجنوب، قد اقتربت من مكان توضع اركان المنطقة العسكرية الخاصة بالعاصمة، ومقر القيادة العامة للشرطة.

على الطريق رقم ـ٤ حطّمت قواتنا خلال الهجمات السريعة قطعات الفرقة الثانية والعشرين التي شكّلت مجدداً والمجموعة المقاتلة السادسة الخاصة التابعة للجيش العميل، وحرّرت مركز مقاطعة تانان واستولت على اركان منطقة تهو تهي العسكرية الصغرى.

في صباح الثلاثين من نيسان حددت الادارة السايغونية الساعة العاشرة موعداً لاجتماع الوزراء في قصر الاستقلال من اجل ان تؤدي «الحكومة الجديدة» القسم الدستوري.

ولكن بعد فوات الاوان. ففي الساعة ٩٢٥ اتضح ان العدو فقد اربع فرق: الخامسة، والثامنة عشرة، والثانية والعشرين، والخامسة والعشرين. كما حطّم لواء مشاة البحرية واللواء المدرّع ايضاً. واقتحمت قوات التحرير الفيتنامية تان شون يات والاركان العامة، وعبرت دبابات قوات التحرير الجسور الواقعة على نهر سايغون وعزلت المدينة عن منطقة الفيلق الرابع في دلتا الميكونغ. وبعد ان ايقن زعماء النظام العميل انه لم يبق في ايديهم اية قوة تذكر طلبوا من الرئيس زيونغ فان مين وقف اطلاق النار. لقد أُعد بيان الرئيس وسجّل على شريط في داخل قصر الرئاسة، ثم ارسل الى الاذاعة لبثّه في الأثير.

في حين كان اعضاء الحكومة العميلة والاخيرة جالسين في قاعة الاجتماعات فتحت الابواب فجأة، فنهض الجالسون من اماكنهم ظناً منهم ان جنود قوات التحرير قد اقتحموا القصر. غير ان الضيف كان الجنرال الفرنسي فانو سيم. فبعد ان وصل هذا الجنرال الى قصر الاستقلال توجّه على الفور الى القاعة حيث يوجد اعضاء الحكومة، وطلب عدم ارسال الشريط الذي يحمل بيان الرئيس، وعدم اذاعة البيان. ثم دعا زيونغ فان مين جانباً وقدّم اليه الخطة الجديدة لاحباط هجومنا على سايغون.

ان محاولة فانو سيم كانت مضحكة حقاً، وقذرة في نفس الوقت، إلا ان المهدد بالغرق يحاول انقاذ نفسه بقشّة.

ومع ذلك فإن الشريط المسجل ارسل الى اذاعة سايغون التي اذاعته على جميع موجاتها. وقد طلب الرئيس العميل في بيانه هذا «ايقاف النار لكي نتدارس معاً مسألة نقل السلطة». حتى في هذه الدقائق الاخيرة كان العدو لا يزال يلجأ الى مختلف الوان الحيلة والخداع.

في هذا الموقف اصدر المكتب السياسي للجنة المركزية امراً عاجلاً الى قوات جبهة سايغون جاء فيه:

«متابعة الهجوم على سايغون حسب الخطة بحذافيرها. وتحرير واحتلال جميع

اجزاء المدينة وتجريد القوات المعادية من السلاح، وعزل كافة عناصر السلطة العميلة، والقضاء على كل مقاومة بشدة وبدون رحمة».

بعد دراسة جماعية لهذا الامر، اصدرت قيادة عملية هوشي منه الى كافة المناطق العسكرية وفيالق الجيوش والقطعات والوحدات المهاجمة الامر التالي:

«١- على قوات المناطق العسكرية وفيالق الجيوش وجميع القطعات والوحدات مواصلة العمل بسرعة ومهاجمة المناطق والاغراض المحددة لها في المدينة وخارجها.

٢- دعوة جنود الجيش العميل للاستسلام، وتسليم جميع اسلحتهم، واعتقال وارسال ضباط الجيش العميل الى المناطق المحددة.

٣- القضاء على جميع نقاط مقاومة العدو بدون تأخير».

وقبل تلقّي هذا الامر كانت قواتنا على جميع الاتجاهات تواصل زحفها نحو سايغون بعد ان سمعت بنداء العدو لوقف اطلاق النار. وأخذ مقاتلونا يقولون لبعضهم البعض وهم يصيحون بحماس: «لا وقف لاطلاق النار. سنزحف حتى نبلغ العدو في عقر داره، ومثل هذه الفرصة تسنح مرة واحدة كل الف سنة». بكل فخر واعتزاز كنّا نستمع الى هذه الكلمات النابعة من قلوب الجنود، والدالة على وعيهم السياسي، وارادتهم الحديدية وثقتهم بالنصر، وانضباطهم وشعورهم العالي بالمسؤولية عن مصير الامة.

ان ما يثير الاهتمام، وما يجدر ذكره هنا هو ما كانت تعجّ به صدور مقاتلينا وقادتنا في تلك الملحمة التاريخية العظيمة. انه ذلك الدافع الذي خلق الروح الهجومية الكبيرة والحسمية القتالية لجيشنا في حملته المظفّرة هذا العام. كما انها كانت الصفات الرائعة التي خلقت الفهم الواضح والمشترك لأفكار الحزب العظيمة ولأهمية اللحظة التاريخية الحالية وللاساليب التكتيكية الجديدة التي لم يسبق لها مثيل من قبل. ولكن كيف نفسّر البسالة الخارقة والسرعة في العمل والذهن السياسي الثاقب، الذي ظهر من خلال اعمال قواتنا المسلحة في هذه المرحلة الاخيرة من الحرب.

ان هذه الصفات الرائعة التي اتصف بها جيشنا لم تتبلور في يوم واحد، بل كانت حصيلة لعمل سياسي وتنظيمي طويل، نفذه حزبنا في قواته المسلحة. وطيلة الثلاثين سنة من الحروب لم تنفذ عملية عسكرية واحدة دون ان يشعر فيها جنودنا

ويدركوا بعقولهم وقلوبهم ان العم هو يقاتل معنا في المعركة جنباً الى جنب. وفي ذلك العام، وفي تلك الموقعة الحاسمة والاخيرة كان جيشنا بأسره وكل جندي فيه يشعر بأنه قوة خارقة تنبع من حقيقة معرفتنا جميعاً بأننا نشارك في عملية تحمل اسم هو شي منه الزعيم العظيم والمحبوب، الذي يمثل سعادة ومجد الامة. ومن جميع الاتجاهات تزحف ارتال قواتنا نحو المدينة، مدينة هوشي منه، وكل مقاتل يحمل في قلبه الامل والحب للوطن - الام. كما ان كل مقاتل من مقاتلي التحرير رأى بأم عينه قوة انتفاضة الشعب وعظمة الوطن الذي ظلّ مقهوراً عشرات السنين، وكيف انه الآن يمتلك هذه الشحنة الهائلة من الطاقة التي لا تستطيع اية قوة في العالم ان تقف امامها بعد الآن.

ان مجموعات قواتنا الخمس الضاربة هاجمت بوتيرة عالية خمسة أهداف رئيسية، لكي تدخل المدينة بعد ذلك وتمزقها الى اقسام وقطاعات. وفي كل مكان ظهرت قواتنا، وفي كل مكان ارتفعت راياتنا الخفاقة. وخرجت جماهير الشعب الى الشوارع مرحبة بالمحررين الظافرين. وحلّ العيد في سايغون والسكان الزاحفون بين جسر بين فيوك وكوان شي يحملون الاعلام والطبول والزمور والزهور بأيديهم، كما انهم يقرعون البراميل وصفائح التنك وهم يركضون وراء جنود الجيش العميل الفارين، ثم يلقون القبض عليهم ويجردونهم من السلاح، ويوجهون قواتنا نحو مخابىء العملاء. وتكررت هذه الصور والمشاهد في هوك مون، حيث كان ابناء وطننا في كل مكان يدعون جنود وضباط العدو بمكبرات الصوت لالقاء اسلحتهم والاستسلام. كما ان السكان العزّل في المدينة وخاصة العمّال منهم دعوا الى حراسة المصانع والمعامل والمستودعات والاغراض الاخرى. وفي المدن والاحياء المحيطة بالمدن الكبرى مثل بين هوا، وتهان مي تي، وفون وان، وغواب، وتوديك وغيرها، قام افراد المنظمات السريّة بالتعاون مع السكان بتوزيع المناشير وتسيير المظاهرات ورفع رايات جبهة التحرير الشعبية في الاماكن العامة، وباصطياد الخونة والعملاء ودعوة افراد الجيش العميل لالقاء السلاح، وامداد قواتنا بالطعام والشراب وارشادها الى الطرقات المحددة. وهكذا فقد دخلت سايغون اضافة الى جيش التحرير الجرار، عدالة الشعب المناضل العظيمة، والانسانية للسلطة الثورية التي استأثرت بقلوب الجماهير. لقد كنّا سعداء الى حد ما عندما علمنا بأن سكان سايغون نهضوا لخوض الصراع بعد ان خلق لهم هجوم قواتنا الظروف المواتية. ان جماهير الشعب انخرطت في الموقعة الحاسمة وفي اللحظة المناسبة. كما ان الاعمال الوطنية للسكان، التي هيأت المناخ الثوري في شوارع

المدينة هي عامل ذو اهمية كبيرة. ان هذا العامل ثمين للغاية وقد اعطى حركة الجماهير في سايغون ـ زادين دفعاً جديداً، وبالاضافة الى ذلك فقد كان نتيجة لعمل دعائي وتربوي وتنظيمي كبير، ونتيجة لجهود طويلة شهدتها مدرسة النضال الثوري القاسية، التي اجتازتها التنظيمات الحزبية في المدينة. لقد خاض الجيش السياسي للجماهير المدعوم بتشكيلات القوات النظامية نضاله في اللحظة المواتية، حيث عمل بحسمية ومهارة ورجولة، كما انه كان قادراً على القيام بقفزات كبيرة ليشكل قوة هجومية كبيرة. ان سكان سايغون لم يخرجوا بالاعلام وبمظاهر الكرم لملاقاة جيش التحرير فحسب، بل انهم اسهموا في سحق قوات كبيرة للعدو، وارغموا العديد من جنود الجيش العميل على القاء اسلحتهم، والقوا القبض على العديد من الخونة الذين حاولوا الاختفاء، وساعدوا على حفظ النظام والامن في المدينة الكبيرة. ونحن لن ننسى ابداً تلك الوجوه الخيّرة وهي تعدّ بالآلاف المؤلفة من سكان سايغون، الذين ساعدوا بكل حماس واخلاص، على شق الطريق امام قطعات قوات التحرير الفيتنامية الداخلة الى سايغون، وارشدوها على الطرقات الهامة، مما ساعدها على احتلال اهم الاغراض المعادية بسرعة كبيرة. ان هؤلاء الابطال المجهولين من ابناء سايغون ـ زادين رفدوا طاقات الهجوم العام بالسمات الحيوية والرائعة للحرب الشعبية.

بدأت تظهر على خريطة العمليات «براعم أزهار اللوتس المتفتّحة والتوّاقة للثورة». لقد كانت تلك البراعم عبارة عن أهم الأغراض المحررّة الخمسة مع الأسهم الدّالة عليها والتي تشير أيضاً إلى اتجاهات زحف قواتنا. ففيلق الجيش الأول احتل مناطق توضّع الأركان العامة وأركانات صنوف القوات. واستولت قوات فيلق الجيش الثالث على مطار تان شون يات والتقت مع وحداتنا المقاتلة التي تواجدت هناك منذ مدة طويلة ـ أي مع وفدنا العسكري. كما أن فيلق الجيش الرابع احتلّ منطقة توضّع وزارة دفاع النظام العميل، وميناء بات دانغ ومحطة الاذاعة. واستولت مجموعة القوات ٢٣٢ على المنطقة حيث كانت توجد فيها أركان المنطقة العسكرية الخاصة بالعاصمة والقيادة العامة للشرطة، واحتلّت قوات فيلق الجيش الثاني على قصر الاستقلال رمز أعداء الشعب والوطن الماكرين، حيث كان يستباح الاستقلال الوطني، ويتاجر بالدم البشري، وتخطط عمليات التهريب. عندما اقترب جنودنا بدباباتهم ووصلوا القصر، اندفعوا بسرعة إلى الطابق الثاني حيث كانت تقع مكاتب الخونة المأجورين، واعتقلوا فيها كافة زعماء الادارة المركزية المأجورة، بما فيهم «الرئيس». لقد عمل هؤلاء الجنود

بمرونة وسرعة، كما أنهم نفذوا أعمالهم التوجيهية بمهارة، وتمسّكوا بالتقاليد والعادات الثورية العريقة وظهروا بمظهر المنتصرين الأشراف. وفي الساعة ١١,٣٠ من يوم ٣٠ نيسان عام ١٩٧٥ كان علم الثورة يرفرف فوق مبنى قصر الاستقلال. وأصبح مقر «رئيس النظام العميل» مكاناً لالتقاء مجموعات قوات التحرير الضاربة.

في مقر قيادتنا، كان الجميع يستمعون إلى أجهزة الراديو على موجات محطة إذاعة سايغون وهم ينتظرون بفارغ الصبر صدور البيان الهام. وأخيراً سمع الجميع صوت «رئيس النظام العميل». لقد أعلن استسلام الجمهورية امأجورة الكامل بلا قيد أو شرط. فأصبحت سايغون بذلك محررة بأكملها. انه النصر المظفّر. نعم لقد أحرزنا النصر الكامل. وبكل غبطة وسرور نهض الجميع من أماكنهم صائحين، ومعانقين بعضهم البعض. وامتلأت تلك الحجرة الصغيرة المكتظّة بصخب وسرور: بالتصفيق والضحك والغناء. وكأن الربيع اندفع إلينا فجأة وهو يحمل إلينا كل هذه التباشير. انها لحظات سعيدة وكريمة لا يمكن التعبير عنها بالكلمات. فقد قام الرفيقان لي ديك تهو وفام هونغ بمعانقتي، ومعانقة كافة الضباط والمقاتلين الحاضرين بكل حرارة واعتزاز. وبنتيجة التهاب المشاعر شعرت بألم في البلعوم فتناولت لفافة تبغ وبدأت أدخن. عندها قال دين ديك تهين وعيناه تترقرقان بالدموع: «ها نحن الآن نستطيع أن نموت بعزّ واطمئنان». ان مثل هذه اللحظات الغريبة، وتلك الدقائق التاريخية المقدّسة تأتي مرة واحدة في حياة الانسان، أو حتى في حياة الأجيال الكثيرة. لقد عرفنا الكثير من لحظات النصر الرائعة، ولكن لم يشرق علينا صباح ذو روعة كروعة هذا الصباح. انه صباح جديد ومشرق وفتّان، يفوح بالعطر لأنه صباح النصر الكامل ففي مثل هذه الساعات ينمو الأطفال بسرعة، ويدّب الشباب في عروق الشيوخ.

أبرق إلينا المكتب السياسي بما يلي: «حصلنا على معلومات حول رفع علمنا فوق «قصر الاستقلال». نهنّئكم بالنصر العظيم. المكتب السياسي مسرور وسعيد». وبعد دقيقة هتفت إلينا أصوات حيّة من قلب وطننا - هانوي، لتقول: «نهنئكم بالنصر العظيم». هل سمعتم أصوات المفرقعات والأهازيج الشعبية؟ ان هانوي بأسرها تستمع إلى أصوات المفرقعات والأهازيج الفيتنامية الشعبية.

خرجت هانوي إلى الشوارع عن بكرة أبيها. الناس يشعلون المفرقعات، ويلقون بالأزهار والبالونات الملّونة في الهواء، ويلوحون بالأعلام. انها هانوي البطلة -

عاصمة وطننا بكامله، حيث يرقد العم هو بحلمه الأبدي، وحيث يعمل العقل الجماعي العظيم لحزبنا. انه بحر من الناس يجتاح الشوارع والساحات العامة، وفي كل مكان تسمع الأغاني والأهازيج، والضحك وأصوات الموسيقى. البلاد بأسرها خرجت إلى الشوارع والطرقات كي تتنفس هواء النصر الكامل. ان البلاد بكاملها سعيدة بحلول السلام الحقيقي بعد ثلاثين عاماً من الحرب، سعيدةٌ بحلول نهاية تلك المأساة التي رزحت على كاهل جزء كبير من وطننا.

ان شعبنا بكامله، ما عدا أولئك الخونة القلّة، كان يتفجّر فرحاً وعزّةً وحماساً، وهو الآن يغنيّ أنشودة واحدة، أنشودة النصر الكامل. ان وجوه مواطنينا لم تكن في يوم من الأيام بمثل هذا البهاء والاشراق الذي يعلوها في هذا اليوم. ولا شك في أن شعبنا البطل كان يستحق هذا النصر التاريخي. لأنه مأثرة عظيمة حققها الشعب بنضاله المرير وجهوده اللامحدودة وبضحاياه الكثيرة. فمنذ هذه اللحظة سيظل وطننا موحداً عبر العصور والأجيال القادمة. والسلام سيظل سلاماً حقيقياً وقوياً، والاستقلال سيكون كاملاً وراسخاً. كما سيلتقي الأبناء والأقارب والأصدقاء ببعضهم البعض، بعد سنين طويلة، من الفراق والهجر، كما ستلتئم الأسرة الواحدة، ويلتئم شمل الشعب الواحد.

ان الرفيق فو سوان شانغ مرافقي، وأحد هواة التصوير، قام بتصوير مشاهد من الفرحة العظيمة داخل مقر القيادة، وفي اللحظات الأولى من تلقّي نبأ النصر الكامل. ومن فرط فرحنا نسينا الطعام والنوم. كما أننا كنا نبكي أحياناً. نعم ان تلك الدموع كنا أول من يذرفها في ذلك اليوم الذي قدّمنا حياتنا وحياة أبنائنا من أجله، وقاتلنا من أجله بكل عزيمة وإيمان.

ان أفكارنا الأولى في تلك الدقائق، كانت حول العم هو العزيز والمحبوب، والذي ارتبط اسمه على الدوام بهذه الملحمة التاريخية العظيمة وبانتصار شعبنا. ان جيشنا وشعبنا سعيدان بأن يقدّما لكم، أيها العم هو، ذلك النبأ السار وهو أن توجيهاتكم نفذت على أكمل وجه. وفي هذا اليوم يقرع في منزلكم المتواضع ناقوس صغير، يؤذن بإحراز النصر على الجبهة. كما أن أصوات النصر تصلكم عبر نوافذ منزلكم الصغير، ممزوجةً بأشعاركم وصدى كلماتكم، لقد حصلنا الآن على ثمار جهودكم. وها نحن الآن نراكم معنا في عيدنا الكبير وأنتم جالسون في وسطنا لتقودوا

المسيرة الجرارة والمظفّرة.

بعد أن تنهدنا الصعداء، نظرنا إلى خريطة العمليات الموضوعة أمامنا على الطاولة الكبيرة ثم ألقيت مع الرفيقين لي ديك تهو وفام هونغ نظرة إلى مدينة هوشي منه. فتواردت إلى أذهاننا أفكار كثيرة حول ما يجب عمله في سايغون. وكنّا نتساءل: هل ما تزال المدينة مؤمنة بالماء والكهرباء كسابق عهدها؟ وكيف سنتعامل مع أكثر من مليون شخص من جنود الجيش العميل الذين انتشروا في جميع أنحاء المدينة وضواحيها؟ كيف سنقدّم المساعدات إلى الجائعين ونوفّر العمل لمئات الآلاف من العاطلين عن العمل؟ ما هي أنواع مواد الخام الصناعية التي سنطلبها من اللجنة المركزية لتقدمها إلى الجنوب لكي تعمل المصانع والمعامل في سايغون من جديد؟ كيف يمكن إقامة أجهزة السلطة الثورية في كل مكان وبالسرعة المطلوبة قدر الامكان؟ ما هي السياسة التي يجب اتباعها حيال البورجوازية؟ وكيف نضع فيتنام الجنوبية على طريق الاشتراكية؟ ان انتهاء ملحمة واحدة يعني بداية لملحمة أخرى، لا تقل عن سابقتها تعقيداً وشدة. الصعوبات كانت كثيرة وكبيرة، ولكن العوامل المواتية والمناسبة لم تكن قليلة. لأن سايغون وفيتنام الجنوبية بأسرها اللذين كانا أول من دخل المعركة، وآخر من توصّل إلى النصر، كانتا تستحقّان حياة السلام الرغيدة والوفيرة.

ان تحرير سايغون ـ زادين خلق الشروط المناسبة لإجبار قوات منطقة الفيلق الرابع على الاستسلام وتحرير الجزء الباقي من دلتا الميكونغ. ففي مطلع شهر نيسان أصدر مكتب الحزب في جنوب فيتنام، وقيادة قوات الجنوب المسلّحة توجيهاً عملياتياً إلى مناطق ومقاطعات الدلتا لكي تستعدّ على جناح السرعة لشن الهجوم العام، وتحريك الانتفاضة الشعبية العامة في آن واحد مع تنفيذ عملية تحرير سايغون ـ زادين. وقد جاء في التوجيه العملياتي بصورة واضحة بأن الهجوم والانتفاضة يجب أن يبدآ في التاسع والعشرين من نيسان، بحيث تحقق كل منطقة ومقاطعة وقضاء وقرية تحرير نفسها بقواها الخاصة. غير أنه بناءً على توجيهات المكتب السياسي للحزب ولجنته العسكرية، قررت قيادة عملية هوشي منه، بعد تحرير سايغون، تخصيص قسم من القوى والوسائط للهجوم على دلتا الميكونغ وسحق العدو في منطقة الفيلق الرابع إذا ما حاول إبداء المقاومة.

وبدأت الأعمال القتالية والانتفاضات في جميع مقاطعات دلتا الميكونغ حسب

الخطة المرسومة بدقة.

ان تلك الأعمال كانت قد نفذت وبصورة خاصة قبل عملية هوشي منه ومع بداية فصل الجفاف، وذلك من قبل التشكيلات المسلحة والسكان التابعين لهذه المنطقة، التي كان العدو يقوم فيها ـ كما هو الحال في كافة مناطق الجنوب ـ بعمليات إبادة رهيبة بقوات كبيرة. وبنتيجة ذلك استطاع الوطنيون تقوية مواقعهم إلى حد كبير، وتطوير قدراتهم، وتكبيد قوات منطقة الفيلق الرابع خسارة فادحة. وقد ازدادت المناطق المحررة اتساعاً، وتقلّصت المنطقة التي يسيطر عليها النظام العميل، كما نفذت احتياطات العدو. وفي الوقت نفسه تطوّرت قواتنا كما رأينا وأصبحنا على مقربة من أهم أغراض العدو. وقد تعززت قوتنا الاجتماعية والسياسية، كما أن المفارز والمجموعات المنظّمة تنتظر اللحظة المواتية والاشارة المحددة لتهب وتسحق العدو.

في ليلة الثلاثين من نيسان، وعندما بدأت مرحلة الاقتحام في عملية هوشي منه، كانت القوات النظامية التابعة للمنطقتين العسكريتين الثامنة والتاسعة قد طوّقت ـ بالتعاون مع التشكيلات المحلية ومفارز الأنصار والميليشيات الشعبية ـ مدينتي ميت هو وكانت هو وقطعت الطريق رقم ـ ٤ في نقاط عديدة. وبعد تحرير سايغون انتقلت قوات هاتين المنطقتين العسكريتين إلى الهجوم مستفيدةً من حالة الارباك الشديد والانهيار التي أصابت قوات العدو. وبقيادة المنظّمات الحزبية المحلية انتقلت هذه القوات إلى الهجوم الذي تدعمه انتفاضة الجماهير، وبذلك استطاعت قواتنا المهاجمة تحرير المدن والاستيلاء على القواعد العسكرية الكثيرة، وشبكة النقاط المحصّنة بكاملها، وتحطيم الجهاز الاداري للنظام العميل في القرى والمناطق والمقاطعات، وتحرير دلتا الميكونغ بكاملها، ثم انتقلت هذه القوات إلى تطهير الجزر من العدو على جناح السرعة. والجدير بالذكر أن أعمال قواتنا والانتفاضة الشعبية كانت مختلفة من حيث الشكل، وذات طابع إبداعي وخلّاق.

لقد كانت الساعات الأخيرة في حياة قوات منطقة الفيلق الرابع، ساعات مأساوية «تراجيدية» بالفعل.

لقد كان للعدو هنا ثلاث فرق من الجيش النظامي هي: السابعة والتاسعة والحادية والعشرون، وكذلك وحدات القوات المدرّعة، والمدفعية والأسطول النهري،

ومفارز قوات «الأمن» و«الدفاع المدني» التابعة والملحقة بهذه الفرق. كانت الفرقة الحادية والعشرون تنفذ مهام الدفاع عن أركان منطقة الفيلق الرابع في كانت هو. وفي صباح الثلاثين من نيسان صدّت هذه الفرقة هجمات قواتنا على النطاق الخارجي للدفاع. وحتى بعد أن أعلن «الرئيس» عن استسلام الجمهورية، ظلّ قائد منطقة الفيلق الرابع العميد نيغوين هوا نام يطالب قواته: «بمراعاة نظام القتال المعروف وهو الرد على الهجمات بهجمات معاكسة». وفي الساعة ١٦٠٠ من ذلك اليوم استدعى نيغوين هوا نام إليه قائد الفرقة الحادية والعشرين العميد ماك فان شيونغ محاولاً بذلك العثور لديهِ على طرق جديدة للتصدّي لأعمالنا الهجومية. غير أنه، تحت تأثير ضغط جيشنا المتزايد ساعة بعد ساعة، قام جنود الأفواج الثلاثة: الحادي والثلاثين، والثاني والثلاثين، والثالث والثلاثين مع غالبية ضباط أركان الفرقة بإلقاء السلاح من تلقاء أنفسهم، وخلعوا ألبستهم العسكرية وفرّوا إلى منازلهم. أما مجموعة الضباط الكبار المتبقية فقد استسلمت في الساعة ٢٠,٠٠ من ذلك اليوم.

أما الفرقة السابعة، فقد قامت بمحاولات لفتح الطريق رقم ـ ٤. فبعد أن علم قائد الفرقة العميد شان فان هاي بسقوط سايغون في أيدينا، دعا مرؤوسيه إلى اجتماع في قاعدة دونغ تام (ميت هو). وفي هذا الوقت ترك جنود الفرقة مواقعهم وانصرفوا إلى منازلهم. وعند المساء فرّ ضباط الفرقة أيضاً. وخلافاً لذلك فقد قام شان فان هاي بقتل نفسه منتحراً. وبذلك انتهى وجود الفرقة السابعة أقوى تشكيل في منطقة الفيلق الرابع.

كما أن الفرقة التاسعة التي يقودها العميد هوين فان لاك،قامت بمحاولة في صباح الثلاثين من نيسان لفك الحصار عن الطريق رقم ـ ٤ في منطقة لونغان. ولكن بعد أن أعلن زيونغ فان مين عن استسلام الجمهورية، وتعاظم وتيرة هجومنا وانتفاضة شعبنا انهارت معنويات جنود وضباط الفرقة بصورة نهائية وتفرّق شملهم. وفي الساعة ٤٠٠ من صباح الأول من أيار انتهى وجود الفرقة التاسعة.

وبعد أن تهاوت منطقة الفيلق الرابع كبيت من الكرتون تحت ضربات التشكيلات المسلّحة وانتفاضة جماهير دلتا الميكونغ، لم يبق أمام الجنرالات وقادة القوات في هذه المنطقة أي خيار آخر غير الاستسلام والأسر أو الفرار أو الانتحار.

بدأنا بتحميل السفن الحربية بالدبابات والمدافع استعداداً لمعركة تحرير

بولو ـ كوندورا، المعركة الأولى التي ترتّب علينا تنفيذها بالجهود المشتركة للقوات البرية والبحرية والطيران. وما إن غادرت السفن أرصفتها على ضفة النهر حتى وصل نبأ يفيد بأن المعتقلين في سجن بولو ـ كوندورا انتفضوا وحرّروا الجزيرة. وأصدرت قيادة المنطقة العسكرية التاسعة أوامرها بتخصيص قوات إضافية للإسراع في تحرير جزيرة فوكوك. وأُمرت سفن الأسطول الفيتنامي بنقل كافة الوطنيين الموجودين في السجون والمعتقلات من الجزر إلى الأرض الواسعة.

في الأول من شهر أيار احتفلت قيادة عملية هوشي منه بالتحرير الكامل للجنوب وبيوم عيد العمال العالمي. وظهرت على الطاولة الآن أنواع الحلوى والبسكويت وأنواع المشروبات. وعندما شاهد الرفيق فام هونغ زجاجة النبيذ سأل بتعجّب مرح: من أين لكم هذه؟ عندئذٍ «أفشى» الرفيق دين ديك تهين السرّ قائلاً:

ـ اليوم نحتفل بعيد ميلاد الرفيق فان تين زوانغ. وقد أرسلت إليه هذه الزجاجة من «المؤخرة». ألم تذكروا كيف شربنا هذا النبيذ في كوانغ شي برفقتكم منذ ثلاث سنوات وفي الأول من شهر أيار عام ١٩٧٢؟.

في وسط تلك الغابة القريبة من الأماكن التي مرّ فيها بالأمس خط الجبهة، والتي يحلّ فيها الآن السكون معلناً حلول الربيع في تاريخ الوطن، في ذلك المكان بالذات اقترح الرفيق فام هونغ وهو يبتسم ابتسامة عريضة أن نشرب نخب النصر العظيم الذي أحرزناه الآن، ونخب النصر الذي حظي بشرف اسم الرئيس هوشي منه، وحزبنا البطل ولجنته المركزية ومكتبه السياسي، وقواتنا المسلحة الباسلة وشعبنا البطل والعظيم. ان مجد هذا النصر صنعه أيضاً أولئك الأبطال الذين سقطوا في سبيل الاستقلال وحريّة وطننا وفي سبيل مستقبله الاشتراكي. استقلينا السيارات وتحركنا إلى سايغون. وكان طريقنا يمر عبر المناطق التي عانت الكثير أثناء تحرير سايغون: تشانغ بانغ، كوتي، هوكمون، بادين (كانت المنطقتان الأخيرتان قاعدتين لنا منذ لحظة تأسيس الحزب). وعلى الطرقات، وفي القرى، وفي شوارع المدن لم نشاهد في حياتنا مثل ذلك «البحر من الدم» الذي حاول العدو به أن يرهب مواطنينا في الجنوب. ومع هذا كله كنّا نرى في كل مكان بحراً من الناس الذين بشّت وجوههم، وخرجوا ليستقبلوا السلام القادم وموكب الثورة. كما أن هذا البحر من المواطنين صب في أرتال قواتنا الغزيرة كدليل أكيد على حلول النصر الكامل. وعلى كلا جانبي الطرقات نرى

الألبسة العسكرية التي ألقى بها العدو قبل فراره، كما نرى أسلحته وذخائره وآلياته هنا وهناك. إن ذلك لم يكن آثار تحطيم جيش فحسب، بل كان دليلاً قاطعاً على إفلاس العقيدة السياسية الرجعية ـ عقيدة الامبرياليين الذين تزاحموا وراء الثروة واستخدموا السلاح وهم عميان لا يبصرون الحقيقة. أما عن المهازل ـ مهازل هؤلاء: ففي كل قاعدة عسكرية سابقة للعدو، وفي كل معسكر كنا نرى شعاراً واحداً أو شعارات متشابهة مكتوبة أو مزركشة بخطوط عريضة وألوان زاهية منها: «شرف ـ مسؤولية ـ وطن». أي كل ما يفتقر إليه العدو تماماً. إنه كان يفتقر حقاً إلى هذه الشعارات ولذلك كان صوته يعلو ويعلو دائماً منادياً بها في كل مكان، لأنه بالفعل كان يشعر بجوع نحوها.

ان الطرقات المؤدية إلى سايغون كانت من النوع الممتاز ـ لأن الأميركيين بنوها لنقل القوات قبل كل شيء. أما القواعد والمستودعات العسكرية فكانت ذات مساحات كبيرة. كما أن مباني البنوك، والقيادة العامة للقوات الأميركية والفنادق كانت متعددة الطوابق وذات مظهر خارجي أنيق لكي تكون دعاية إعلامية لعظمة الاستعمار الأميركي الجديد، الذي كان ينوي أن يبقى هنا إلى مدة طويلة. ففي عام ١٩٦٨ قال وست مورلاند يتباهى أمام العالم أجمع: «اننا سنبقى في فيتنام الجنوبية إلى الأبد. فقنابلنا وقذائفنا تؤكد على ذلك». غير أن الحقيقة أكّدت العكس تماماً.

وصلنا إلى مبنى الأركان العامة للجيش العميل، حيث كانت جميع وثائق العدو السرية موجودة بكاملها، كما كان الحال في القيادة العامة للشرطة. كما أن الآلة الحاسبة الاليكترونية الحديثة، التي كانت تحفظ في ذاكرتها المعطيات المسجلة عن أكثر من مليون ضابط وجندي في النظام العميل، واصلت عملها. حتى أن الآلات الحاسبة الاليكترونية لم تستطع أن تساعد واشنطن وعملاءها في تلك الحرب. ولم ينتصر في هذه الحرب إلا العقل الحيّ والارادة الهادفة إلى تحرير شعبنا.

تحركنا من مبنى الأركان العامة إلى «رانشوديفيس» في مطار تان شون يات وفي الغرفة التي عقد فيها وفدنا مؤتمره الصحفي من قبل، عقد الرفيق هوسوان آن أول مؤتمر لقيادة عملية هوشي منه، بعد النصر. وقد ضم هذا المؤتمر القادة والمفوضين السياسيين لفيالق الجيوش: الأول، والثاني، والثالث، والرابع، والمجموعتين ٢٣٢، و٥٥٩. وقد تحددت في هذا المؤتمر المهام الواضحة لكل فيلق جيش ولكل تشكيل

لفترة الترميم العسكري في سايغون، كما تم توزيع الواجبات لإدارة مختلف الأغراض العسكرية التي تخلىّ عنها العدو.

منذ سبعة عشر يوماً، وعندما كنّا نتدارس مع قيادات فيالق الجيوش المهام القتالية الملقاة على عاتقها، والمتعلّقة بتوليّ إدارة المدينة، كنّا قد استطعنا تحديد تلك المهام على الخريطة فقط، أما الآن فإننا نجلس في قلب سايغون ونستطيع أن نرى بأعيننا كل شيء، وندرس المهام ونصدر الأوامر على الطبيعة.

وبعد بضعة أيام وصل إلى سايغون الرفيق لي زوان والرفيق فو نيغوين جياب قادمين بالطائرة من هانوي. هبطت الطائرة في مطار تان شون يات. وتحت أشعة الشمس الساطعة، شمس العاصمة هوشي منه، نزل على سلم الطائرة السكرتير الأول للجنة المركزية لحزبنا، الذي نكنّ له كل ود واحترام. كنّا نرى كيف أنه يشدّ ياقة معطفه نحو عينيه محاولاً مسح دموعه التي انهمرت فجأة. ان الرفيق لي زوان الذي عاش سنوات قاسية وهو يقود النشاط الثوري في جنوبي فيتنام كان يدرك، أكثر من سواه الأهمية الكاملة لنصرنا العظيم هذا اليوم. لقد عانق بحرارة الرفاق لي ديك تهو وفام هونغ، وشان كوك هوان وأعضاء مكتب اللجنة المركزية للحزب في جنوب فيتنام كما عانقني أنا أيضاً وعانق الآخرين الذين قدموا لاستقباله، وأعرب عن شكره لنا على عملنا الكبير وذكّرنا بالكثير من الأعمال الهامة التي تنتظرنا في المستقبل.

في عيد النصر، جاءنا إلى سايغون الرئيس تون ديك تهانغ على رأس وفد من فيتنام الشمالية، وفي مطار تان شون يات استقبله الرفاق ديك تهو وفام هونغ وأعضاء مكتب اللجنة المركزية للحزب في جنوب فيتنام، ورئيس اللجنة المركزية للجبهة الوطنية لتحرير فيتنام الجنوبية نيغوين هيو تهو، ورئيس الحكومة الثورية المؤقتة لجمهورية فيتنام الجنوبية هوين تان فات، وقادة اتحاد القوى الوطنية الديموقراطية المحبة للسلام في فيتنام، وغيرهم من الزعماء والقادة، وممثلون كثيرون عن سكان سايغون. ولقد دخلنا مع الرفيقين لي ديك تهو وهوان كوك فيت في قوام الوفد الفيتنامي الشمالي. وعندما وصلت إلينا الطائرة صعدنا، وسط هتافات المجتمعين، إلى الصالون لكي نسلّم على العم تون. توجّهت إليه ورفعت يدي لتحيّته تحيةً عسكرية، قائلاً:

١ ـ رفيقي الرئيس اسمحوا لي أن أبلغكم: بأن القوات المسلحة الشعبية في فيتنام نفذت مهمتها ـ حررت سايغون، وفيتنام الجنوبية بكاملها.

لم أستطع أن أقول أكثر من ذلك. لأنني عندما رأيت العم تون تذكّرت على الفور العم هو. ومما يحزّ في النفس أن العم هو ليس بيننا الآن ليرى بأم عينيه النصر الكبير في الشمال والجنوب. ان العم هو ظل طوال حياته وحتى آخر دقيقة من عمره يفكّر بمصير الجنوب. انني أذكر في عام ١٩٦٩ وقبل سفري إلى إحدى البلدان الاشتراكية الشقيقة أن هوشي منه نصحني بأن لا أنسى زيارة الفيتناميات الفدائيات اللواتي كنّ يعالجن في ذلك البلد. كانت إحداهن وهي الفتاة كين، قد قطعت ساقها. وعند عودتي إلى الوطن في السابع من آب عام ١٩٦٩ دعيت إلى العشاء مع العم هو والعم تون. ونقلت إلى الرفيق هوشي منه رسالتين من اثنتين من أولئك الفتيات، وحدثته عن أحوالهن الصحيّة، وقدمت له صوراً فوتوغرافية أخذت له بصحبة الفتيات من قبل. كان العم هو مرتاحاً لحديثي، لأن همّه وأفكاره حول الجنوب وحول الوطنيين المقهورين هناك لم تفسح أمام حياته لحظة واحدة من الهدوء والاستقرار. أما اليوم فقد انجلى ظلام الليل وأشرق على البلاد نهار جديد بلا ليل. ان مواطنينا الجنوبيين لم يحظوا بشرف لقاء واستقبال العم هو، غير أن إرادته وأفكاره ستعيش في صدورهم إلى الأبد، وفي قلوب كافة العاملين فوق أرض فيتنام المحرّرة والموحّدة.

بعد الاحتفال بمناسبة النصر، وميلاد الرئيس هوشي منه (أقيم الاحتفال في الساحة الواقعة أمام قصر الاستقلال، حيث توجد الآن اللجنة الادارية العسكرية لمدينة سايغون) اجتمعت قيادة عملية هوشي منه بكامل هيئتها، وقادة التشكيلات والقطعات التي شاركت في العملية في مدينة دالات من أجل استخلاص النتائج الأولية للحملة. وكان طقس شهر أيار في دالات يذكّرنا بطقس الخريف في هانوي. إذ مضى خمسة شهور منذ أن طرح المكتب السياسي مسألة التحضير للهجوم العام والانتفاضة الشعبية.

لقد عقد مؤتمرنا في أكبر حيٍّ من أحياء دالات: «فندق بالاس»، الذي كنا نرى من شرفاته منظراً رائعاً، ألا وهو السهول المحيطة ببحيرة سوان يونغ والمنطقة الوسطى من المدينة. ومنذ تسع وعشرين سنة دارت في هذا المكان المحادثات مع المستعمرين الفرنسيين، وبنتيجتها فرضت علينا السيطرة الاستعمارية الفرنسية بشكلها الجديد. واليوم يجتمع في هذا الفندق الكبير ممثلون عن جميع تشكيلات وقطعات الجيش الشعبي الفيتنامي الذي أحرز النصر في عملية هوشي منه التاريخية، والذي حمل

السلام والاستقلال والوحدة إلى البلاد. ان رفاق السلاح الذين قاتلوا كتفاً إلى كتف، وشاركوا جنباً إلى جنب في العملية الهجومية الرائعة وحققوا لها النجاح، يلتقون اليوم ولأول مرة على هذا النطاق الواسع. وجوههم يعلوها الفرح، وتحيّاتهم تنبعث منها السعادة، وعناقهم المتبادل حار ونابع من صميم قلوبهم... انهم في غاية الغبطة والفرح. لقد نظرت الى هؤلاء الأعزاء على قلبي - رفاق السلاح، فجال في خاطري شريط من الذكريات... تذكرت احاديثهم على الهاتف، ونصوص برقياتهم اللاسلكية، وتقاريرهم التي ارسلوها، كما تذكّرت تلك الايام القاسية التي عاشها هؤلاء الأبرار طيلة الاشهر الأخيرة التي شهدت هجوماً متواصلاً على العدو.

باسم قيادة العملية افتتح المؤتمر المفوض السياسي الرفيق فام هونغ، اذ قال: «ان عملية هوشي منه المظفّرة تعتبر اللحظة الختامية والرائعة لهجومنا الكاسح والعام وانتفاضة شعبنا، اللذين بدآ في الثلث الأول من شهر آذار وانتهيا في الثلاثين من نيسان هذا العام. وخلال تلك العملية سحقنا العدو في الوقت المحدد وفي معقله الأخير، وحرّرنا المدينة التي تحمل الآن اسم الرئيس هو شي منه، ودمّرنا وفرّقنا شمل العدو وأسرنا قواته في منطقتي الفيلقين الثالث والرابع، بما في ذلك الاحتياطات الاستراتيجية لمختلف انواع القوات المسلحة وصنوف القوات، وكذلك تشكيلات القوات النظامية ووحدات التشكيلات المحلية، واستولينا على كل ما في حوزة العدو من اسلحة، وحررنا جميع الموانىء والمطارات والمستودعات، واسقطنا بالكامل نظام السلطة العميلة، وصعّدنا الهجوم العام والانتفاضة الشعبية في جميع انحاء فيتنام الجنوبية حتى النصر الكامل، وبذلك نفذنا المهمة التاريخية للثورة الديموقراطية الشعبية الوطنية في كافة ارجاء بلادنا.

اذا كنّا في الماضي أنزلنا بالمستعمرين الفرنسيين الهزيمة المنكرة في ملحمة ديان بيان فو، فإننا اليوم وضعنا، بانتصارنا في عملية هوشي منه، النهاية للسيطرة الاستعمارية الاميركية الجديدة في جميع انحاء فيتنام، بعد ان نفذنا تماما وبنجاح الوصيّة المقدّسة للرئيس هوشي منه.

بعد نصف قرن من النضال، ومنذ تأسيس حزبنا، انتشرت الثورة الديموقراطية الشعبية وعمّت جميع انحاء وطننا. ان هذا النصر خلق الشروط المواتية امام شعبنا لكي يبني دولته المسالمة والموحّدة والمستقلة والديموقراطية والحضارية، بغية الاسهام في

حفظ السلام في منطقة جنوب شرقي آسيا بشكل خاص وفي العالم اجمع بشكل عام».

لقد اعلن الرفيق لي ديك تهو في كلمته التي القاها باسم المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب عن شكره لقواتنا المسلحة، وابناء الشعب الفيتنامي على النصر العظيم الذي تحقق. كما انه حلّل بعمق وشمول اهمية واسباب نجاح الهجوم العام والانتفاضة الشعبية العارمة في ربيع عام ١٩٧٥ بشكل عام، ونجاح عملية هوشي منه التاريخية بشكل خاص. ونستطيع ان نلخّص افكار لي ديك تهو بالخطوط العريضة التالية على وجه التقريب:

لقد انتصرنا بفعل عوامل كثيرة، غير ان العامل الرئيسي والأهم والحاسم كان يتمثّل في القيادة الصحيحة والعبقرية من جانب الحزب. كما ان انتصارنا كان ممكناً ايضاً بفضل التقاليد الوطنية لشعبنا، والبطولة الرائعة لابناء القوات المسلحة الشعبية، وبفضل مساعدات البلدان الاشتراكية الشقيقة وجميع اصدقائنا في العالم.

ان المكتب السياسي واللجنة العسكرية للحزب قاما بنشاطات تنظيمية وتوجيهية كبيرة، كما انهما وضعا وطبقّا الافكار السليمة على ضوء الرؤ ية المستقبلية الواضحة، مما ساعدهما على قيادة الهجوم العام والانتفاضة الشعبية بنجاح. ان الانتصار الذي تحقق اصبح نتيجة لحرب المقاومة الطويلة التي خاضها شعبنا بأسره لمدة ثلاثين عاماً. وهذه السنوات الثلاثون وفّرت لنا جميعاً، وخاصة لقواتنا المسلحة الخبرات والمهارات الجيدة، والتلاحم وشحذ الشعور الوطني الأصيل. كما ان انتصار ثورة آب خلق الشروط لاحراز النصر في حرب المقاومة ضد الفرنسيين. كما ان النصر في اعمال المقاومة ضد الفرنسيين خلق الشروط المواتية لتحويل الشمال الى قاعدة صلبة للثورة في جميع انحاء البلاد وتحقيق النصر في النضال ضد العدوان الاميركي. وبعد ان أجلى المعتدون قواتهم عن بلادنا، حضّرنا التربة الصالحة لاسقاط طغمة العملاء والمأجورين. فالهجوم العام والانتفاضة الشعبية اكّدا على استمرارية جهودنا الهادفة الى تحقيق النصر الكامل والنهائي. لقد كان تحرير بون ميت هوت بداية للخرق الاستراتيجي، كما ان التحرير الكامل لتاين غوين، الذي تلا ذلك، أدّى الى احداث منعطف جذري في الحرب، وسهّل علينا عملية سحق القوات المعادية في هويّ ودانانغ وفي المنطقة العسكرية الخامسة برمّتها كما ساعدنا ايضاً على احباط الخطة الاستراتيجية للعدو الهادفة الى استنزاف قوانا. وان انتصارات تاين غوين، وهويّ، ودانانغ مع الاعمال

الهجومية الاخرى لقواتنا، وانتفاضات شعبنا في المنـاطق الجبلية، واراضي نـامبو الزراعية، هيّأت الشروط المواتية جداً لاحراز النصر في الموقعة الحاسمة والاخيرة ـ عملية هو شي منه.

خلال سنوات الحرب ضد الاميركيين، حضّرنا للعدو مفاجآت وهدايا لا ترضيه ابداً. فبعد التوقيع على اتفاقية باريس قال كيسينجر لممثلينا: بأن الاميركيين أُصيبوا مرتين بالمفاجأة والذعر في هذه الحرب. المرة الاولى في عام ١٩٧١ وفي اثناء العملية التي حدثت في منطقة الطريق رقم ـ٩ جنوبي لاووس. اذ ان الاميركيين لم يتوقعوا آن ذاك، اننا نستطيع بهذه السرعة نقل القوات الى تلك المنطقة، كما انهم لم يتوقعوا ان تكون قوات دفاعنا الجوي قوّية وكثيرة في تلك المنطقة بهذا المقدار. والمرة الثانية في عام ١٩٧٢، عندما لم يخطر ببال الاميركيين بأننا نستطيع ارسال دباباتنا الى آن لوك نفسها (لأنها بعيدة جداً عن هانوي). والحقيقة اننا في عام ١٩٧٢ لم نستخدم الدبابات في معركة آن لوك فقط، بل وفي مناطق اخرى ايضاً. وبذلك فإن الاميركيين لم يفاجأوا مرتين فقط، بل مراراً كثيرة. الم يكن هجومنا في عيد رأس السنة القمرية مثلاً مفاجأة لهم. ففي ذلك الهجوم الحقنا بهم خسائر كبيرة، مما اضطرهم الى تغيير استراتيجيتهم. كما ان التصدّي الناجح لغارات القاذفات الاميركية من نوع ب ـ٥٢ على فيتنام الشمالية كان مفاجأة ايضاً للمعتدين. ان ذلك القصف كان يهدف الى قمعنا ولكنه فَقَدَ تأثيره علينا. ولا شك في ان هذا النصر عزّز من مواقعنا وموقفنا في محادثات باريس. وفي اثناء هجومنا العام وانتفاضة شعبنا عام ١٩٧٥، خلقنا للعدو ايضاًظروفاً كثيرة لم يحسب لها الحساب. غير ان المفاجأة الكبرى للامبرياليين الاميركيين كانت في نهاية المطاف تتمثل في تدخّلهم في الحرب الفيتنامية الجنوبية. لقد كان ذلك خطأً جسيمًا بالفعل، وفشلا استراتيجياً للولايات المتحدة الاميركية.

الامبرياليون الاميركيون عنيدون، ولذا ينبغي عليهم ان يجنوا الثمـار المرّة لسياستهم الهوجاء. فبعد التوقيع على اتفاقية باريس، واثناء اللقاء الجديد في باريس خلال تموز من عام ١٩٧٣، قلنا لكيسينجر بكل وضوح:

«لن يخلّ احد بشروط اتفاقية باريس حـول فيتنام غـير الولايـات المتحدة الاميركية، التي تواصل الحرب العدوانية الاستعمارية الجديدة. وليس من المنطقي ان يلتزم طرف بالاتفاقية في حين يخرقها الطرف الآخر. نحن لن نظلّ مكتوفي الايدي

ازاء خرق الاتفاقية، ولن نسمح لكم بتنفيذ كل ما تريدون وما ترغبون. فنحن لن نوافق ابداً على ان نكون الجانب السلبي وتجاه خرق الولايات المتحدة الاميركية للاتفاقيات المعقودة سنحتفظ بحقّنا في حرية العمل».

كانت تلك هي تحذيراتنا لواشنطن منذ زمن بعيد. إلا ان الامبرياليين الاميركيين وعملاءهم واصلوا خرق الاتفاقية باستمرار، وصعّدوا الحرب يوماً بعد يوم، وزادوا من عمليات التأديب والقمع ضد سكان فيتنام الجنوبية.

لقد علّم لينين الثوريين وقال لهم بأنه بعد النصر ينبغي عدم الافراط في السرور والفرح بهذا النصر. لأن الغبطة في هذه الحالة تؤدي الى التراخي، وضعف الحذر واليقظة. ان الامبريالية الاميركية تكبّدت الهزيمة في فيتنام، إلا انها لم تقلع عن الافكار السوداء ومخططاتها الجهنمية تجاه وطننا. فبالتعاون مع القوى الرجعية الاخرى ستبحث عن طرق اخرى لنسف المكتسبات الثورية التي حققها شعبنا. كما ان عملاءها سيحاولون ايضاً التسلل الى صفوفنا لاعاقة مسيرتنا من الداخل. لذلك يجب علينا مراعاة اليقظة والحذر، واقامة نظام قوي ومتين للدفاع الوطني، وتشكيل جيش قوي مستعد لدخول المعركة في اي وقت ضد المعتدي، وحماية الوطن.

بالاضافة الى ذلك، يجب الابتعاد عن مظاهر الغطرسة والتبجّج والوصولية. وكما قال الرفيق لي زوان، ان شرف النصر يعود الى الحزب والرئيس هوشي منه العظيم والشعب وقواته المسلحة، والمقاتلين الذين سقطوا شهداء في سبيل الوطن. وان شرف النصر يعود ايضاً الى الوطن بأسره وليس الى شخص معين او الى فئة او منطقة معيّنة. ان القوة التي اوجدت النصر، هي قوة البلاد بكاملها بأبنائها جميعاً، انها قوّة الوطنية والافكار الاشتراكية.

لقد حلّل الرفيق لي ديك تهو فن الحرب الفيتنامي المتميّز تحليلا عميقاً وخاصة فن تنظيم وتنفيذ الحملات العسكرية والعمليات الكبيرة كالتي حدثت في ملحمة سايغون.

بعد ذلك تقدمت بمذكرتي، التي ضمّنتها محُصّلات عملية هوشي منه وقد اتضح لي كمتحدث في ذلك المؤتمر، ولجميع المشاركين فيه، انه خلال الملحمة الاخيرة اظهر حزبنا وقواتنا المسلحة وشعبنا العديد من المبادرات الابداعية والخلاّقة، كما حصل على

الخبرات الفنية، التي من شأنها ان ترفد العلم العسكري الفيتنامي بعد دراستها وتعميمها ومعالجتها، وتشكّل خطوة جديدة في تطوير فن الحرب لدينا، الامر الذي سيساعدنا على تشكيل الجيش الثوري النظامي الحديث القادر على حماية الاستقلال الوطني والسلام والبناء الاشتراكي في وطننا العزيز، وتنفيذ واجبه الاممي بشرف واخلاص، كجيش ثوري مؤمن بمبادىء وأفكار الحزب اللينيني الماركسي الأصيل ـ حزب كادحي فيتنام المظفّر.

ان الانتصار الكامل والنهائي الذي جاء في اعقاب الهجوم العام والانتفاضة الشعبية في ربيع عام ١٩٧٥، يعتبر اعظم وأكرم نصر في تاريخ بناء وحماية وطننا طيلة اربعة آلاف سنة خلت. لقد فتح هذا النصر عهداً جديداً ومشرقاً في حياة شعبنا وبلادنا.

لقد تحقق هذا النصر التاريخي المعاصر خلال مدة قصيرة للغاية والسبب في ذلك قد يرجع الى بعض اخطاء الامبرياليين الاميركيين التي ارتكبوها اثناء الحرب ذاتها او بعد ان القوا عبء هذه الحرب على عاتق غيرهم. او ان السبب في ذلك يعود الى اخفاق الادارة العميلة والجيش المأجور، لأن الآلة العسكرية السايغونية الرهيبة التي في قوامها اكثر من مليون جندي، والتي تأسست طيلة عشرين سنة او يزيد، كانت عاجزة عن التصرف ازاء هجومنا ومشلولة الحركة، مما ادى الى تدميرها خلال اقل من شهرين. إلا ان هناك اسباباً اخرى حقيقية كامنة وراء هزيمة الامبرياليين. لا شك في ان هزيمة العدو كانت ذات طابع محتوم ومنطقي. لأن استراتيجيتنا وتكتيكنا وتوزيعنا للقوى واساليبنا في خوض المعركة وضعت العدو في ذلك الموقف الذي لم يمكّنه، لا من الهجوم ولا من الانسحاب، ولا من تغيير اي شيء في الموقف، ولذلك فقد تكبّد الهزيمة المحتومة والكاملة.

ان الفكرة الاستراتيجية للمكتب السياسي للحزب، كانت منذ البداية تنحصر في تحرير فيتنام الجنوبية بكاملها وبأقصى سرعة ممكنة. كما قرر المكتب السياسي في حينه بأننا، حتى في حال دخول الولايات المتحدة الاميركية في الحرب من جديد، سنهاجم بحسم وبدون توقف، ونُطوّر قوة ضرباتنا ونحقق الانتصارات الاكبر. كما انه كان ينبغي علينا اعداد القوى واتخاذ التدابير المناسبة لنكبّد الولايات المتحدة الاميركية خسائر افدح. والاميركيون الامبرياليون قاموا بدورهم بتعبئة قوات عسكرية كبيرة

خلال سنوات عديدة من اجل خوض حرب عدوانية ضد بلادنا، إلا انهم في نهاية المطاف منوا بالفشل الذريع واضطروا الى سحب قواتهم المغلوبة على امرها من فيتنام الجنوبية. ولو ان اميركا زجّت بهذه القوات من جديد في تلك الحرب فهل كانت تستطيع ان تغيرّ شيئاً في الموقف؟ طبعاً لا، لأن الذي كان ينتظرها، لو فعلت ذلك، هزائم مروِّعة ومخزية جديدة. لأن ميزان القوى كان يسمح لنا بتحقيق ذلك. والامبرياليون الاميركيون لم يعاودوا ارسال الاسلحة والدولارات الاضافية الى عملائهم في سايغون، لا لأن احتياطاتهم من المال والسلاح قد نفذت، وليس بسبب اخطائهم في الحساب، بل لأن الادارة الاميركية ادركت ـ ازاء ذلك الوضع الخطير ـ بأنها مهما ساعدت النظام العميل، سيسقط هذا النظام في نهاية المطاف، وان تلك الاسلحة والاموال ستنتقل الينا.

ان تكتيكنا ايضاً جعل الجيش المأجور يعمل في وضع لا يحسد عليه. فالعدو كانت تنتظره نهاية واحدة في كل موقف وفي كل معركة ألا وهي السحق او التدمير. ولم يكن سحبه لقواته من تاين غوين مجرّد صدفة، ولكن حتى لو انه لم يفعل ذلك، فهل كان باستطاعته تفادي الهزيمة؟

بعد تحرير بون ميت هوت والقضاء على التجميع الذي شن علينا الهجوم المعاكس بدأنا بالتحضير لاجتياح بليكو وكونتوم، لأن ذلك يأتي تلبية لافكار المكتب السياسي، الذي اتخذ في مطلع عام ١٩٧٥ قرارة بتحرير تاين غوين مهما كلّف ذلك من ثمن. وأمام هذه القوى الكبيرة التي كنّا قد حشدناها في مطلع شهر آذار في تلك المنطقة ادرك العدو بأنه لو بقي في بليكو او كونتوم فإنه سيدمّر لا محالة. ولذلك فقد قرر الانسحاب للمحافظة على قواه. امّا نحن فلم نمكنّه من ذلك، اذ اوقفنا ودمّرنا قوته الحية كلها تقريباً. وهنا لم يكن امام العدو اي خيار آخر فنحن سنحطّم قواته حتى لو انه لم يلجأ الى الانسحاب اثناء عملية اقتحام بليكو وكونتوم.

وهكذا فإن المصير الاسود كان يحيط بالعدو من كل جانب، وفي النهاية تم تحرير منطقة تاين غوين وهذا بفضل قوتنا ومبادرتنا الحربية وليس بفضل اخطاء قيادة الجيش العميل فالعدو اصيب بمثل هذا الانهيار السريع، اما نحن فكنّا نتوقع، لا بل نرى تماماً النتيجة الحتمية والمنطقية للحرب. لأن مصدر النصر في الهجوم العام والانتفاضة الشعبية في ربيع عام ١٩٧٥ كان يتمثل في القيادة الحكيمة والواعية التي تميّزت بها

اللجنة المركزية للحزب، ذلك الحزب الذي علّمه وقاده الرئيس العظيم هوشي منه. وفي ذلك الفن المبدع والخلّاق في خوض الحرب.

على ضوء النجاحات التي تحققت خلال النضال القاسي والطويل الذي خاضه جيشنا وشعبنا تحت قيادة الحزب، اوجدنا الشروط للخطة التاريخية الحاسمة. وانطلاقاً من قوانين الحرب الثورية وقوانين الحرب العدوانية التي كان يخوضها العدو في مراحلها الاخيرة، استطاع المكتب السياسي واللجنة العسكرية للحزب تحقيق مثل هذه القفزات في تطوير الموقف، والقيام بتحوّل نحو استراتيجية الهجوم الصاعق والانتفاضة الشعبية. وبفضل ذلك استطاع جيشنا وشعبنا اخذ زمام المبادرة الاستراتيجية، ووضع العدو وسط دوامة المفاجأة واجباره على ارتكاب الخطأ تلو الآخر، وتكبّد الهزيمة تلو الاخرى، الامر الذي ادّى في نهاية المطاف الى السقوط الكامل للنظام المأجور.

ان القوة الهائلة لدى الشعب، وامكانياته التي لا تنضب، والمهارات التنظيمية لدى الحزب، والتي هيّأت المناخ لتحقيق هذا النصر التاريخي هي بدون شك الضمان لتحقيق خطوات جديدة في بناء الاشتراكية فوق الأرض الفيتنامية العزيزة.

لقد قدّمت شكري باسم القيادة الى كافة المناطق العسكرية وفيالق الجيوش والتشكيلات والقطعات التابعة لمختلف انواع القوات المسلحة وصنوف القوات، تقديراً لتلك النجاحات القتالية الرائعة التي تحققت في الموقعة الاخيرة. كما انني قيّمت حق التقييم جهود جميع القطعات والوحدات والقيادات والهيئات التي شاركت مباشرة في العملية او التي ساعدت على نجاحها من المؤخرة العميقة ـ الشمال، وتوجهت بالشكر العميق الى كافة المصالح والادارات المدنية، وسلطات الحكم المحلي وسكان جميع المناطق، حيث دارت تلك المعارك التي اسهمت فيها هذه المنظمات والهيئات والسلطات.

لقد كان في حوزتنا ولا يزال قوة الجيش والشعب الموحدة والمؤخرة والجبهة مع تلاحم المقاتل مع سلاحه وبطولته وفكره. فبعد ان اصبحنا اسياداً على مصيرنا، واستوعبنا التكنولوجيا الحديثة، واصلنا النضال لكي نصبح اسياداً على ارض المعركة، واسياداً على مصير بلادنا بكاملها.

وها نحن الآن، نستخدم تلك القوة الموحدة الهائلة. فقد قام الجيش والشعب

في ربيع عام ١٩٧٥ باقتطاف ثمرة النصر النهائي، والحصول على اكليل الغار الجميل والفوّاح: «لا شيء اغلى من الحرية والاستقلال»

ان ذلك الاكليل من الغار سنقدّمه بكل فخر واجلال الى الرئيس هو شي منه الزعيم العظيم للامة الفيتنامية، والانسان الذي حقق جيشنا وشعبنا بقيادته النصر تلو الآخر.

اننا نقدّم اكاليل الغار ايضاً الى حزبنا المحبوب ـ الحزب اللينيني ـ الماركسي القوي، الذي صمد امام التجارب والامتحانات الكثيرة، وخرج منها قوّة مظفّرة، وطليعة صلبة في الحركة الشيوعية الدولية.

ولن ننسى ان نقدم اكليل الغار الى الرفاق الآخرين في الحزب، ورفاق السلاح والوطنيين الذين سقطوا في سبيل الثورة. فبفضل هؤلاء الطلائعيين تم شق الطريق نحو النصر.

اننا نقدّم اكليل الغار، اكليل النصر الكامل الى مواطنينا في جميع ارجاء البلاد والى ابطال المقاومة المجهولين، الى الشيوخ والاطفال، الذين عانوا ما عانوه وقدموا كل ما في وسعهم للثورة وللنصر، وتقاسموا مع المقاتلين والمناضلين لقمة الأرز الاخيرة وثيابهم وممتلكاتهم.

اننا نقدّم عربون النصر الى امهاتنا واخواتنا المناضلات البطلات الخيرات المؤمنات والمتفانيات في النضال. فبعد ان دفعن بأزواجهن واخوتهن وابنائهن واحفادهن الى الجبهة، عانين الأمرين والقهر والحرمان، وعملن في كل مكان وزمان، دون ان يبخلن بشيء في سبيل تحقيق النصر.

ونقدّم اكليل الغار ايضاً الى العاملين في الحقل الفكري والبدني، الذين واصلوا انتاجهم من خلال اوراقهم وكتبهم، وقذائفهم التي يصنعونها، وأبدعوا واخترعوا من اجل توسيع القاعدة المادية الغنية والروحية للمناضل والباني، الذي اقام صرح الحياة الجديدة للشعب والجيش المظفّر.

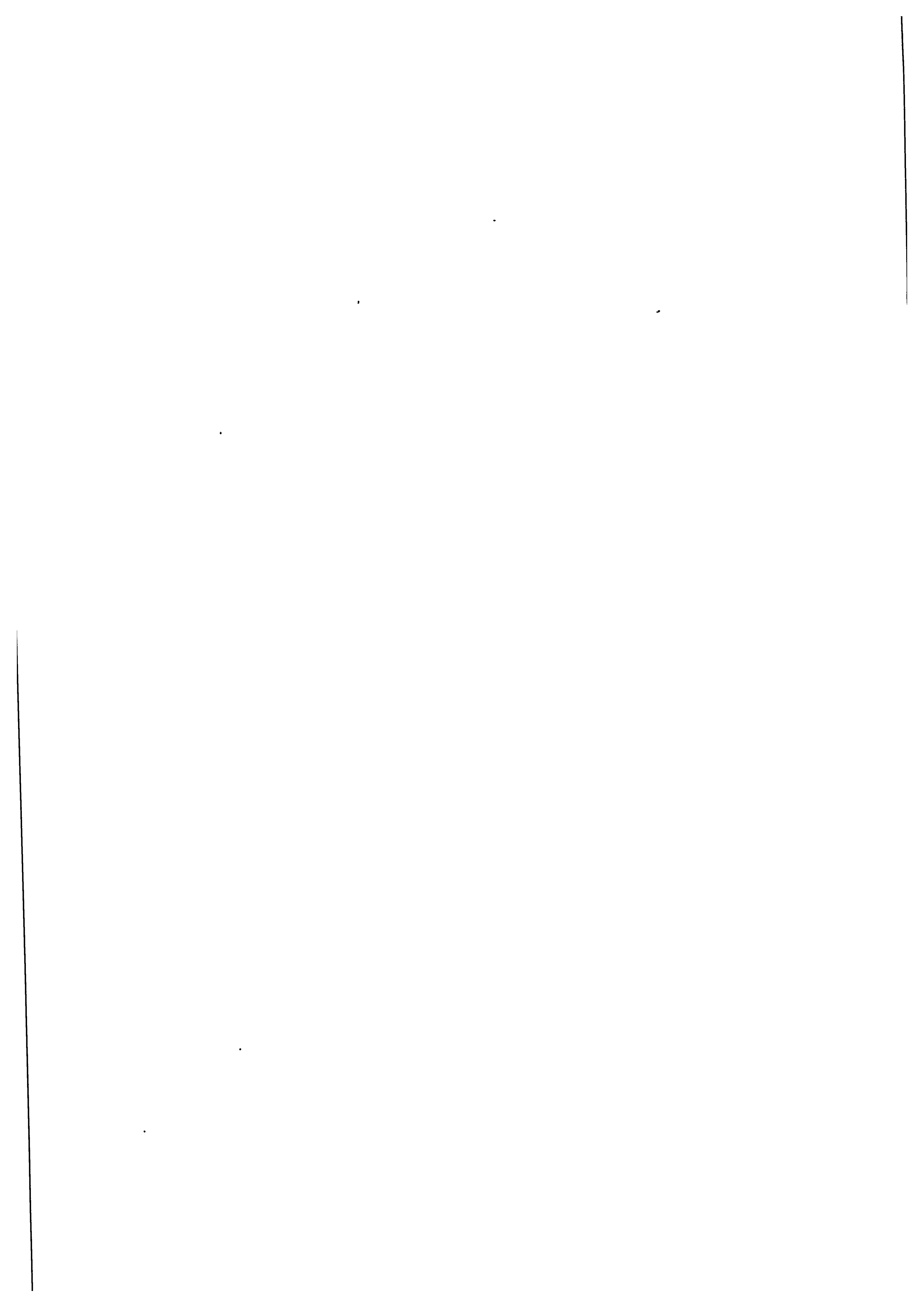
والجدير بهذه الاكاليل ايضاً ضباط وجنود القوات المسلحة الشعبية في شمالي وجنوبي البلاد، والفتيات والفتيان الذين تركوا منازلهم طواعية وحقولهم ومزارعهم ومعاملهم ومدارسهم والتحقوا بخطوط الجبهة ليحملوا السلاح ويواجهوا المخاطر

والقسوة والحرمان وليقاتلوا العدو وجهاً الى وجه، اننا نقدّم اكاليل النصر الى اجيال المقاتلين التي توالت لمدة تزيد عن ثلاثين عاماً، كي تشق الطريق من تان شاو وحتى مدينة هو شي منه ورأس كاماو عبر ديان بيان فو.

ولن يفوتنا هنا ان نقدّم عربون النصر المتواضع الى جميع اشقائنا واصدقائنا في جميع القارات، والى جميع الذين نظروا الى نضال الشعب الفيتنامي ضد العدوان الاميركي وكأنه نضاله هو، والى الذين وقفوا معنا في صف واحد بأرواحهم ومشاعرهم.

اننا نقدّم الى القراء ربيع النصر العظيم، الذي لا تستوعبه صفحات الكتاب.

لقد لاح في الافق فجر عظيم - فجر مضيء، كنار الثورة وكربيع النصر الكبير الذي يعيشه شعبنا الآن والى الأبد.



الفهرس

كتب عسكرية صدرت عن

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

الذكاء والقيم المعنوية في الحرب

تأليف: الجنرال جان بيريه

ترجمة: أكرم الديري والمقدم الهيثم الأيوبي

آراء في الحرب

تأليف: أكرم الديري / طبعة ثانية

حرب المستضعفين

تأليف: روبرت تابر / ترجمة محمود سيد رصاص

الجنرال كوتوزوف

تأليف:بسام العسلي

الأسلحة والتكتيكات

تأليف:ونتر ننغهام وبلاشفورد سنل

ترجمة:المقدم حسن بسام

معارك خالد بن الوليد طبعة جديدة

تأليف:العميد الدكتور ياسين سويد

رجال ضد الدبابات

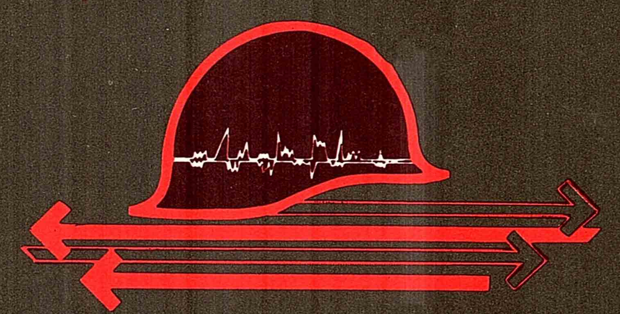
تأليف:جون ويكس / ترجمة المقدم الركن مصطفى درويش

فون مولتكه

تأليف:بسام العسلي

الأميرال نلسون

تأليف:بسام العسلي



الحرب الفيتنامية الثالثة

مؤلف هذا الكتاب، محارب فيتنامي، قاتل في الحرب الفيتنامية الأولى ضد المستعمرين الفرنسيين، ثم خاض العديد من المعارك إبان الصراع ضد القوات الأميركية.

يروي كتابه هذا حكاية المقاتلين الفيتناميين في هجوم الربيع، الذي ساهمت فيه القوات المسلحة المدعومة بالجماهير، وحمل لفيتنام النصر الأخير، بعد خمسة وخمسين يوماً من المعارك الضارية المتواصلة. لقد كان هجوم الربيع عملية خاطفة.

وهو يمثل من هذه الناحية نموذجاً للحرب الشعبية الخاطفة التي تتميز عن الحرب الخاطفة التقليدية بقوة الزخم المعنوي الذي يحركها، واعتمادها على الضربتين العسكرية والسياسية وعلى التعاون الوثيق بين الهجوم العسكري العنيف على الجبهة والعمل الجماهيري على المؤخرات. ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب التاريخي الوثائقي، الذي يغطي حقبة هامة وغير معروفة تماماً من تاريخ النضال الفيتنامي.

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقيا موكيالي بيروت - ص. ب ١١-٥٤٦٠ بيروت

الثمن ٢٥ ل.ل